مركز دراسات الوحدة العربية

عصبة العمل القومي ودورها في لبنان وسوريا ١٩٣٣ - ١٩٣٩

خطار بوسعيد

هذا الكتاب

كيف نشأت عصبة العمل القومي؟ ما هو موقعها ضمن أحزاب الثلاثينيات في لبنان وسوريا؟ ما هو نهجها، وكيف كانت ستحقق أهدافها؟ هل تركت أثراً في الجهاد الوطني العربي؟

يهدف هذا الكتاب إلى دراسة عصبة العمل القومي كظاهرة حزبية شكلت جزءاً من حركة التحرر الوطني والقومي العربي، وكانت حاضرة على مسرح الأحداث، وخصوصاً في لبنان وسوريا منذ عام ١٩٣٣ متطرقاً إلى ظروف نشأتها وتأسيسها وأهدافها ووسائل عملها وتوجهاتها وأطرها التنظيمية ومؤسساتها ودورها ومواقفها حتى توقّف نشاطاتها وانفصال فروعها في الأقطار، ويضمّن في ملاحقه أوراقها ووثائقها الأصلية.

إنه كتاب يكشف النقاب عن محطة مبكرة من محطات العمل النضالي العربي.

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور»، شارع ليون، ص. ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣
الحمراء ـ بيروت ٢٠٩٠ ١١٠٣ ـ لبنان
تلفون: ٨٦٩١٦٤ ـ ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧
برقياً: «مرعربي» ـ بيروت
فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)
e-mail: info@caus.org.lb
Web site: http://www.caus.org.lb

الثمن: ٨ دولارات
أو ما يعادلها

ISBN 9953-450-13-7

عصبة العمل القومي
ودورها في لبنان وسوريا
١٩٣٣ - ١٩٣٩

مركز دراسات الوحدة العربية

عصبة العمل القومي
ودورها في لبنان وسوريا
١٩٣٣ - ١٩٣٩

خطار بوسعيد

الفهرسة أثناء النشر - إعداد مركز دراسات الوحدة العربية
بوسعيد، خطار
عصبة العمل القومي ودورها في لبنان وسوريا، ١٩٣٣ - ١٩٣٩/خطار بوسعيد.
٢٨٦ ص.
ببليوغرافية: ص ٢٦٩ - ٢٧٣.
يشتمل على فهرس.
ISBN 9953-450-13-7
١. عصبة العمل القومي. ٢. الأحزاب السياسية - سوريا. ٣. الأحزاب السياسية - لبنان. أ. العنوان.
324.2183

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الوحدة العربية»

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون ص.ب: ٦٠٠١ - ١١٣
الحمراء - بيروت ٢٠٩٠ ١١٠٣ - لبنان
تلفون: ٨٦٩١٦٤ - ٨٠١٥٨٢ - ٨٠١٥٨٧

برقياً: «مرعربي» - بيروت
فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)

e-mail: info@caus.org.lb
Web Site: http://www.caus.org.lb

الطبعة الأولى
بيروت، نيسان/أبريل ٢٠٠٤

الإهـــداء

إليهم، في حياتهم الخالدة، المليئة بالحرمان والشقاء والدماء،

والتي أفنوها لنعيش نحن الاستقلال ونعزّزه،

ليس لنهشّمه ونفقده، ولننعم بالحرية ونصونها،

وليس لننكرها ونجحد بها، ولنتوحّد ويتقدم مجتمعنا ويعلو شأننا،

وليس لنتفرق ويهوي دركنا

ويضمحل أمرنا.

المحتويـــات

مقدّمــــة

إن الاتجاهات القومية العربية التي ظهرت بوادرها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، من خلال الأفكار التنويرية والإصلاحية ثم الاستقلالية التي طرحها ونادى بها عدد من المفكرين العرب، كانت أنوارها قد سطعت مع مطلع القرن العشرين واتخذت بُعداً سياسياً لها تجسَّد في حركة قومية عربية بانت ظواهرها في مختلف أنحاء البلاد العربية، خاصة في بلدان المشرق العربي ومصر، مطالبة وعاملة لتحقيق التحرُّر والاستقلال الوطني والقومي لأرض العرب. علماً أن تلك الحركة لم تكن في عملها الوطني ملتفة حول فكرة قومية عربية تامة البناء، وتشكِّل الأساس النظري لفلسفتها ورؤيتها العامة للكيان العربي الجديد والمستقل التي كانت تحلم به وتطمح إليه.

غير أني في هذا الكتاب لا أتوخى التطرّق إلى نشأة الفكر القومي العربي وماهيته، ولا مناقشة إنتاجه النظري، ولا الولوج في دراسة حول الحركة القومية العربية بإنجازاتها وإخفاقاتها أو بمسارها ومصيرها وإمكانية بعثها. إذ إن موضوع هذا الكتاب محدَّد بدراسة عصبة العمل القومي كظاهرة حزبية شكلت جزءاً من حركة التحرّر الوطني والقومي العربي، وكانت حاضرة على مسرح الأحداث بشكل مؤثّر ومميَّز عن غيرها حسب ما ذكر العديد من المراجع، فكان ذلك بمثابة حافز لي لمعرفة نشأتها وتكوينها، ودورها في لبنان وسوريا بالتحديد، وذلك نظراً لعدم توفّر معطيات وافرة عن دورها في غير البلدين المذكورين، رغم أن الكثير من المراجع قد أشار إلى انتشار لها في فلسطين والأردن والعراق أيضاً.

وحين إعداد هذه الدراسة اعترضتني صعوبات وعقبات كثيرة، كان أبرزها: عدم معرفتي بأحد من مؤسّسي العصبة أو من أعضائها أو من المقرَّبين منها، لمقابلته والاستفادة من معلوماته عنها، وهي التي قد تأسَّست بجهود عدد من المناضلين القوميين العرب في عدة بلدان عربية. فمن هم مؤسّسوها؟ وأكثرية الدراسات التي تتطرّق إلى العصبة تقف عند عام ١٩٣٩ في تناولها لدورها، دون أن تحدِّد أسباب

ذلك. فهل انفرط عقدها في نهاية العام المذكور؟ أو تراجع جهادها؟ أو توقَّف نشاطها لسبب ما؟ أو تغيَّرت أوضاعها التنظيمية؟ وكيف السبيل إلى التأكُّد من كل ذلك؟

ولم يكن باستطاعتي التغاضي عن هذه الصعوبات أو تجاوزها، فإن فعلت ذلك، أكون قد أهملت جانباً هاماً من صلب هذه الدراسة، ولم أضف شيئاً مميزاً عن الذين تناولوا العصبة في كتاباتهم.

وبفضل أُستاذنا الدكتور فارس اشتي، الذي كان قد أرشدني إلى العصبة كموضوع قابل للدراسة، وصديقه الدكتور عادل عجاج نويهض، عرفت اثنين من أعضائها البارزين، فقابلتهما. وبفضلهما علمت أن العصبة توقَّف نشاطها في لبنان وسوريا حين اندلعت الحرب العالمية الثانية لأسباب سأذكرها لاحقاً، ثم حصلت تغييرات في أوضاعها التنظيمية على أثر استقلال هذين البلدين، كما عرفت منهما أسماء أكثرية مؤسِّسيها وعدد من أعضائها وبعض الذين لديهم معطيات حولها.

ولقد تبيَّنَ لي أن العصبة حملت الفكرة العربية وكانت تسعى إلى القيام بثورة على المستعمرين من أجل تحقيق أهدافها، لكنها لم تتمكن من القيام بالثورة. فهل عجزت عنها لأن جهادها لم يكن بمستوى ما تحتاجه الثورة من إعداد؟ أو لأن الفكرة التي حملتها ونادت بها لم تستجب لها الجماهير وبالتالي لم تصبح منظَّمة شعبية كبيرة قادرة على القيام بأعباء هذا الدور؟ وما هي أسباب ذلك؟

واعتمدت في هذه الدراسة على:

١ ــ مصادر تمكَّنت من الحصول عليها وتتعلق ببعض ما صدر عن العصبة، وأربعة كتب عن حياة أربعة من مؤسِّسيها، وجزء خاص لمجلة الارثوذكسية عن حياد أحد مؤسِّسيها، إضافة إلى كتابين لأحد مؤسِّسيها وكتابين لمؤسِّس آخر.

٢ ــ الكثير من المراجع التي تتناول الأوضاع السياسية والحزبية والنضالية ضمن الفترة التي تعنيني، إضافة إلى بعض المراجع عن أعلام في سوريا ولبنان وفلسطين.

٣ ــ الجرائد التي كانت تصدر في المدّة التي نشطت فيها العصبة. وبنتيجة التنقيب فيها اطلعت على نقاط كثيرة وهامة في تكوينها، ومواقف اتخذتها ونشاطات قامت بها.

٤ ــ مقابلات مع بعض أعضاء وأصدقاء ومعاصري العصبة في لبنان، ومقابلات مع أقرباء لمؤسِّسيها اللبنانيين، وقد بلغ عدد المقابلات أربع وعشرين مقابلة.

وحسب مقتضيات هذه الدراسة فقد قسَّمتها إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: تناول ظروف نشأة عصبة العمل القومي، وأهم المواقف الدولية من الوحدة العربية، ولمحة عن أبرز الأحزاب في لبنان وسوريا في الثلاثينيات. وأخيراً ناقشت كل ذلك.

الفصل الثاني: تناول تكوين العصبة: التأسيس والمؤسِّسون، أهدافها ووسائل عملها، تنظيمها، إضافة إلى ما تميَّزت به نشأتها، وناقشت تكوينها رابطاً بين تكوينها وظروف نشأتها.

الفصل الثالث: تناولت فيه خطتي لعرض دور العصبة، وعرضت دورها منذ أن تأسَّست إلى أن توقَّف نشاطها، وبيَّنت أسباب توقُّف نشاطها، ثم ناقشت دورها.

أما **الخاتمة** فقد أوجزت فيها تكوين العصبة ودورها، ثم أجبت عن تساؤلات حولها.

وأخيراً لا بد من كلمة شكر للذين ساعدوني في هذا العمل، وفي مقدمتهم الدكتور محمد علي الرز والاستاذ ابراهيم فهيم الخوري والاستاذ وائل نقولا خير، حيث قدَّموا لي بعض المصادر وكانوا يرحبون بي كل ما عدت إليهم. وكل الذين قابلتهم مشكورون أيضاً على ترحيبهم بي وتعاونهم معي، وبخاصة الأستاذ خالد بديع النكدي والدكتور خالد رشيد معتوق.

كما أشكر العاملين في المكتبات التي زرتها، والذين لا يملُّون العمل لتسهيل أمر اطلاعنا على المراجع المطلوبة، فهم كالجندي المجهول الذي لا يتوانى عن التضحية في سبيل الأوطان.

ولن يفوتني أن أشكر أيضاً الدكتور فارس اشتي على كل ما قدَّمه لي من مساعدة وتشجيع، والدكتور سميح دغيم ومركز دراسات الوحدة العربية اللذين أبديا لي ملاحظات قيِّمة ساهمت في إنجاز هذه الدراسة في صورتها النهائية.

وأود في هذا الكتاب أن أكون قد ألقيت ضوءاً يكشف النقاب عن تكوين العصبة ودورها في لبنان وسوريا بشكل أشمل وأعمق مما أتيح من قبل. فإذا أصبت فيما ورد، فما القصد إلا إظهار حقبة مشرقة من الجهاد القومي العربي في سبيل التحرّر من الاستعمار وتحقيق الاستقلال، وإبقاء الذاكرة العربية حيَّة مفعمة بروحية هذا الجهاد الوطني الباسل، وإذا لم أصب فأكون قد حاولت.

الفصل الأول

ظروف نشأة عصبة العمل القومي
ودورها في لبنان وسوريا

تمهيد

أثناء السنوات الأُولى من القرن العشرين، انتشرت في الأوساط المثقَّفة في البلدان العربية الأفكار القائلة بالتشكل القومي للعرب كشعب له لغة وتاريخ وحضارة وطموح سياسي واحد، ويؤلِّف أُمة واحدة من حقّها أن تنال استقلالها وحرِّيتها وتكون سيِّدة أرضها مثل باقي الأُمم المتحرِّرة، وعبَّر عن هذا التطور في الوعي القومي المؤتمر العربي الأول الذي انعقد في باريس عام ١٩١٣، وحضره مندوبون عن مختلف أقطار الوطن العربي[١].

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤، كانت تركيا تسيطر على المشرق العربي وغالبية أراضي شبه الجزيرة العربية، وتنتمي إلى معسكر الدول الوسطى، المؤلف من الامبراطوريات: الألمانية والنمساوية - الهنغارية والعثمانية. وكان الحلفاء بزعامة بريطانيا وفرنسا ضد المعسكر المذكور، فاستغلَّ العرب تلك الظروف وتضامنوا مع بريطانيا وفرنسا بهدف التخلص من الحكم التركي وتحقيق استقلال بلادهم ونيل حرِّيتهم وبسط سيادتهم على كامل الأراضي العربية[٢].

وبعد انتصار الحلفاء في الحرب المذكورة، وخروج تركيا من الأراضي العربية، نكثت بريطانيا وفرنسا بوعودهما للعرب بالاستقلال والسيادة، ووضعتا المشرق العربي تحت سيطرتهما المباشرة التي عرفت بالانتداب البريطاني ـ الفرنسي.

وقامت سلطات الانتداب بتقسيم المشرق العربي إلى مناطق نفوذ حسب ما اتفقت عليه الدولتان المذكورتان، فأصبح لبنان وسوريا تحت الانتداب الفرنسي، وعلى أثر ذلك تابع أحرار العرب جهادهم للتخلص من المستعمرين الجدد وتحقيق أمانيهم، كما نشأت أوضاع سياسية جديدة، وظهرت هيئات وأحزاب منها منْ أيَّد الواقع الجديد، ومنها منْ عارضه عاملاً من أجل الاستقلال التام والوحدة العربية،

(١) حازم زكي نسيبة، القومية العربية، فكرتها، نشأتها، تطورها، ترجمة عبد اللطيف شرارة؛ مراجعة برهان الدجاني (بيروت: دار بيروت، ١٩٥٩)، ص ٦٦-٦٧.

(٢) رياض الصمد، الطائفية ولعبة الحكم في لبنان (بيروت: [د. ن.]، ١٩٧٧)، ص ٩-١١.

مثل «عصبة العمل القومي» التي تأسَّست في عام ١٩٣٣.

لذا سأتطرق في هذا الفصل إلى:

أولاً: تحرُّر المشرق العربي من الحكم التركي وسقوطه تحت الانتداب.

ثانياً: أهم الأحداث والمواقف السياسية على الساحتين اللبنانية والسورية حتى عام ١٩٣٣.

ثالثاً: أهم المواقف الإقليمية والدولية من الوحدة العربية.

رابعاً: لمحة عن أبرز الأحزاب في لبنان وسوريا في الثلاثينيات.

خامساً: مناقشة.

أولاً: تحرر المشرق العربي من الحكم التركي وسقوطه تحت الانتداب

استاء العرب من حكم الأتراك واستبدادهم، وخاصة بعد محاولات تتريكهم وقيامهم بشنق أحد عشر مجاهداً عربياً في ساحة البرج، وسط بيروت، بتاريخ ٢١ آب/ أغسطس ١٩١٥[(٣)]، فأخذوا يستحثون الخطى للتخلص منهم. وكان شريف مكة، الشريف حسين، من المؤمنين بالقضية العربية والمؤمّن عليها، فتبادل عدة رسائل مع المندوب السامي في القاهرة، السير مكماهون، بهدف التخلص من الأتراك وتحقيق الاستقلال والسيادة للعرب. وفي ٢٤ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٥ أرسل مكماهون رسالة إليه، جاء فيها «فبريطانيا العظمى مستعدة بأن تعترف باستقلال العرب...»[(٤)]. ومع نهاية عام ١٩١٥ كان الحلفاء قد «قطعوا على أنفسهم عهداً بإعطاء العرب حرية تقرير مصيرهم».

وفجر ٦ أيار/ مايو، نفَّذ جمال باشا حكم الإعدام بواحد وعشرين مجاهداً عربياً[(٥)]، أربعة عشر منهم شنقوا في ساحة البرج في بيروت، والسبعة الآخرون

(٣) زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية (بيروت: دار النهار للنشر، [١٩٦٨])، ص ١١٩- ١٢٠.

(٤) مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦، تقديم ودراسة حسان علي حلاق (بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨٣)، ص ١٢- ١٤.

(٥) علي ناصر الدين، صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث، أخرجته لجنة إحياء ذكرى المجاهد علي ناصر الدين (بيروت: [د. ن.]، ١٩٨٠)، ص ١٣.

شنقوا في ساحة المرجة في دمشق[٦]. وعلى أثر ذلك نشبت في الحجاز الثورة العربية الأولى ضد الأتراك بقيادة الشريف حسين بن علي الهاشمي[٧]، فانتصر عليهم وأخرجهم من تلك المنطقة وأصبح سيداً على الحجاز[٨].

وكانت نتيجة هذا الانتصار على الأتراك، أن عهد الحلفاء للعرب بحرية تقرير المصير، ودعوة الرئيس الأمريكي ويلسون للحرية، أن «تنادى كثيرون من الشبان العرب إلى التعاون مع الحلفاء» من أجل تحرير بلادهم من الأتراك[٩]. وكان بين أولئك الشبان بعض الذين أسَّسوا عصبة العمل القومي لاحقاً، منهم: علي ناصر الدين الذي اشترك في جيش الشرق[١٠]، الذي أسَّسه الحلفاء، ودخل معه إلى فلسطين[١١].

وتابع جيش الحلفاء تقدُّمه بقيادة الجنرال اللنبي، فاحتل فلسطين ولبنان وسوريا، وهزم الجيش التركي الرابع بقيادة جمال باشا على مقربة من الحدود السورية الشمالية مع تركيا، فسارعت تركيا ووقَّعت على اتفاقية مع الحلفاء في ٣٠ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٨، ومما جاء فيها: «تسلم تركيا جميع الحاميات العسكرية في الحجاز وفي العسير[١٢] واليمن وسوريا والعراق إلى أقرب قائد من قواد الحلفاء»[١٣].

ولما دخل جيش الحلفاء بلاد الشام، كان في مقدَّمته جيش الأمير فيصل ابن الشريف حسين الذي عرف بمحرِّر العرب[١٤]. وحين وصل الأمير فيصل مع جيشه إلى دمشق في ١ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٨، أعلن تشكيل حكومة دستورية عربية

---

(٦) زين، **نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية**، ص ١١٩.

(٧) ناصر الدين، المصدر نفسه، ص ٨ و١٣.

(٨) علي محافظة، **موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥**، مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية؛ ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥)، ص ١١٧.

(٩) ناصر الدين، المصدر نفسه، ص ١٣ و ٨٩.

(١٠) مقابلة مع الدكتور محمد علي الرز في ١/ ١٠/ ١٩٩٠. وقد انتسب الدكتور محمد إلى العصبة في مطلع الاستقلال. وهو آخر أمين عام لحزب عصبة العمل القومي في لبنان، وحاضراً أمين عام عصبة تكريم الشهداء.

(١١) عادل أرسلان، **مذكرات الأمير عادل أرسلان، ١٩٣٤- ١٩٥٣**، تحقيق يوسف إيبش، ٣ ج (بيروت: الدار التقدمية، ١٩٨٣)، ج ١: ١٩٣٤- ١٩٤٥، ص ٣٠٨.

(١٢) الحجاز والعسير منطقتان من مناطق شبه الجزيرة العربية تقعان في المملكة العربية السعودية، الأولى لجهة الغرب، والثانية لجهة الغرب الجنوبي منها.

(١٣) زين، **نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية**، ص ١٢٧- ١٢٨.

(١٤) محمد جميل بيهم، **النزاعات السياسية بلبنان: عهد الانتداب والاحتلال، ١٩١٨ - ١٩٤٥** (بيروت: دار الأحد، ١٩٧٧)، ص ١٠.

مستقلة في سوريا، بقيادة رضا باشا الركابي، وفي ٦ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٨، تشكلت حكومة عربية في بيروت، برئاسة عمر الداعوق(١٥).

وهكذا استطاع العرب في المشرق العربي تحقيق هدفهم القومي أواخر عام ١٩١٨، إلاّ أنهم لم ينعموا بالاستقلال وبسط سيادتهم على بلادهم لمدة طويلة، فسرعان ما خسروا استقلالهم. حيث كان الحلفاء قد عقدوا اتفاقية سراً فيما بينهم في ١٥ آذار/ مارس ١٩١٦، عرفت باتفاقية سايكس ـ بيكو(١٦)، تضمَّنت تقسيم البلدان العربية الخاضعة للحكم التركي إلى مناطق تابعة للنفوذ البريطاني والفرنسي(١٧). وأُقرَّت هذه الاتفاقية في مؤتمر سان ـ ريمو في إيطاليا، الذي عقده الحلفاء في نيسان/ أبريل ١٩٢٠، وانتهى بقرار نصَّ على وضع المستطيل العربي الواقع بين المتوسط وتخوم فارس تحت الانتداب البريطاني والفرنسي، وتقسيم سوريا، وأضيف إليه ملحق بأن الانتداب على فلسطين يحمل معه الالتزام بتطبيق وعد بلفور الصادر في ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٧ لإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين(١٨).

وعملاً بمقرَّرات المؤتمر المذكور، أسقطت بريطانيا وفرنسا الحكومة العربية في بيروت بتاريخ ١٦/ ١٠/ ١٩١٨(١٩). وباشرت السلطات الفرنسية بالضغط على الملك فيصل(٢٠) وحكومته في دمشق للتسليم بشروطها، ومنها قبول الانتداب، وعند

---

(١٥) **الطليعة (دمشق)**، السنة ٤، العدد ٥ (أيار/ مايو ١٩٣٨)، ص ٤١٦.

(١٦) سميت الاتفاقية بالاسم المذكور نسبة إلى المفاوضين، السير مارك سايكس وجورج بيكو. الأول بريطاني، وهو خبير في المسائل الشرقية، والثاني فرنسي، وكان يشغل منصب القنصل العام في بيروت عام ١٩١٣. وقد بدأت المفاوضات بينهما في لندن، ولما اتفقا على الأراضي التي ترغب كل من بريطانيا وفرنسا في أخذها من الامبراطورية العثمانية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، توجّها إلى روسيا لمفاوضة القيصر حول الأراضي التي يرغب في الحصول عليها من الامبراطورية المذكورة. وانتهت المفاوضات بين الدول الثلاث بتوقيع الاتفاقية المشار إليها التي تضمنت أيضاً خضوع المضائق التركية واسطنبول للنفوذ الروسي. لكن روسيا انسحبت من الحرب وبالتالي من الاتفاقية المذكورة على أثر اندلاع الثورة البلشفية فيها، وسقوط الحكم القيصري وتولي الشيوعيين السلطة.

(١٧) الصمد، **الطائفية ولعبة الحكم في لبنان**، ص ١١- ١٢، و **مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦**، ص ١٢ و١٥.

(١٨) محمد عزة دروزة، **فلسطين وجهاد الفلسطينيين في معركة الحياة والموت ضد بريطانيا والصهيونية** (القاهرة: مطابع دار الكتاب العربي، ١٩٥٩)، ص ١٢، و نسيبة، **القومية العربية، فكرتها، نشأتها، تطورها**، ص ١٧١.

(١٩) **الطليعة**، السنة ٤، العدد ٥ (أيار/ مايو ١٩٣٨)، ص ٤١٦- ٤١٧.

(٢٠) هو الأمير فيصل ابن الشريف حسين، وقد أصبح ملكاً على البلاد السورية بعد انعقاد المؤتمر السوري العام في دمشق بتاريخ ٧/ ٣/ ١٩٢٠.

رفض الشروط الفرنسية، زحف الجيش الفرنسي باتجاه سوريا[٢١] وانتصر على الجيش العربي في معركة ميسلون[٢٢]، معركة الشهيد يوسف العظمة، في ٢٤ تموز/ يوليو ١٩٢٠[٢٣]، وفي اليوم الثاني كانت سوريا قد فقدت سيادتها الوطنية ووقعت تحت السيطرة الفرنسية[٢٤].

بعد أن سيطر الفرنسيون على المناطق التي انتدبوا عليها، أصدر المندوب السامي، الجنرال غورو، قراراً في ٣ آب/ أغسطس ١٩٢٠ يقضي بضم الأقضية الأربعة إلى جبل لبنان، وهي: حاصبيا، وراشيا، وبعلبك والبقاع. وفي ٣١ آب/ أغسطس ١٩٢٠ أصدر قراراً نصَّ على إنشاء دولة لبنان الكبير الذي ضمَّ متصرفية جبل لبنان والأقضية المذكورة، بالإضافة إلى بعض أراضي ولاية بيروت وهي:

١- سنجق صيدا، باستثناء القسم الذي ضُمَّ منه إلى فلسطين بموجب اتفاقات دولية.

٢- سنجق بيروت وقسم من سنجق طرابلس يشمل قضاء عكار في شطره الواقع جنوبي النهر الكبير، وقضاء طرابلس مع مديريتيْ الضنيّة والمنية وقسماً من حصن الأكراد.

وأعلن الجنرال غورو أيضاً قيام دولة لبنان الكبير في ١ أيلول/ سبتمبر ١٩٢٠، وتقسيم سوريا إلى أربع دويلات طائفية هي: دولة دمشق، ودولة حلب، ودولة العلويين ودولة جبل الدروز[٢٥].

أما بريطانيا، فقد أنشأت كيانات منفصلة في المناطق العربية التي انتدبت عليها، أي في فلسطين وشرقي الأردن والعراق[٢٦]. وعندما رفض الشريف حسين الاستجابة لمطالبها بإعطائها امتيازات والاعتراف بالانتداب، أطلقت حرية التصرف في شبه

---

(٢١) ابراهيم الحلو، **كفاح القومية العربية في القرن العشرين، «سورية - مصر»** (دمشق: مكتبة النوري، ١٩٦٠)، ص ٤٥ و٤٩-٥٠.

(٢٢) تقع ميسلون في سوريا غرب دمشق، على الخط العام الذي يربطها ببيروت.

(٢٣) **الطليعة**، السنة ٤، العدد ٥ (أيار/ مايو ١٩٣٨)، ص ٤١٧.

(٢٤) جوردون هـ. توري، **السياسة السورية والعسكريون، ١٩٤٥ - ١٩٥٨**، ترجمة محمود فلاحة، ط ٢ (دمشق: دار الجماهير، ١٩٦٩)، ص ٢٤.

(٢٥) سعيد مراد، **الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤ - ١٩٤٦**، دراسات الفكر العربي، ٣ مج (بيروت: معهد الانماء العربي، [١٩٨٦])، مج ٣، ص ١٢٦، ١٤٣ - ١٤٤ و١٤٧.

(٢٦) **مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦**، ص ١٥.

الجزيرة العربية للأمير عبد العزيز بن سعود المنافس للهاشميين، الذي كان قد أعطى امتيازات للإنكليز في مناطقه. وسيطر الأمير عبد العزيز على نجد والحجاز وجبل شمَّر القريب من العراق والأردن، وفرَّ الهاشميون إلى هذين البلدين، وأصبح الأمير عبد العزيز بن سعود ملكاً على نجد والحجاز في كانون الثاني/ يناير ١٩٢٦[٢٧].

ثانياً: أهم الأحداث السياسية على الساحتين اللبنانيـة والسوريـة حتى عـام ١٩٣٣

إن التطورات السياسية التي أصابت أقطار المشرق العربي كانت بالنسبة للكثير من الهيئات العربية حدثاً غير متوقعاً، وبمثابة مولود جديد ليس منتظراً وغير مرغوب فيه، إذ أنها أدت إلى تغيُّرات جغرافية - سياسية، ولهذا كان لها أثر كبير في الساحتين اللبنانية والسورية، وانعكاسات مباشرة على مواقف الهيئات فيهما. فكيف تطورت الأوضاع والمواقف السياسية التي أعقبت تلك الوقائع؟

١- الأوضاع في لبنان

عندما أعلن الجنرال غورو الإجراءات التي سبق ذكرها، عارضت الهيئات الإسلامية الوحدوية وقدَّمت له مذكَّرة ترفض فيها الانضمام إلى لبنان الكبير أو القبول بالهوية اللبنانية[٢٨]، كما رفضت الاشتراك في الإحصاء والانتخابات النيابية التي دعت إليها سلطات الانتداب عام ١٩٢٢. وقدَّم وجهاء المسلمين في الساحل مذكَّرة إلى المندوب السامي، ويغان، في عام ١٩٢٣، طالبوا فيها بإلحاق الولاية البيروتية وملحقات المتصرفية بسوريا[٢٩]، لكن سلطات الانتداب لم تستجب لهذه المطالب، وأصدر المندوب السامي، الجنرال سراي، أول دستور للبنان في ٢٣ أيار/ مايو ١٩٢٦[٣٠]، وفي ٢٦ أيار/ مايو عيَّن شارل دباس أوَّل رئيس للجمهورية اللبنانية[٣١].

ولم تكن المعارضة للأوضاع المستحدثة ولسلطات الانتداب مقتصرة على الهيئات الوحدوية الإسلامية، فهناك هيئات وحدوية عربية كانت حاضرة على الساحة اللبنانية

(٢٧) محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥، ص ١١٧.

(٢٨) مذكرات سليم علي سلام (١٨٦٨- ١٩٣٨): مع دراسة للعلاقات العثمانية- العربية والعلاقات الفرنسية - اللبنانية. . .، قدم لها وحققها وعلق على هوامشها حسان علي حلاق (بيروت: الدار الجامعية، ١٩٨٢)، ص ٦٠.

(٢٩) فارس أشتي، الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩ - ١٩٧٥، ٣ مج (المختارة، لبنان: الدار التقدمية، ١٩٨٩)، مج ١: تكوين الحزب، ص ٩٢.

(٣٠) مراد، الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤- ١٩٤٦، ص ١٩١.

(٣١) منير تقي الدين، ولادة الاستقلال (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٣)، ص ٢٣.

ولها امتداد في عدة بلدان عربية، وهي أيضاً عارضت تلك التطورات وقاومت السلطات الفرنسية، وأبرز من مثّل هذا الاتجاه:

أ - **حزب الاستقلال العربي**: تأسّس في عام ١٩١٩، ومن أعضائه: الأمير شكيب أرسلان ورياض الصلح ونجيب شقير وإحسان الجابري[٣٢]. هدف إلى استقلال العرب ووحدتهم الشاملة[٣٣]. وبعد فشل الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥ - ١٩٢٧، ونمو نزعات الاستقلال في كل قطر عربي، عدّل في منهجه عام ١٩٣١ وأقرّ تركيز الجهود في كل قطر عربي إلى جهة واحدة تهدف إلى تحقيق الاستقلال[٣٤].

ب - **حزب الاتحاد السوري**: أسّسه عدد من اللبنانيين والسوريين في مصر أواخر حزيران/ يونيو ١٩١٨، ترأسه ميشال لطف الله (لبناني)، ومن أعضائه: رفيق العظم، والدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وفوزي البكري ورشيد رضا. هدف إلى إقامة دولة سورية[٣٥] مستقلة تماماً وموحّدة قومياً، وإقامة حكومة اتحادية مقرّها بيروت شتاءً، ودمشق صيفاً[٣٦]. وبدعوة منه عقد مؤتمر جنيف عام ١٩٢١ للأحزاب المعارضة للانتداب والتجزئة في الوطن والمهجر. وطالب المؤتمر بالاستقلال والسلطان القومي لسوريا ولبنان وفلسطين، وحقهم في التوحد في ظل حكومة مدنية وفي أن يتحدوا مع باقي الدول العربية المستقلة[٣٧].

ج - **مؤتمر دمشق**: عقدت الهيئات الوحدوية في لبنان مؤتمراً في دمشق بتاريخ ٢٣/ ٦/ ١٩٢٦، ترأسه عبد الحميد كرامي، وتمثّلت فيه المناطق الساحلية والبقاع، ومن الذين حضروا المؤتمر: رياض الصلح وعبد الله اليافي وعضوا بلدية بيروت أحمد الداعوق وعمر بيهم (بيروت)، وثيودور حكيم (طرابلس)، وحسين عطية (عكار)، وملحم فرزلي ومخائيل فلفلي وسمعان خزعل وإبراهيم القيم (البقاع)، ومراد غلمية (مرجعيون). وشارك فيه نائبان مسلمان من المجلس النيابي اللبناني، هما: عمر الداعوق (بيروت) وصبحي حيدر (بعلبك). وطالب المؤتمر بالوحدة السورية[٣٨]، وإعادة بلاد العلويين وجبل الدروز إلى سوريا.

---

(٣٢) أشتي، الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩ - ١٩٧٥، ص ٩٠.

(٣٣) محمد حرب فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨ - ١٩٥٥ (دمشق: دار الرواد، ١٩٥٥)، ص ٦٥.

(٣٤) أشتي، المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٣٥) تمتد من طوروس شمالاً إلى العقبة جنوباً، ومن الفرات والصحراء شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً.

(٣٦) فرزات، المصدر نفسه، ص ٧٠- ٧٢.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ٨٦ و٨٨.

(٣٨) تعني توحيد الأقضية الأربعة وولاية بيروت مع سوريا، ولقد ذكرت هذه المناطق سابقاً.

ويشير د. سعيد مراد إلى أن رياض الصلح لعب دوراً وحدوياً مهماً فيه[٣٩]. ويذكر باسم الجسر أن رياض الصلح قال في هذا المؤتمر: «إنني أؤثر أن أعيش في كوخ داخل وطني لبنان مستقل من أن أعيش مستعمراً في إمبراطورية عربية»[٤٠]. ويبدو من هذا الموقف للصلح أن فريقاً في المؤتمر كان يفضّل العمل من أجل استقلال الأوطان أولاً، ثم العمل من أجل وحدتها ثانياً، على قاعدة أن استقلالها أفضل من وحدتها في ظل هيمنة المستعمرين عليها.

د - **المؤتمر العربي**: عقد في القدس بتاريخ ١٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٣١[٤١]، في منزل عوني عبد الهادي، وحضره ما يقارب السبعين من رجالات العرب في آسيا وأفريقيا[٤٢]، منهم: علي ناصر الدين[٤٣] ومحمد علي بيهم وصلاح عثمان بيهم ومصطفى غلاييني ورياض الصلح وأسعد داغر ومحمد رشيد رضا (لبنان)، وإبراهيم الخطيب (سوريا)، وعوني عبد الهادي وعجاج نويهض (فلسطين)، وعوني الكعكي[٤٤] (العراق)[٤٥]. وأقرَّ المؤتمر عدم الاعتراف بالتجزئة التي طرأت على البلدان العربية، ومقاومة الاستعمار وتركيز الجهود في كل الأقطار العربية إلى تحقيق استقلالها التام كاملة موحَّدة[٤٦]. وكان هذا المؤتمر إيذاناً بالعمل العربي المنظَّم من أجل القضية القومية[٤٧].

---

(٣٩) مراد، الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤ - ١٩٤٦، ص ١٩٥- ١٩٦ و٢٠١.

(٤٠) باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣: لماذا كان؟ وهل سقط؟، مراجع الاستقلال (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٧٨)، ص ٨١.

(٤١) مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦، ص ١٦٩.

(٤٢) ناصر الدين، صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث، ص ١٤.

(٤٣) كان علي ناصر الدين أحد الذين دعوا إلى عقد المؤتمر المذكور.

(٤٤) أكرم زعيتر، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩١٨- ١٩٣٩، من أوراق أكرم زعيتر، أعدتها للنشر بيان نويهض الحوت، الوثائق الأساسية والعامة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٩)، ص ٣٦١.

(٤٥) إن تابعية المؤتمرين عرفتها من مقابلة مع الدكتور عادل نويهض في ١٩/ ٩/ ١٩٩٠. وهو ابن المجاهد المحامي عجاج نويهض. والمحامي عجاج هو لبناني الأصل، ولقد عاش في فلسطين مدة طويلة وشارك في نشاطات كثيرة فيها ممثلاً الاتجاه القومي العربي. وهو وعوني عبد الهادي من مؤسّسي حزب الاستقلال العربي في فلسطين.

(٤٦) مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦، ص ١٦٩ و١٧١.

(٤٧) ناصر الدين، صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث، ص ١٤.

هذا وقد شهدت الساحة اللبنانية احتجاجات واسعة على حكومة إميل إده، وذلك عندما أقرّت هذه الحكومة عدة مراسيم في ١٧ كانون الثاني/ يناير ١٩٣٠، ومنها المرسوم الخاص بالتعليم العام، أي المدارس الرسمية. وبموجبه أُلغيت ١١١ مدرسة من أصل ١٦٢، أكثريتها تقع في المناطق المتخلّفة الإسلامية والمسيحية، مما أحدث استنكاراً شديداً في مختلف المناطق اللبنانية[٤٨]. ومن الذين عارضوا هذا المرسوم: رياض الصلح، وعلي ناصر الدين، والشيخ مصطفى غلاييني وجبران تويني[٤٩].

ونتيجة لشدة المعارضة لإجراءات الحكومة المذكورة حُجبت الثقة عنها، وسقطت لتتألف حكومة جديدة في ٢٥ آذار/ مارس ١٩٣٠ برئاسة أوغست أديب[٥٠].

وحاولت سلطات الانتداب التخفيف من شدة المعارضة لها، فسمحت بإجراء إحصاء جديد للسكان في لبنان نزولاً عند المطالبة الإسلامية بذلك. وكانت نتيجة إحصاء عام ١٩٣٢ أن عدد المسيحيين في لبنان يزيد قليلاً عن عدد المسلمين فيه. وبناءً على هذه النتيجة تولّد الطموح عند بعض الزعماء المسلمين للترشح لرئاسة الجمهورية اللبنانية[٥١]، فتقدّم رئيس المجلس النيابي، الشيخ محمد الجسر، لمنصب الرئاسة عندما انتهت مدة رئاسة شارل دباس في أيار/ مايو ١٩٣٢، وكان نصيبه بالفوز أوفر من غيره من المرشحين[٥٢]، مثل: إميل إده المنافس للشيخ بشارة الخوري، لكنه لم يصبح رئيساً للجمهورية لعدة أسباب أهمها: معارضة الفرنسيين له رغم موالاته لهم[٥٣]. حيث أقدم المندوب السامي، مسيو بونسو، على حل المجلس النيابي وعلّق العمل بالدستور في ١٢/ ١٠/ ١٩٣٢، واستمر الرئيس شارل دباس رئيساً للجمهورية اللبنانية.

أطلّ عام ١٩٣٣ والدستور اللبناني معلّق، وسلطات الانتداب مستمرّة في سياستها وإجراءاتها التعسفية، فارتفعت المعارضة لهذه السلطات من عدة هيئات إسلامية ومسيحية ووطنية، منها:

---

(٤٨) وصلت برقيات من فلسطين وسوريا والعراق إلى عدد من المراجع والقوى في لبنان تستنكر أيضاً قرار حكومة إميل إده.

(٤٩) مراد، الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤ - ١٩٤٦، ص ٢٠٥- ٢٠٨.

(٥٠) حسان حلاق، التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣- ١٩٥٢: مع دراسة للعلاقات اللبنانية- العربية والعلاقات اللبنانية الدولية (بيروت: الدار الجامعية، ١٩٨٨)، ص ٧٤.

(٥١) مراد، المصدر نفسه، ص ٢٠٨- ٢١١.

(٥٢) بيهم، النزاعات السياسية بلبنان: عهد الانتداب والاحتلال، ١٩١٨ - ١٩٤٥، ص ٢٩.

(٥٣) مراد، المصدر نفسه، ص ٢١١، ٢١٣ و٢١٥.

- جمعية اتحاد الشبيبة الإسلامية: طالبت بالرئاسة الأُولى وبالعدل والإنصاف في المراكز العليا في الدولة اللبنانية(٥٤).

- البطريرك عريضة انتقد تلك الإجراءات وتجاوزات الموظفين الفرنسيين وقال في أحد مجالسه الخاصة: «. . . إن فرنسا كالنار، النار تدفئ، ولكن يجب أن لا نقترب منها لأنها تحرق».

- المطران مبارك انتقد تعليق الدستور في خطاب ألقاه بمناسبة عيد مار مارون في ٩ شباط/ فبراير ١٩٣٣(٥٥).

- حزب الاستقلال الجمهوري: نشأ مع ظهور التكتلات المسيحية الإسلامية على أثر تعليق الدستور برئاسة عزيز الهاشم (ماروني)، وعادل الصلح (سني) أحد أعضائه البارزين. طالب بالاستقلال والسيادة للبنان وإلغاء نظام الطائفية السياسية واستبداله بالقومية العربية ونظام الكفاءة والجدارة. واجتمع رئيسه وعادل الصلح مع البطريرك عريضة، ووافق البطريرك على مشروعهما المتعلق بالعروبة والاستقلال.

- المؤتمر الوطني: عقد في بيروت في تموز/ يوليو ١٩٣٣ برئاسة الشاعر رشيد نخلة، وضمَّ قوى مسيحية وإسلامية. طالب بإبدال الانتداب بمعاهدة تعقد بين فرنسا من جهة، ولبنان وسوريا من جهة أُخرى، وتقوم على الاستقلال اللبناني في الاتحاد السوري(٥٦).

لقد عبَّرت هذه الهيئات وتلك التي أشرت إليها سابقاً عن حركة سياسية معارضة للإنتداب من منطلقين مختلفين. منطلق وحدوي استقلالي لدى الهيئات التي رفضت الانتداب وما نتج عنه من أوضاع جغرافية ـ سياسية جديدة، وهي في معظمها هيئات كانت قد نشأت قبل الانتداب. ومنطلق آخر كياني استقلالي لدى الهيئات التي لم ترض بالانتداب لكنها لم تعترض على الوقائع الجديدة التي أحدثها، وأكثريتها نشأت بعد الانتداب.

كما ظهرت قوى سياسية أُخرى عندما ركَّز الانتداب سلطته، مستمدَّة حضورها وتأثيرها منه. وأعلنت تأييدها للكيانات التي نشأت، ورفضت الدعوات الوحدوية ولم تجاهر بطلب الاستقلال التام، ودعت للتعاون مع الفرنسيين، ومنها

---

(٥٤) بيهم، المصدر نفسه، ص ٢٩- ٣١.

(٥٥) مراد، المصدر نفسه، ص ٢٢٩.

(٥٦) حسان حلاق، **دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، ١٩١٣- ١٩٤٣: من جمعية بيروت الإصلاحية إلى الميثاق الوطني** (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٥)، ص ١٤٢- ١٤٤ و ١٤٩.

منْ دعم الانتداب. وأبرز من مثّل هذه التوجهات: حزب الشرقّي اللبناني برئاسة الماركيز جان دو فريج، وحزب الاتحاد الديمقراطي برئاسة داود عمون، وحزب العمل ترأسه إبراهيم الأسود، والنادي العربي الماروني ترأسه الدكتور مرشد خاطر، وحزب الوحدة الوطنية الذي أسّسه توفيق لطف الله عواد، وحزب العمران أسّسه وديع عقل، وحزب الائتلاف الذي أسّسه النائب أحمد الحسيني بعد إعلان الدستور وضمَّ عشرة نواب من مختلف الطوائف.

وفي فترة لاحقة تلاشى دور بعض هذه الأحزاب وضعف دور القسم الآخر منها، باستثناء حزب الترقي الذي حدثت تطورات في أوضاعه وانقسم في ما بعد إلى كتلتين: الكتلة الدستورية والكتلة الوطنية[٥٧].

يتضح مما تقدم أن الساحة اللبنانية شهدت انقسامات حول المسألة الوطنية والقومية، إذ إن الهيئات المعارضة للانتداب لم تكن ذات اتجاه واحد، ولم تبادر إلى عمل مشترك ومنظَّم فيما بينها لتفعيل نشاطها في مواجهة سلطات الانتداب أو لتحقيق مطالبها. ولذلك يمكن القول إن نشاط القوى المعارضة في لبنان بعد منتصف العشرينيات كان أقرب إلى حركة معارضة مطلبية مما هو إلى حركة مقاومة شعبية واسعة وفاعلة.

وبعد هذا العرض لتطورات الأوضاع في لبنان والمواقف منها حتى عام ١٩٣٣ حين تأسّست عصبة العمل القومي، فإني سأتطرق الآن إلى أبرز الأوضاع والأحداث التي شهدتها الساحة السورية.

٢ - الأوضاع في سوريا

ذكرت سابقاً أن الفرنسيين أسقطوا حكم الملك فيصل في سوريا عام ١٩٢٠ وقسّموها إلى أربع دويلات طائفية. ولقد واجه السوريون هذه الإجراءات بالثورات والانتفاضات الشعبية العفوية التي اندلعت في عدة مناطق، وكان أبرزها ثورة إبراهيم هنانو في حلب عام ١٩٢٠[٥٨]. وكانت هذه الثورات متفرّقة وغير منظَّمة وعامل التنسيق في ما بينها ضعيفاً، مما سهَّل على الفرنسيين إخمادها دون أن تحقق أي هدف[٥٩].

(٥٧) أشتي، الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩ - ١٩٧٥، ص ٩٢- ٩٣ و١٠٤- ١٠٥.

(٥٨) محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥، ص ١٢٢.

(٥٩) مراد، الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤ - ١٩٤٦، ص ١٥٨- ١٥٩.

ولتفعيل دور الأحزاب الوطنية في واجهة سلطات الانتداب، دعا حزب الاتحاد السوري الأحزاب المعارضة للانتداب والتجزئة، في الوطن والمهجر، إلى عقد مؤتمر في جنيف. وعقد المؤتمر في ٢٧ آب/ أغسطس ١٩٢١ بحضور ثمانية أحزاب، أهمها الحزب المذكور وحزب الاستقلال العربي. وختم المؤتمر أعماله في ٢١ أيلول/ سبتمبر ١٩٢١ بانتخاب لجنة من خمسة أعضاء لملاحقة مقرَّراته، عرفت باللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني. ووجَّه نداءً إلى رئيس عصبة الأمم ومندوبيها يذكِّرهم فيه بمبادئ العصبة، وبمبادئ ويلسون والعهود المقطوعة للعرب، وطالب بإلغاء الانتداب وتصريح بلفور، وجلاء الجيوش الأجنبية عن سوريا وفلسطين ولبنان، وحقهم في الاتحاد والتوحد مع باقي الدول العربية المستقلة، واقترح على عصبة الأمم إرسال لجنة لمعرفة رغبات السكان(٦٠).

وقام عضو لجنة الاستفتاء الأمريكية، كراين، بزيارة إلى سوريا في الأول من نيسان/ أبريل عام ١٩٢٢، من أجل التعرف على مواقف الشعب واستقصاء المواقف فيها. وعاد كراين إلى أوروبا وأمريكا وأعلن أن الشعب في سوريا غير قابل بالانتداب وأعماله، والعداء بين السوريين وسلطات الانتداب ليس دينياً، بل عداءً وطنياً يشترك فيه السوريون جميعهم لأنهم يريدون الاستقلال لبلادهم. وعقب مغادرة كراين لسوريا في ٦ نيسان/ أبريل قامت سلطات الانتداب باعتقال أكثر من أربعمائة شخص من الوطنيين، خاصة الذين تعاونوا مع كراين وسهَّلوا زيارته(٦١).

ونتيجة عدم تلبية الفرنسيين للمطالب الوطنية، وأعمال القمع التي نفَّذتها سلطات الانتداب، أصبحت الثورة كامنة في نفوس الجماهير السورية المعارضة للانتداب. فعقدت اجتماعات ومواثيق اشترك فيها رجال من جبل الدروز ودمشق في أوائل شهر آذار/ مارس عام ١٩٢٥، تعاهدوا فيها على الإعداد للثورة من أجل تحقيق وحدة واستقلال سوريا.

وكانت زيارة بلفور في الثامن من نيسان/ أبريل ١٩٢٥، وإصرار وزارة الخارجية الفرنسية على وضع الدستور السوري في مبنى الوزارة في باريس من جانب لجنة فرنسية، عاملين محركين للثورة، فنشبت في بلدة الكفر(٦٢) في تموز/ يوليو ١٩٢٥ بقيادة سلطان الأطرش. وعلى أثر ذلك عقدت القوى الوطنية اجتماعاً سرياً في

---

(٦٠) فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨ - ١٩٥٥، ص ٨٦- ٨٨.

(٦١) المصدر نفسه، ص ٨٨- ٩٠.

(٦٢) تقع في محافظة السويداء في جبل الدروز.

دمشق في ٢٠ تموز/يوليو، تقرَّر فيه الاشتراك في الثورة ومساندتها. وكانت مطالب الثوار: وحدة البلاد السورية واستقلالها، وتشكيل حكومة وطنية مؤقَّتة، والدعوة لانتخاب مجلس تأسيسي لوضع الدستور وأن يتم الجلاء خلال ثلاث سنوات(٦٣).

واستمرت الثورة إلى عام ١٩٢٧، وعُرفت بالثورة السورية الكبرى لأنها عمَّت عدة مدن ومناطق في سوريا، وبعض المناطق في لبنان، ولاشتراك جميع القوى الرافضة للانتداب فيها.

لم تحقق هذه الثورة هدفها الرئيسي، الوحدة والاستقلال، لكنها أجبرت الفرنسيين على تحقيق بعض المطالب. حيث عُيِّنت حكومة جديدة في ١٤ شباط/فبراير ١٩٢٨ برئاسة الشيخ تاج الدين الحسيني، وفي الوقت ذاته دُعي الشعب السوري لانتخاب مجلس تأسيسي، ووعد المندوب السامي، بونسو، بسن القانون الأساسي للبلاد حسب إرادة السوريين وحريتهم(٦٤).

وأهم الهيئات التي اشتركت فيها:

١ - **الجمعية الوطنية السرية**: تأسَّست في جبل الدروز بقيادة سلطان الأطرش من أجل مقاومة سلطات الانتداب وتحقيق وحدة سوريا واستقلالها(٦٥).

٢ - **حزب الشعب**: تأسَّس في أيار/مايو ١٩٢٥ بقيادة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وأبرز أعضائه: فارس الخوري (نائباً للرئيس)(٦٦) والدكتور إحسان الشريف (أميناً للسر)(٦٧). وكان يهدف إلى وحدة سوريا واستقلالها، وتشكيل حكومة دستورية تصون الوحدة والاستقلال مع مراعاة حقوق ومصالح فرنسا. واختلف مع حزب الاستقلال العربي على منْ يتفاوض مع المندوب السامي، دو جوفينيل.

٣ - **اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني**: أشرت إلى نشأتها سابقاً، لكن مواقف أعضائها لم تكن موحَّدة أثناء الثورة. حيث رفض حزب الاستقلال العربي المنهج السياسي الذي تبنَّته اللجنة في تلك الأيام، وهو: التفاهم مع الفرنسيين على قاعدة إبرام معاهدة معهم لمدة خمسة عشر عاماً وجلاء قوَّاتهم تدريجياً. وانسحب

(٦٣) المصدر نفسه، ص ٩٢- ٩٥.
(٦٤) المصدر نفسه، ص ١٠٧- ١١٠.
(٦٥) المصدر نفسه، ص ٩٣ و٩٦.
(٦٦) حنا خباز وجورج حداد، **فارس الخوري: حياته وعصره** (بيروت: دار صادر، ١٩٥٢)، ص٦٢.
(٦٧) فرزات، المصدر نفسه، ص ١٠١.

الحزب المذكور من اللجنة في أواخر عام ١٩٢٧ متَّهماً آل لطف الله في حزب الاتحاد السوري بأنهم يسعون للحصول على إمارة لبنان، مما أدّى إلى تفكك وانحلال اللجنة التنفيذية.

٤ - الفاعليات التي كانت تعمل للوحدة السورية والاستقلال وساهمت في إنشاء «الكتلة الوطنية» بعد أن خمدت الثورة[٦٨]. وكان موقفها غير منسجم مع النهج السياسي لقيادة الثورة المقرَّبة من الهاشميين، خشية توسُّع نفوذ الهاشميين في سوريا[٦٩].

بعد فشل الثورة وانقسام قواها، بدأ عدد من الفاعليات والوطنيين بالتكتل[٧٠]. وأُولى مظاهر هذا التكتل السياسي ظهرت في ١٩ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٢٧ عندما عقد عدد من القادة السياسيين في سوريا ولبنان مؤتمراً في بيروت حضره: هاشم الأتاسي ومظهر أرسلان ويوسف العيسى وحسن الكيلاني ونجيب البرازي[٧١] والدكتور عبد الرحمن كيالي والأمير سعيد الجزائري وإبراهيم هنانو (سوريا)[٧٢]، وعبد الحميد كرامي ود. عبد اللطيف بيسار وعارف الحسن وعبد الرحمن بيهم ود. عبد الله اليافي (لبنان). وانتهى المؤتمر ببيان أعلن عن التمسك بوحدة العمل السياسي في سوريا ولبنان[٧٣]. وكانت تسوده روح التساهل والاستعطاف[٧٤]، لذا اعتبر أنه نهاية لمرحلة الكفاح المسلح وبداية لمرحلة النضال السلمي.

وبعد عام ١٩٢٧ عرف التكتل المذكور بـ «الكتلة الوطنية» السورية، التي ظهرت كمنظَّمة سياسية في ٤/ ١٠/ ١٩٣٢ على أثر المؤتمر الذي عقده أعضاؤها في حمص، وأقروا فيه القانون الأساسي للكتلة، وأهم ما جاء فيه: تحرير البلاد السورية وإيصالها إلى الاستقلال التام والسيادة الكاملة في جميع أراضيها المجزأة في دولة ذات حكومة واحدة، على أن يبقى للبنان الحق في تقرير مصيره ضمن حدوده القديمة، والعمل مع الأقطار العربية لتأمين اتحادها.

---

(٦٨) المصدر نفسه، ص ١٠٢ و١٠٤- ١٠٦.

(٦٩) محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩ - ١٩٤٥، ص ١١٨.

(٧٠) ستيفن همسلي لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ترجمة بيار عقل (بيروت: دار الحقيقة، ١٩٧٨)، ص ٢٤٠.

(٧١) محافظة، المصدر نفسه، ص ١٣٥.

(٧٢) فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨ - ١٩٥٥، ص ١٠٧.

(٧٣) مراد، الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤ - ١٩٤٦، ص ١٩٤.

(٧٤) فرزات، المصدر نفسه، ص ١٠٧.

وانتهجت الكتلة الوطنية خطاً سياسياً قائماً على مبدأ «التفاهم النزيه» مع سلطات الانتداب والمهادنة لها[٧٥]، ثم تخلَّت عن الوحدة ووقفت ضد أي مشروع وحدوي[٧٦]. وكانت الأكثر انتشاراً ونفوذاً حتى نهاية الثلاثينيات، ولعبت دوراً مؤثراً في الحركة السياسية في سوريا.

وعندما سمحت سلطات الانتداب بإجراء انتخابات لتأليف المجلس التأسيسي لسوريا، أتى هاشم الأتاسي لرئاسة المجلس المذكور، وإبراهيم هنانو رئيساً للجنة إنشاء الدستور، وذلك في العام ١٩٢٨[٧٧]. وفي العام ذاته أعلنت فرنسا عن قيام النظام الجمهوري في سوريا، فأيَّدته الكتلة الوطنية بقوَّة، قاطعة الطريق على أية محاولة لإقامة مملكة في سوريا من جانب الهاشميين[٧٨].

واستهَّل المجلس التأسيسي أعماله مُصدِراً أوَّل دستور لسوريا أقرَّه المجلس النيابي في ١٧ آب/ أغسطس ١٩٢٨، لكن السلطات الفرنسية اعترضت على بعض مواده ومنها، المسائل المتعلقة بالوحدة السورية والتمثيل الخارجي. وأعلنت أنها لن توافق على نشر دستور يتعارض مع المواثيق التي التزمت بها فرنسا. وفي ٧/ ٢/ ١٩٢٩ علَّقت جلسات المجلس إلى أجل غير محدَّد[٧٩].

بدأ العقد الثالث والمجلس التأسيسي معطَّل، وسوريا مجزَّأة إلى أربع دويلات، هي: دولة سوريا وتضم دمشق وحلب ودولة جبل الدروز ودولة العلويين ودولة الإسكندرون. ولكل دولة دستور خاص بها أصدرته سلطات الانتداب في ١٤/ ٣/ ١٩٣٠. ورغم الاعتراضات الشديدة على ذلك، فإن هذه السلطات لم تتراجع عن إجراءاتها، وأقدمت في ١٩/ ١١/ ١٩٣١ على إقالة حكومة الشيخ تاج الدين الحسيني، وفي ٢١/ ١١ شكِّلت حكومة جديدة برئاسة سولاميك، نائب المندوب السامي، بونسو، ودعت الشعب السوري للاشتراك في انتخابات ٢١/ ١٢/ ١٩٣١ وفق الدساتير الجديدة[٨٠].

وبناء على هذه التطورات ضعف أمل الكتلة الوطنية بإمكانية التوصل إلى

(٧٥) محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩ - ١٩٤٥، ص ١٣٥ و١٣٧.

(٧٦) جلال السيد، حزب البعث العربي (بيروت: دار النهار للنشر، [١٩٧٣])، ص ٢٢- ٢٣.

(٧٧) فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨ - ١٩٥٥، ص ١١٠- ١١١ و١٢٣، وتوري، السياسة السورية والعسكريون، ١٩٤٥ - ١٩٥٨، ص ٦٣- ٦٤.

(٧٨) محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥، ص ١١٨.

(٧٩) فرزات، المصدر نفسه، ص ١١١- ١١٣.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ١١٩- ١٢٠، وحسن الحكيم، مذكراتي: صفحات من تاريخ سوريا الحديث، ١٩٢٠ - ١٩٥٨، ٢ ج (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٥- ١٩٦٦)، ج ٢، ص ١٦٧.

معاهدة مع فرنسا تضمن الوحدة والاستقلال لسوريا. وتبدَّد أملها عندما علمت أن المعاهدة التي ينوي الفرنسيون تقديمها إلى المجلس النيابي في نيسان/ أبريل ١٩٣٣ لا تستجيب لهذه المطالب، فانسحبت من المجلس النيابي والحكومة، وفي ٢٠/ ٤ أعلنت عن قطع سياسة التعاون مع سلطات الانتداب إلى أن تظهر بادرة من الفرنسيين تسمح باستئناف التعاون معهم(٨١).

بعد أن فشلت الكتلة الوطنية في تحقيق وحدة سوريا وسيادتها، وعدم تمكُّنها من عقد معاهدة مع الفرنسيين على غرار المعاهدة العراقية ــ الإنكليزية التي أبرمها ملك العراق، فيصل الأوَّل، مع البريطانيين عام ١٩٣٠(٨٢)، وجعلت من العراق قطراً ذا كيان دولي معترف به(٨٣)، وعضواً في عصبة الأمم في ٣/ ١٠/ ١٩٣٣(٨٤)، شهدت الساحة السورية ظهور قوى حزبية جديدة عملت من أجل تحقيق الأهداف الوطنية والقومية.

وكما في لبنان كذلك في سوريا، فلقد ظهرت فيها هيئات لم تعترض على التجزئة، وهي بغالبيتها وجهاء وليست قوى حزبية، وأبرزها:

- **الفاعليات التي تعاونت مع الفرنسيين ولم تعمل للسيادة والاستقلال، مثل:** علاء الدين الدروبي وجميل الألشي وحقي العظم (دمشق)، وصبحي بركات (لواء الاسكندورن)، والدامار أحمد ناجي وشاكر نعمت الشعباني (حلب)، وواثق المؤيد ويوسف الحكيم، وجميعهم اشتركوا في الحكومات التي شكَّلتها سلطات الانتداب(٨٥)، وشيخ العقل ودرويش حمزة وفوزي الأطرش (جبل الدروز)، وعبد الواحد هارون والشيخ شهاب ناصر (بلاد العلويين)(٨٦).

- **حزب الوحدة:** أسَّسه شاكر الحنبلي وحبيب كحَّالة والدكتور مصطفى شوقي. كان ميّالاً للموالاة لسلطات الانتداب ولم يكن له نشاط حزبي صحيح وحُلَّ أثناء الثورة(٨٧).

---

(٨١) فرزات، المصدر نفسه، ص ١٢٤- ١٢٥.

(٨٢) محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥، ص ١١٨.

(٨٣) علي ناصر الدين، هكذا كنا نكتب (بيروت: مطبعة الاتحاد، [١٩٥٢])، ج ١، ص ٦٦.

(٨٤) باسل الكبيسي، حركة القوميين العرب، ط ٢ (بيروت: دار العودة، [١٩٧؟])، ص ١٧.

(٨٥) عبد الله حنا، الحركة العمالية في سورية ولبنان، ١٩٠٠- ١٩٤٥ (دمشق: دار دمشق، ١٩٧٣)، ص ٢٣٢، و فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨ - ١٩٥٥، ص ٨٠- ٨١ و٩٧.

(٨٦) محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥، ص ١٢٥- ١٢٦.

(٨٧) فرزات، المصدر نفسه، ص ١٠٥.

هكذا كانت أبرز الأوضاع السياسية على الساحة السورية قبل نشأة العصبة، ويستشف منها أن هذه الساحة شهدت معارضة اتخذت منحىً مقاوماً للانتداب منذ الأيام الأولى له، لكن هذا المنحى تغيَّر بعد أن أمسكت الكتلة الوطنية بزمام المبادرة السياسية والنضالية، وتحوَّل من منحى شعبي مقاوم إلى حركة مطلبية واسعة لكنها مهادنة، متماثلة إلى حد ما مع نشاط المعارضة على الساحة اللبنانية، مما ساعد سلطات الانتداب على تنفيذ السياسة التي أوكلت إليها والاستمرار بها في لبنان وسوريا. كما يتضح أن الهيئات التي قبلت بالانتداب وتعاونت مع سلطاته لم تلق تأييداً جماهيرياً لموقفها، ودورها في الأحداث كان على قدر ما تلقى دعماً من هذه السلطات.

ولقد شكَّلت هذه الأوضاع جزءاً من الظرف العام لنشأة عصبة العمل القومي. وسأخلص إلى مناقشة حولها بعد عرض أهم المواقف من مسألة الوحدة العربية والأحزاب التي عاصرتها العصبة.

ثالثاً: أهم المواقف الإقليمية والدولية من الوحدة العربية

لقد كانت مسألة قيام الوحدة بين الأقطار العربية شأناً سياسياً يختلف بأهميته عن معظم القضايا السياسية للبلدان العربية. وذلك نظراً لما سيترتب على قيام الوحدة من أهمية بالغة جداً على الصعيد السياسي والعسكري والاقتصادي وكافة المستويات الأخرى للبلدان العربية ومحيطها، بسبب الترابط فيما بين الأحداث الهامة وتأثيراتها في الأوضاع العامة والعلاقات والمصالح القائمة بين الدول الكبرى. ولهذا فإن مواقف الدول الإقليمية والدولية المؤثرة في السياسات العامة كانت حاضرة فيها دائماً. وسأتطرَّق الآن إلى أهم هذه المواقف.

١ - المواقف الإقليمية

إن أهم المواقف الإقليمية المؤثرة في الساحة العربية بشأن الوحدة كانت مواقف الهاشميين (في العراق والأردن) والمملكة العربية السعودية ومصر. لذلك سأشير إلى مواقف هذه القوى الإقليمية فقط.

أ - موقف الهاشميين

وقف الهاشميون بقيادة ملك العراق، فيصل الأول، وأمير الأُردن، عبد الله، إلى جانب القوى الوحدوية، ولم يتأخَّروا عن تقديم العون والمساعدة للثورة السورية الكبرى. وقبل أن يزور الملك فيصل الأول أوروبا في عام ١٩٢٦، أرسل له الثوار

طالبين منه التحدث باسمهم في أوروبا والمطالبة بحقوقهم[٨٨]. وقد تبنّى الملك فيصل مشروع وحدة سوريا والعراق وعمل لتحقيقه بالوسائل الدبلوماسية[٨٩].

وبعد منتصف الثلاثينيات اقتنع الهاشميون قناعة تامة بتعذر تحقيق أي مشروع وحدوي طالما أن الدول الكبرى صاحبة النفوذ معارضة لذلك. وأخذوا يتعاملون «مع الواقع السياسي العربي والدولي تعاملاً واقعياً برغماتياً يأخذ في الحسبان المصالح المحلية والدولية في المنطقة»[٩٠].

ب - موقف المملكة العربية السعودية

كانت مصلحة السعوديين تقضي بالحد من ازدياد النفوذ الهاشمي في المشرق العربي. وعندما كان الملك فيصل يستعد للسفر إلى أوروبا للمطالبة بوحدة سوريا والعراق، أرسلت الفاعليات السياسية في سوريا، التي أنشأت الكتلة الوطنية، إلى ملك السعودية، عبد العزيز بن سعود، شكري القوتلي وبعض الشخصيات السياسية، بهدف التعاون معه للحد من نفوذ الهاشميين، فقدّم ملك السعودية العون والمساعدات للثوار حيث زادت مساعداته عمّا كان قدّمه ملك العراق لهم.

ووقّعت السعودية على اتفاقية مع الفرنسيين في ١٠/ ١١/ ١٩٣١، اعترفت فيها بالانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان، واعترفت فرنسا عبد العزيز بن سعود، وجاء فيها: «تعهد الطرفان بعدم القيام بأي عمل من شأنه الإخلال بالسلام والأمن العام في أراضي كل منهما ولا تغض الطرف عنه»[٩١].

ج - موقف مصر

انعقد في القاهرة مؤتمر برلماني كبير[٩٢] لدعم فلسطين في ٧/ ١٠/ ١٩٣٨، حضره نواب عن جميع البلدان العربية باستثناء السعودية وشرقي الأردن، ونواب من يوغسلافيا والهند والصين. وفي المأدبة التي أقامها رئيس وزراء مصر، محمد محمود باشا، تكريماً للوفود المشاركة في المؤتمر، أشاد بنجاح المؤتمر وتحدّث عن الروابط بين مصر والأقطار العربية[٩٣].

---

(٨٨) محافظة، المصدر نفسه، ص ١١٧- ١١٨.

(٨٩) السيد، حزب البعث العربي، ص ٢٣.

(٩٠) محافظة، المصدر نفسه، ص ٤٧٠.

(٩١) المصدر نفسه، ص ١١٧- ١١٨.

(٩٢) يعود الفضل الأول لعقد هذا المؤتمر إلى محمد علي علوبة باشا أحد أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب في مصر.

(٩٣) أكرم زعيتر، يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥- ١٩٣٩، سلسلة الدراسات؛ ٥٥ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٠)، ص ٤٦٠- ٤٦١ و٤٦٣-٤٦٤.

ولما اجتمعت الوفود العربية في القاهرة قبل انعقاد مؤتمر لندن مطلع عام ١٩٣٩، أقام رئيس وزراء مصر المذكور حفلة لهذه الوفود، قال فيها: إن مصر «... تتطلع إلى البلاد العربية جميعاً، ترجو لها كل الخير وكل عزّة، ما برحت تحرص على التعاون معها في كل ما يدخل في طوقها أن تتعاون فيه. وكيف لا يكون ذلك شأننا وبيننا، فضلاً عن روابط التاريخ، هذه الأواصر المتينة في اللغة والعادات والنظم الاجتماعية، وكلنا نسير إلى غاية واحدة من التقدم، وبلادنا المتخلفة تتطوّر بخطى متشابهة، بحكم اتحاد مصدرها في التاريخ وفي الثقافة. وهذا الشعور المشترك بيننا هو الذي أدى بنا جميعاً إلى أن نعير مسألة فلسطين بالغ اهتمامنا»[٩٤].

ويذكر أرسلان أن بلاط مصر كان يخدم السياسة الفرنسية في الشرق، الهادفة إلى عدم تحقيق أي مشروع وحدوي في البلاد العربية[٩٥].

٢ - المواقف الدولية

بعد الحرب العالمية الأولى وحتى منتصف الثلاثينيات، كانت بريطانيا وفرنسا الأكثر تأثيرًا على الساحة العربية، لكن هذا الوضع تغيَّر بعد الحقبة المذكورة، حيث ظهرت ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية كدولتين منافستين لهما[٩٦]. وانعكس هذا التنافس بينهما على البلاد العربية، فأقدمت ألمانيا وإيطاليا على تشجيع القوى العربية لمعاداة بريطانيا وفرنسا، ووعدتا العرب بتحقيق أمانيهم القومية بالوحدة والاستقلال في حال الانتصار على بريطانيا وفرنسا[٩٧].

وفي أيلول ١٩٣٩ بدأت الحرب العالمية الثانية[٩٨]، وانتهت في عام ١٩٤٥. وكانت نتيجتها انهزام ألمانيا وإيطاليا، وانكفاء النفوذ البريطاني والفرنسي، وظهور الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي كدولتين عظميين لهما تأثير سياسي فعَّال على المستوى الدولي[٩٩]. ولأن مواقف هذه الدول المذكورة هي الأكثر تأثيراً، سأكتفي بالتطرّق إليها دون غيرها.

أ - موقف فرنسا

عندما اندلعت الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥، اجتمع الأمير أمين أرسلان

(٩٤) المصدر نفسه، ص ٥٥٥.
(٩٥) أرسلان، مذكرات الأمير عادل أرسلان، ١٩٣٤- ١٩٥٣، ص ١٣٤٣.
(٩٦) محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥، ص ٤٧٠.
(٩٧) المصدر نفسه، ص ٣٢٦- ٣٢٧.
(٩٨) مراد، الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤ - ١٩٤٦، ص ٢٨٦.
(٩٩) أشتي، الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩ - ١٩٧٥، ص ١٢٤.

ووفد كبير من فاعليات دمشق مع المندوب السامي، دي جوفينيل، للمطالبة بتحقيق وحدة كامل الأراضي السورية. إلا أن دي جوفينيل ردَّ بتصريح قال فيه: «الحرب لمن يريد الحرب والسلم لمن يريد السلم»، وأبدى استغرابه لإلحاح السوريين على المطالبة بالوحدة وقال: «إنَّ مسائل الحدود الخارجية من الجنون التكلّم فيها...»(١٠٠).

وردَّت فرنسا على المطالبة بالوحدة السورية الشاملة، الصادرة عن مؤتمر الساحل الذي انعقد في بيروت عام ١٩٣٣، موضحة أن تماسك أراضي الجمهورية اللبنانية لا يمكن أن يكون موضع شك(١٠١).

ومنتصف الثلاثينيات تولّت الجبهة الشعبية اليسارية بقيادة ليون بلوم الحكومة الفرنسية، فسافر وفد سوري إلى فرنسا في ٢٢/ ٣/ ١٩٣٦، لإجراء محادثات مع المسؤولين الفرنسيين والتوقيع على معاهدة. وأثناء وجود الوفد فيها أرسل البطريرك، أنطون عريضة، رسالة إلى وزير الخارجية الفرنسية، دلبوس، في ١٢/ ٦/ ...... جاء فيها: «نأمل أن نحصل من معاليكم على تأكيد قاطع بأن وحدة الأراضي اللبنانية لا ولن تمس». لم تتأخر فرنسا بالرد، حيث أرسل سكرتير الدولة في وزارة الخارجية رسالة إلى رئيس الجمهورية اللبنانية، إميل إده، في ٢٠/ ٦/ .....، أكَّد فيها محافظة فرنسا على الحدود اللبنانية التي حدِّدت في ٣١/ ٨/ ١٩٢٠. وبعد ما يقارب الستة أشهر من وجود الوفد السوري المفاوض في فرنسا وإصراره على الوحدة، هدَّد الفرنسيون بقطع المفاوضات، فوقَّع الجانب السوري على المعاهدة في ٩/ ٩/ ١٩٣٦(١٠٢) وبتوقيع هذه المعاهدة اعترف الجانب السوري بلبنان وسوريا كدولتين منفصلتين(١٠٣). وبعد توقيعها بشهرين وُقِّعت المعاهدة اللبنانية الفرنسية في ١٣/ ١٠/ .....(١٠٤). وسأوضح ما جاء فيهما أثناء تطرُّقي إلى موقف عصبة العمل القومي منهما.

ولقد تغيَّر الموقف الفرنسي من المعاهدتين بعد أن سقطت الحكومة اليسارية عام ١٩٣٨، وحلَّت مكانها حكومة يمينية كانت تنظر بقلق إلى ضعف النفوذ الفرنسي في

---

(١٠٠) فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨ - ١٩٥٥، ص ٩٥- ٩٦.

(١٠١) مراد، الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤ - ١٩٤٦، ص ٢٢٦.

(١٠٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٧- ٢٥٨ و٢٦١ - ٢٦٢.

(١٠٣) مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦، ص ٦ و٣٧.

(١٠٤) حلاق، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، ١٩١٣ - ١٩٤٣: من جمعية بيروت الاصلاحية إلى الميثاق الوطني، ص ١٧٠.

الشرق، ساعية إلى تدعيم سيطرتها على هذا الجزء الاستراتيجي الهام من العالم[١٠٥]. حيث ظهر في خطاب مندوب فرنسا، المسيو بول بونكر، في أيلول/ سبتمبر، أن فرنسا تريد تعديل المعاهدة السورية ـ الفرنسية[١٠٦]. وصرَّح مقرِّر اللجنة الخارجية في مجلس النواب الفرنسي، غستون ريو، في كانون الأوَّل/ ديسمبر، أن «في سوريا مجموعة شعوب، وأن فكرة المعاهدة خاطئة في ذاتها وأن لجنة ستأتي إلى سوريا لدراسة الحالة من جديد»[١٠٧].

وسُحبت المعاهدة السورية ـ الفرنسية[١٠٨] ولم تصادق عليها فرنسا[١٠٩]، وكذلك لم تصادق على المعاهدة اللبنانية ـ الفرنسية[١١٠].

وبعد منتصف الثلاثينيات، اقتُرحت عدَّة مشاريع اتحادية من جانب العراقيين والمصريين واليهود، لكن فرنسا اعتبرت أي مشروع أو اتحاد عربي سيكون مركز جذب لعرب سوريا ولبنان، ومنطلقاً للهيمنة البريطانية في المنطقة بأسرها، فلم توافق على أي مشروع وحدوي مقترح[١١١].

ب - موقف بريطانيا

رفضت بريطانيا المشاريع الوحدوية، واعتبرت أنه في حال قبول العرب واليهود لأي تسوية لن تكون هناك حاجة لقيام اتحاد فدرالي. وتحجَّجت برفض الملك عبد العزيز بن سعود لأي اتحاد عربي بزعامة الهاشميين، وبالصعوبات القانونية التي تعترض مسألة إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وشرقي الأردن. وأثناء انعقاد مؤتمر المائدة المستديرة لبحث القضية الفلسطينية في لندن عام ١٩٣٩، بادر رئيس الوفد السعودي، الأمير فيصل بن عبد العزيز، بالتعرف على الموقف البريطاني من مشروع نوري السعيد الذي يهدف إلى وحدة الهلال الخصيب، فأكّد له اللورد

(١٠٥) توري، السياسة السورية والعسكريون، ١٩٤٥ - ١٩٥٨، ص ٢٦.

(١٠٦) أرسلان، مذكرات الأمير عادل أرسلان، ١٩٣٤ - ١٩٥٣، ص ١٧٤.

(١٠٧) فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨ - ١٩٥٥، ص ١١٦.

(١٠٨) محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات، ٦ ج في ٤ (صيدا: المطبعة العصرية، ١٩٥٠- ١٩٥١)، ج ٣، ص ٦٥.

(١٠٩) فرزات، المصدر نفسه، ص ١٧١- ١٧٣.

(١١٠) حلاق، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، ١٩١٣- ١٩٤٣: من جمعية بيروت الاصلاحية إلى الميثاق الوطني، ص ١٧٣.

(١١١) محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥، ص ١٥٦ و١٥٩.

هاليفكس بأن الحكومة البريطانية «لم تشجّع قط مثل هذه المشاريع والأفكار، وإن إنشاء اتحاد فدرالي عربي مسألة تترك للمستقبل البعيد»[١١٢].

ج - موقف فرنسا وبريطانيا من لواء الاسكندرون

طمعت تركيا بلواء الاسكندرون، فاتخذت فرنسا موقفاً مؤيداً وداعماً لها في عام ١٩٣٧[١١٣]. وجرت اتفاقية بينهما في ١٩٣٨/٨/٥، حصلت بموجبها تركيا على اللواء، ووقّع الاتفاقية سفير فرنسا في تركيا، هنري بونسو، ووزير الخارجية التركية، توفيق رشدي أراس. وبعد ذلك وسّطت فرنسا الوفد الإنكليزي في عصبة الأمم لإقناع وزير خارجية العراق، توفيق بك السويدي، كي يقبل هذه الاتفاقيّة. ونجح الوفد الإنكليزي في وساطته في ١٩/ ٩/ . . . . ، ووافق السويدي على الاتفاقية مشترطاً أن تصدّق فرنسا نهائياً على المعاهدة التي وقّعتها مع سوريا في ٩/ ٩/ ١٩٣٦، فوافق الفرنسيون على هذا الشرط[١١٤]. وأصدرت عصبة الأمم قراراً في ٢٠/ ٩/ ١٩٣٨ بموجبه ضمت تركيا لواء الاسكندرون إليها، وأصبح يعرف باسم دولة هاتاي[١١٥].

د - موقف إيطاليا

شجّعت إيطاليا العرب على معاداة بريطانيا وفرنسا ووعدتهم إعلامياً بالوحدة والاستقلال، أما فعلياً فقد عملت للحيلولة دون إصدار أي بيان أو إعطاء أي وعد رسمي من جهة ألمانيا أو من جهة دولتي المحور، المانيا وإيطاليا، يعترف بحق العرب في وحدتهم. واتفقت مع ألمانيا وحصلت على اعتراف رسمي منها بأن البلاد العربية تقع ضمن المجال الحيوي لإيطاليا. وبالمقابل وافقت إيطاليا على أن تسيطر ألمانيا على العراق وشبه الجزيرة العربية[١١٦]، عاملة بقيادة الدولتشي، موسوليني، من أجل الاستيلاء على سوريا ولبنان مثلما استولت على ليبيا والحبشة بهدف العودة بإيطاليا إلى أمجاد الإمبراطورية الرومانية[١١٧].

---

(١١٢) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

(١١٣) فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨ - ١٩٥٥، ص ١٦٥-١٦٦، و توري، السياسة السورية والعسكريون، ١٩٤٥ - ١٩٥٨، ص ٢٥.

(١١٤) أرسلان، مذكرات الأمير عادل أرسلان، ١٩٣٤- ١٩٥٣، ص ١٥٧ و١٧٤.

(١١٥) فرزات، المصدر نفسه، ص ١٦٩، ويوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٨٣)، ص ٢٨٣- ٢٨٤.

(١١٦) محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥، ص ٤٧١ و٤٧٣.

(١١٧) المصدر نفسه، ص ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٤٤ و٤٤٩.

هـ - موقف المانيا

حثّت ألمانيا القوى السياسية الوحدوية وغير الوحدوية أيضاً على معاداة بريطانيا وفرنسا، وأغدقت الوعود الإعلامية لهم بتحقيق أمانيهم إن وقفوا إلى جانبها، لكنها فعلياً اعترفت رسمياً بالمجال الحيوي لإيطاليا في البلاد العربية، ولم تعط أي وعد رسمي للعرب بتضمن اعترافها بوحدة البلاد العربية، لأنها كانت دائماً تراعي موقف حكومة فيشي الفرنسية الموالية لها والرافضة إخراج لبنان وسوريا من تحت الانتداب الفرنسي. كما كانت تخشى أن يؤدي ذلك إلى إقلاق تركيا وتغيير موقفها المحايد، بالإضافة إلى أنها لم تكن مهتمة بالأماني الوطنية والقومية للعرب، وحريصة على الالتزامات التي قطعتها لحكومة فيشي الفرنسي وحليفتها إيطاليا وصديقتها إسبانيا(١١٨).

و - موقف الولايات المتحدة الأمريكية

احتجت حكومة الولايات المتحدة على قيام سلطات الانتداب الفرنسي باعتقال رئيس الجمهورية اللبنانية، الشيخ بشارة الخوري، ورئيس الحكومة، رياض الصلح، في عام ١٩٤٣، وأعلنت أنها لا تفهم كيف تشكو الأمة الفرنسية الاعتداء على حريتها في بلادها وهي تعتدي على حرية غيرها. وأرسل وزير الخارجية الأمريكية مذكّرة إلى اللجنة الفرنسية في الجزائر في ٢١/ ١١/ . . . .، طالب فيها بالاستقلال التام للبنان، ثمَّ ظهر تصريح لوزارة الخارجية الأمريكية في ٢٨/ ١١/ . . . .، دلَّ على أن أمريكا طالبت باستقلال لبنان وسوريا(١١٩).

ز - موقف الاتحاد السوفياتي

عندما اعتقلت سلطات الانتداب رئيس الجمهورية اللبنانية ورئيس الحكومة في عام ١٩٤٣، اتصل البلاشفة بالرئيس الفرنسي، شارل ديغول، وأوصوه بالاعتدال. ولم يؤيد الاتحاد السوفياتي الديغوليين في قضية إلغاء المجلس النيابي اللبناني(١٢٠).

ولما رفع لبنان وسوريا شكوى إلى مجلس الأمن الدولي في عام ١٩٤٦، مطالبين بجلاء القوات الفرنسية والبريطانية عن الأراضي اللبنانية والسورية، أيَّد الاتحاد السوفياتي هذا الطلب(١٢١).

---

(١١٨) المصدر نفسه، ص ٤٧٣، و أرسلان، **مذكرات الأمير عادل أرسلان، ١٩٣٤ - ١٩٥٣**، ص ٤٢٠.

(١١٩) أرسلان، المصدر نفسه، ص ٤٢٤، ٤٢٦ و٤٢٨.

(١٢٠) المصدر نفسه، ص ٤٢٦- ٤٢٧.

(١٢١) توري، **السياسة السورية والعسكريون، ١٩٤٥ - ١٩٥٨**، ص ٢٨.

يتَّضح من هذه المواقف التي عرضتها، أنه على الصعيد الإقليمي كان الهاشميون يعملون للوحدة العربية ويدعمون الهيئات الجادة في سبيلها. إلا أن المنحى الذي اتخذوه في عملهم السياسي، وخاصة مطالبة وزير خارجية العراق بتصديق المعاهدة السورية - الفرنسية (١٩٣٦)، حين أُثيرت مسألة لواء الاسكندرون في عصبة الأمم عام ١٩٨٣، يدل على أنهم تراجعوا في عملهم بشأن الوحدة، وشرعوا يتعاملون مع الأقطار العربية وفق ما هي عليه في حدودها الجغرافية - السياسية وتطلُّعاتها الوطنية.

أما السعودية، فقد عارضت إنشاء أي شكل من أشكال الوحدة حفاظاً على مصالحها، لأنها كانت تخشى أن تؤدي الوحدة إلى تقوية وتوسيع نفوذ أخصامها الهاشميين الذين لهم حلفاء كثر في عدة أقطار عربية، فيما كانت السعودية تسعى لتوطيد أوضاعها الداخلية والخارجية تمهيدًا لكي يكون لها مواقف مؤثرة في الشؤون السياسية، ومنافسة الهاشميين على الساحة العربية وإضعاف نفوذهم. ولهذا دعمت الاتجاهات المناوئة للهاشميين وارتبطت بعقود تؤدي إلى تعزيز أوضاعها وإعاقة قيام أي وحدة عربية.

ويتبينُ مما قاله رئيس وزراء مصر، أن مصر كانت تؤيد تضامن البلدان العربية دعماً للنضال الوطني فيها، وإقامة علاقات جيِّدة بينها على قاعدة الروابط القومية العربية التي ترتبط بها. ويبدو من هذا الموقف لرئيس وزرائها، ومن سياسة البلاط المصري، أن الموقف الرسمي لمصر لم يكن مؤيداً لإنشاء أي وحدة عربية.

ورغم الخلاف والصراع الذي وقع بين الدول الأوروبية النافذة، فجميعها كانت فعلياً ضد أي مشروع وحدوي للأقطار العربية.

أما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي، فبعد أن أصبحتا دولتين نافذتين على أثر الحرب العالمية الثانية، أيدتا استقلال لبنان وسوريا كما هما عليه، دالاً ذلك على أنهما لم يشجِّعا وحدة هذين البلدين أيام الحرب العالمية الثانية.

رابعاً: لمحة عن أبرز الأحزاب في لبنان وسوريا في الثلاثينيات

١ - الأحزاب في لبنان

أ - الحزب الشيوعي

تأسَّس في عام ١٩٢١ باسم حزب العمّال[١٢٢]. وعرف باسم حزب الشعب.

(١٢٢) الجسر، ميثاق ١٩٤٣: لماذا كان؟ وهل سقط؟، ص ٥٩.

وفي عام ١٩٢٥ اتحدت معه شبيبة سبارتكس الأرمنية وأصبح يعرف بالحزب الشيوعي اللبناني(١٢٣). وعرف أيضًا بالحزب الشيوعي اللبناني السوري. وكان أقوى الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي، وأكثر الأحزاب تنظيماً(١٢٤). وأبرز مؤسّسيه: يوسف ابراهيم يزبك وفؤاد الشمالي وفؤاد طعمة وبطرس حشمة ونمر وهبة وشفيق مظهر (لبنان)(١٢٥)، وخالد بكداش (سوريا).

ومن أهدافه: إقامة الجمهورية البرلمانية الخالية من أي نفوذ للدول الرأسمالية، تأييد كل حركة تهدف إلى ترسيخ الديمقراطية، ومصادرة أملاك الاقطاعيين(١٢٦)، وتحسين شروط العمل وتطوير الزراعة والصناعة والتجارة، ودعم المدارس الوطنية، وإنشاء نقابات للعمّال والفلاحين، وتحرير المرأة وفصل الدين عن الدولة. ولم يجاهر بالرفض للكيان اللبناني(١٢٧).

وانفصل الحزب إلى حزبين في عام ١٩٤٣، فأصبح يعرف بالحزب الشيوعي اللبناني في لبنان، وبالحزب الشيوعي السوري في سوريا(١٢٨).

ب - الحزب السوري القومي

أسّسه أنطون سعادة في ١٦/ ١١/ ١٩٣٢ في الجامعة الأميركية في بيروت. وأعلن عن تأسيسه في ١/ ٦/ ١٩٣٥ في خطبة ألقاها في الاجتماع الحزبي الثاني، أوضح فيها عقيدة الحزب التي ترفض فكرة القومية العربية. ودعا إلى الإيمان بالعقيدة القومية السورية التي تعني أن سورية للسوريين والسوريين أمة تامة. وسوريا الطبيعية هي ذلك الهلال الخصيب الذي يمتد من جبال طوروس في الشمال إلى قناة السويس في الجنوب، شمالاً شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة، ومن البحر السوري (البحر الأبيض المتوسّط) في الغرب إلى الصحراء في الشرق حتى الالتقاء بنهر دجلة(١٢٩).

وأهم أهدافه: وحدة الأُمة السورية واستقلالها التام، وإلغاء الاقطاعية وتنظيم

---

(١٢٣) أشتي، الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩- ١٩٧٥، ص ٩٦.

(١٢٤) توري، السياسة السورية والعسكريون، ١٩٤٥ - ١٩٥٨، ص ٦٩.

(١٢٥) أشتي، المصدر نفسه، ص ٩٦.

(١٢٦) فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨- ١٩٥٥، ص ١٩٦ و١٩٨.

(١٢٧) أشتي، المصدر نفسه، ص ٩٦ و١١٢.

(١٢٨) المصدر نفسه، ص ٩٦، وأمين السباعي، الأحزاب اللبنانية في مواجهة ١٩٧٠ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٠)، ص ٧٣.

(١٢٩) فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨- ١٩٥٥، ص١٤١ و١٤٤- ١٤٥.

الاقتصاد القومي على أساس الإنتاج، ومنع رجال الدين من التدخل في الشؤون السياسية والقضاء القومي. كما رفض وعد بلفور[(١٣٠)].

وانتشر بشكل واسع في لبنان وسوريا، وبخاصة بين المعلمين والطلبة والشبان المؤمنين بنهضة سوريا وتقدّمها[(١٣١)].

ج - الكتلة الوطنية

ظهرت في عام ١٩٣٥ على أثر معركة الرئاسة بين إميل إده والشيخ بشارة الخوري، حيث تجمّع النواب المناصرون لإميل إده وشكّلوا الكتلة الوطنية. وتبلورت كتيار سياسي أثناء رئاسة الرئيس إميل إده ١٩٣٦ ـ ١٩٤١.

وكانت مدعومة من الفرنسيين ومدافعة عن الكيان اللبناني، وغير منفتحة على العرب. وتحوّلت بعد الاستقلال إلى حزب الكتلة الوطنية.

د - الكتلة الدستورية

تألّفت من بعض النواب بزعامة الشيخ بشارة الخوري، نتيجة المنافسة على رئاسة الجمهورية بين الشيخ بشارة المدعوم من الإنكليز، وإميل إده المدعوم من الفرنسيين. وظهرت بشكل جلي في ٣/ ٣/ ١٩٣٦ عندما قدّمت مذكّرة إلى المندوب السامي، ده مارتيل، تطالبه بعقد معاهدة مع فرنسا تحل محل الانتداب، وبإعادة العمل بالدستور[(١٣٢)]. ومن أعضائها: الأمير مجيد أرسلان وكميل شمعون وبهيج تقي الدين[(١٣٣)].

هدفت إلى استقلال لبنان مع الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع فرنسا. وكانت منفتحة على المسلمين في لبنان، وعلى القوى الوطنية في سوريا والبلاد العربية[(١٣٤)]. وكان رياض الصلح وعبد الحميد كرامي وعادل عسيران يدعمونها في مواقفها المطالبة باستقلال لبنان والانفتاح على العرب[(١٣٥)].

---

(١٣٠) المصدر نفسه، ص ١٤٦- ١٤٧ و١٦١.

(١٣١) توري، السياسة السورية والعسكريون، ١٩٤٥ - ١٩٥٨، ص ٦٩.

(١٣٢) أشتي، الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩- ١٩٧٥، ص ١٠٩ - ١١٠.

(١٣٣) تقي الدين، ولادة الاستقلال، ص ٢٤.

(١٣٤) أشتي، المصدر نفسه، ص ١١٠.

(١٣٥) تقي الدين، المصدر نفسه، ص ٢٤.

هـ - التيَّار الاستقلالي

أبرز ممثّليه كاظم الصلح. وكانت جريدة النداء التي أسَّسها كاظم الصلح في عام ١٩٣٢ تعبِّر عن تطلعات هذا التيَّار المطالبة باستقلال لبنان والوحدة العربية[١٣٦].

ثم طالب التيَّار المذكور بتأجيل المطالبة بالوحدة، وظهر ذلك بوضوح في مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة عام ١٩٣٦ الذي لم يوافق على مقرَّراته الوحدوية الصلح ورفاقه. وبعد انتهاء المؤتمر أصدر الصلح كرَّاس «مشكلة الاتصال والانفصال في لبنان»، وبيَّن فيه أسباب عدم توقيعه ورفاقه على مقرَّرات المؤتمر[١٣٧]، ومطالباً بتفهُّم وضع المسيحيِّين، وتأجيل المطالبة بالوحدة إلى أن يتم التراضي حولها بين كافة الفرقاء والعمل من أجل استقلال لبنان.

وأصبح هذا التيار يعرف بحزب النداء القومي مع مطلع الاستقلال، واكتسب نفوذاً بتحقيق بعض أفكاره الداعية إلى الاستقلال وتولِّي رياض الصلح، المتعاطف معه، لرئاسة الحكومة[١٣٨].

و - الجبهة الوطنية

تأسَّست في ٣/ ٢/ ١٩٣٦ برئسة يوسف السودا، وشغل أمانة السر العامة أمين تقي الدين، وأمانة الصندوق يوسف خوام. ومن مؤسِّسيها: الشيخ يوسف الجميل، وفريد الخازن، والنائب ميشال زكور، والدكتور الياس عاد، والدكتور الياس بعقليني، والدكتور الياس خوري، والأمير رئيف أبي اللمع، وتوفيق ابراهيم رزق، وأسعد أفندي عقل وتوفيق حسن الشرتوني.

هدفت إلى استقلال لبنان، وتمكين روابط الإخاء مع سوريا، وطالبت بدستور يكفل ممارسة الحريات، وإدخال لبنان في عصبة الأمم وتوقيع معاهدة مع فرنسا[١٣٩]. وعُرفت باسم حزب الميثاق الوطني في عام ١٩٣٨[١٤٠].

---

(١٣٦) أشتي، المصدر نفسه، ص ١١٢.

(١٣٧) **مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦ : مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦**، ص ٧٨.

(١٣٨) أشتي، المصدر نفسه، ص ١١٢- ١١٣.

(١٣٩) مكتب التوثيق والتأليف في دار العمل، **تاريخ حزب الكتائب اللبنانية**، ٢ ج (بيروت: دار العمل للنشر، ١٩٧٩)، ج ١: ١٩٣٦ - ١٩٤٠، ص ٥٥.

(١٤٠) الجسر، **ميثاق ١٩٤٣: لماذا كان؟ وهل سقط؟**، ص ٧٥.

ز - حزب الكتائب

تأسَّس في ١٩٣٦/١١/٥ بترخيص من الحكومة اللبنانية، وتألفت اللجنة التأسيسية من : بيار الجميل، وجورج نقاش، وحميد فرنجية، وشارل حلو وشفيق ناصيف. وبعد فترة وجيزة استبدل حميد فرنجية بإميل يارد.

ودوافع تأسيس الحزب يوضحها الشيخ بيار الجميل، فيذكر أن حركة الكتائب لم تنشأ كردة فعل طائفية أو ضد النجادة أو غيرها من الهيئات الوطنية، إنما ضد التيارات الخارجية التي كانت تتجاذب الوطن لإلحاقه نهائياً بفرنسا، أو بالمشاريع الوحدوية التي كانت تطرحها السياسة الدولية بهدف توسيع نفوذ هذه أو تلك من الدول الاستعمارية. ولحل الإشكال في الانتماء الحزبي والطائفي والوطني، من أجل بناء «وحدة الشعب وإعلاء الولاء للوطن كأساس لإنقاذ أمة الغد»[١٤١].

ويرى البعض أن الهدف الأساسي للحزب كان الدافع عن الكيان اللبناني بوجه المطالب السورية والأفكار القومية السورية والعربية[١٤٢]، وإنه اعتمد تشكيلات عسكرية مقلداً الفالانج الاسبانية التي اقتبس عنها اسمه[١٤٣].

واعتبرت الكتائب لبنان وطناً مستقلاً بموجب المعاهدة اللبنانية ـ الفرنسية (١٩٣٦)، وعلى سلطات الانتداب تقليص نفوذها تدريجياً لصالح السلطة الوطنية. وأثناء الأزمة الاقتصادية في لبنان عام ١٩٣٨، تعاونت الكتائب مع النجادة لمجابهة الانتداب[١٤٤].

ح - حزب النجّادة

تأسَّس بعد توقيع المعاهدة اللبنانية ـ الفرنسية (١٩٣٦). وكان تأسيسه تعبيراً عن خيبة أمل الهيئات الإسلامية الوحدوية بتحقيق الوحدة السورية[١٤٥].

هدف إلى استقلال لبنان والمحافظة على هويته العربية وإدخاله في اتحاد عربي. وتعاون مع حزب الكتائب إبّان الاستقلال[١٤٦].

---

(١٤١) مكتب التوثيق والتأليف في دار العمل، المصدر نفسه، ص ٦٩ و٧٩.

(١٤٢) الجسر، المصدر نفسه، ص ٧٥.

(١٤٣) أشتي، الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩- ١٩٧٥، ص ١١١.

(١٤٤) مكتب التوثيق والتأليف في دار العمل، تاريخ حزب الكتائب اللبنانية، ص ١٤٨.

(١٤٥) مراد، الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤- ١٩٤٦، ص ٢٧٥.

(١٤٦) أشتي، الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩- ١٩٧٥، ص ١١٣.

٢ - الأحزاب في سوريا

أ - الحزب الشيوعي

أشرت سابقاً إلى تأسيسه وأهدافه وبأنه كان يعرف بالحزب الشيوعي اللبناني السوري حتى عام ١٩٤٣.

انتشاره في سوريا لم يكن واسعاً ومحصوراً في بعض أوساط المثقفين والمهاجرين العائدين إليها، لكنه لعب دوراً فيها منتصف الثلاثينيات، على أثر تولّي الجبهة الشعبية اليسارية الحكومة في فرنسا وبدء المفاوضات لعقد المعاهدة السورية ـ الفرنسية[١٤٧]، التي وُقّعت عام ١٩٣٦ ووافق الحزب عليها[١٤٨].

ب - الكتلة الوطنية

أوضحت نشأتها وأهدافها خلال تطرّقي للأوضاع في سوريا. وكان لها جماهير في بعض مناطق لبنان[١٤٩].

ج - الحزب السوري القومي

ذكرت سابقاً تأسيسه وأهدافه. ولقد انتشر في سوريا وكان له نشاط بارز فيها[١٥٠].

د - الجبهة الوطنية المتّحدة

تأسّست في ٢٢/ ١٠/ ١٩٣٥ من الذين لم ينضموا إلى الكتلة الوطنية[١٥١]. ضمّت عدداً من السياسيين الذين كانوا سابقاً في الاتحاد الوطني. وكانت معارضة لسياسة الكتلة الوطنية[١٥٢].

---

(١٤٧) فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨-١٩٥٥، ص ١٩٨، و توري، السياسة السورية والعسكريون، ١٩٤٥ - ١٩٥٨، ص ٧٠.

(١٤٨) وليد المعلم، سورية، ١٩١٦- ١٩٤٦: الطريق إلى الحرية (دمشق: دار طلاس، ١٩٨٨)، ص ٢٨٤.

(١٤٩) مراد، الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤- ١٩٤٦، ص ١٩٤ و٢١٨.

(١٥٠) فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨ - ١٩٥٥، ص ١٦٠- ١٦٢.

(١٥١) المصدر نفسه، ص ١٣٦.

(١٥٢) ذوقان قرقوط، تطور الحركة الوطنية في سورية، ١٩٢٠- ١٩٣٩ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٥)، ص ١٧٧.

هدفت إلى: توحيد المناطق السورية الساحلية والداخلية مع حق سكان جبل لبنان في تقرير مصيرهم عن طريق استفتاء، وإبرام معاهدة مع فرنسا تضمنت إلغاء الانتداب والاعتراف بالاستقلال والسيادة التامة لسوريا، ونبذت الطائفية ونادت بوحدة الوطن العربي(١٥٣).

هـ - الهيئة الشعبية

تأسّست عام ١٩٣٧ من السياسيِّين والثوار الذين كانوا منفيّين خارج سوريا. قادها الدكتور عبد الرحمن الشهبندر. انخرطت فيها الجبهة الوطنية المتّحدة، وانضمّ إليها النائب منير العجلاني الذي كان من الأعضاء البارزين في الكتلة الوطنية وأصبح معارضاً بشدة للكتلة بعد منتصف عام ١٩٣٦(١٥٤). وناصبت هذه الهيئة العداء للكتلة الوطنية(١٥٥).

وأهدافها: توقيع معاهدة مع فرنسا لا تقل أهمّيّة عن المعاهدة العراقية - الإنكليزية، وضمان الحريات والمساواة للطوائف والمذاهب، وإنشاء جيش قوي، وتشجيع الاقتصاد الوطني، وجعل التعليم الأوّلي إلزامياً وإدخال سوريا في اتحاد عربي(١٥٦).

و - الأحزاب المتّحدة

تألفت من:

- **حزب الإصلاح**: أسّسه حقي العظم، إقطاعي من دمشق. ضمَّ كبار الموظفين.

- **حزب الاتحاد الوطني**: رئيسه سعيد محاسن. ضمَّ كبار الموظفين وعدداً من الذين كانوا ضبّاطاً في الجيش العثماني.

- **الحزب الملكي**: رئيسه عارف باشاكان أحد الضبّاط الكبار في الجيش العثماني. ضمَّ كبار الشخصيات من الأسر الدمشقية المرموقة.

وجميع هذه الأحزاب تعاونت مع سلطات الانتداب. وفي ٢٢/ ٧/ ١٩٢٩

---

(١٥٣) فرزات، المصدر نفسه، ص ١٣٦.

(١٥٤) قرقوط، المصدر نفسه، ص ١٧٨.

(١٥٥) حنا، الحركة العمالية في سورية ولبنان، ١٩٠٠- ١٩٤٥، ص ٢٣٢.

(١٥٦) فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨- ١٩٥٥، ص ١٨١.

اتحدت مع بعضها وانضمَّ إليها حزب الوطنيين المعتدلين بزعامة شاكر نعمة، فأصبحت تعرف باسم الأحزاب المتَّحدة برئاسة حقي العظم.

وهدفت إلى تشكيل حكومة قوية وإبرام معاهدة مع سلطات الانتداب، وسن دستور يتفق مع وجهات نظر سلطات الانتداب وانتخاب مجلس نيابي تقدَّم له المعاهدة والدستور الجديد. واستمرت عاملة في الثلاثينيات لتحقيق أهدافها، مطالبة بالتعاون التام مع سلطات الانتداب(١٥٧).

بعد هذا العرض لأهم أحزاب الثلاثينيات في لبنان وسوريا، يتّضح أنها تندرج ضمن ثلاثة اتجاهات هي:

- **الاتجاهات الوحدوية**: وهي الأحزاب التي عملت للوحدة، مثل: حزب الاستقلال العربي، والحزب السوري القومي، والجبهة الوطنية المتَّحدة والهيئة الشعبية.

- **الاتجاهات الكيانية**: وهي الأحزاب التي لم تعمل للوحدة ولا للعروبة، مثل: حزب الترقي والكتلة الوطنية وحزب الكتائب (لبنان)، والأحزاب المتّحدة (سوريا).

- **اتجاهات التسوية**: وهي الأحزاب والهيئات التي لم تطالب بالوحدة، إنما طالبت بالاستقلال والسيادة والعروبة، مثل: حزب الاستقلال الجمهوري والمؤتمر الوطني الذي عُقد في بيروت. وتعزَّز هذا الاتجاه عندما أجِّلت أو تخلَّت بعض الهيئات الوحدوية عن المطالبة بالوحدة مقابل الحصول على الاستقلال، مثل: جمعية اتحاد الشبيبة الإسلامية والاتجاه الاستقلالي وحزب النجَّادة (لبنان)، الكتلة الوطنية (سوريا)، والحزب الشيوعي اللبناني السوري. مترافقاً ذلك مع ظهور أحزاب في الأوساط المسيحية اللبنانية منفتحة على العرب ومطالبة بالاستقلال، مثل: الكتلة الدستورية والجبهة الوطنية.

خامساً: مناقشة

لقد نشطت الحركة القومية العربية في بلاد المشرق العربي في العقد الأول من هذا القرن مستفيدة من الظروف الدولية عشية الحرب العالمية الأولى، حيث انقسمت الدول الكبرى إلى معسكرين متنافسين. وكانت مصلحة العرب في تلك الظروف

---

(١٥٧) محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥، ص ١٢٦- ١٢٧ و١٣٧.

التحالف مع معسكر الحلفاء بزعامة بريطانيا وفرنسا، اللتين كانتا في موقع الخصم لتركيا في معسكر الدول الوسطى. كما أن مصلحة بريطانيا وفرنسا كانت تقضي بتشجيع انبعاث حركات التحرّر وتأييد أهدافها في البلدان التي كانت تسيطر عليها الدول المعادية لهما.

إلا أن العرب تحالفوا مع الحلفاء على قاعدة التحرر من الحكم التركي وتحقيق أهداف القضية العربية بالوحدة والاستقلال والسيادة القومية، وبعد الوعود التي قطعتها لهم بهذا الشأن بريطانيا وفرنسا. بينما الدولتان المذكورتان شجّعتا ودعمتا الحركة القومية العربية انطلاقاً من موقف براغماتي يخدم المصالح الاستعمارية لهما، أي كسب ود العرب مرحلياً من أجل إضعاف الدولة التركية وتوسيع جبهة الأعداء لها من جهة أولى، والحلول محل النفوذ العثماني في المشرق العربي بعد تحقيق الانتصار على معسكر الدول الوسطى من جهة ثانية، وذلك بهدف استعمار البلاد العربية.

فلما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها بانتصارالحلفاء والعرب على أعدائهم، وخروج تركيا من الأراضي العربية، نكثت بريطانيا وفرنسا بوعودهما للعرب، وانقلبتا إلى دولتين عدوّتين للحركة القومية العربية، عاملتين على تنفيذ إتفاقية سايكس-بيكو وفق مقرّرات مؤتمر سان ريمو، في الوقت الذي كانت فيه الحركة العربيّة ما تزال فتيّة غير قادرة على التصدّي للمستعمرين الجدد دفاعاً عن السيادة الوطنية والأماني القومية.

وكانت نتيجة تنفيذ مقرّرات المؤتمر المذكور أن وقع المشرق العربي تحت الانتداب البريطاني-الفرنسي. حيث وقع العراق وشرق الأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني، ولبنان وسوريا تحت الانتداب الفرنسي. ومنذ ذلك الحين، بدأ تطبيق وعد بلفور بهدف إنشاء دولة يهودية في فلسطين. فكانت هذه الوقائع الجديدة ضربة كبيرة لما كان يسعى إليه العرب وأحرارهم الذين ناضلوا قبل الحرب العالمية الأولى وأثنائها من أجل القضية العربية، واستشهد منهم الكثير من المناضلين في سبيل تحقيق أهدافها. وهكذا أصبح العرب في مطلع عام ١٩٢٠ مستعمرين من جانب حلفائهم بالأمس البريطانيين والفرنسيين.

وإمعاناً في نكران العهود، أقدمت فرنسا على تقسيم سوريا إلى أربع دويلات طائفية بهدف تفكيك وحدة الشعب وإضعاف الروح القومية فيها. وأسقطت بريطانيا الحكم الهاشمي في شبه الجزيرة العربية قبل أن يقوى ساعده ويصبح عائقاً أمام المخطّطات الاستعمارية، لأن هذا الحكم رفض الانتداب والتجزئة وإعطاء امتيازات لبريطانيا.

وفي ظل نفوذ بريطانيا في شبه الجزيرة العربية وسيطرتها على قسم من المشرق العربي، وسيطرة فرنسا على القسم الآخر منه، وعلى قاعدة التجزئة، نشأت أنظمة ملكية في المناطق التي سيطرت عليها بريطانيا أو كانت نافذة فيها، وأنظمة جمهورية في المناطق التي سيطرت عليها فرنسا، عاكساً هذا التطور في الأوضاع السياسية العربية تبعية للدول الاستعمارية، وعدم تبلور مشروع إنشاء دولة عربية واحدة أو موّحدة لدى العرب، إضافة إلى تكريس سياسي وإداري غير متماثل للبلدان العربية بهدف إعاقة قيام أي مشروع وحدوي فيما بينها في المستقبل.

وتتابع تطور الأوضاع على النحو الذي أشرت إليه في النصف الأوّل من العشرينيات تراجعاً في نشاط الحركة القومية العربية، تمثّل في معارضة خجولة للانتداب وما تبعه، ومقاومة عفوية متفرّقة لسلطاته دون أن تؤدّي هذه أو تلك إلى نتائج وطنية ملموسة تبعث الأمل في إمكانية تحقيق الأماني القومية. وظهرت في لبنان وسوريا هيئات وأحزاب أخذت تتعاون مع سلطات الانتداب لتثبيت الواقع الجديد .

إلا أن التراجع الذي أصاب الحركة العربية ما لبث أن انفجر ثورة شعبية كبرى في سوريا، وبعض المناطق اللبنانية، معبّرة عن سخط شعبي واسع على واقع ذلك الحين. ولم تحقّق الثورة أهدافها بسبب الخلل في ميزان القوى لصالح الفرنسيين. غير أن ذلك لا يمنعني من القول إن الأحزاب و الهيئات التي شاركت فيها لم تكن بمستوى الظروف الثورية التي تصاعدت حينها، ودليلي على ما أشرت إليه الانقسام في صفوف بعضها وفيما بينها، والذي أيضاً لعب دوراً في عدم تحقيق أهداف الثورة، إضافة إلى أنها كانت تتشكّل من فاعليات ومناصرين لها أكثر مما كانت أحزاباً جماهرية منظّمة، فتفكّك بعضها وتراجع دور البعض الآخر منها عقب إخماد الثورة.

لكن هذه الثورة وإن لم تحقّق أهدافها، إلا أنها أدت إلى انتعاش مناخ وطني وقومي بعد أن كانت قد تراجعت المعارضة والمقاومة للمستعمرين قبلها. فأثناءها وبعدها، انعقدت عدّة مؤتمرات طالبت بالوحدة والاستقلال، وأحدها أقرّ تنظيم الجهود وتوجيهها لتحقيق الأهداف المذكورة. كما تصاعدت المعارضة من جانب الهيئات والفاعليات الوطنية في عدة طوائف للانتداب وممارسة سلطاته وحكوماته. واستجابت السلطات الفرنسية لبعض المطالب الوطنية في سوريا ولبنان.

والملاحظ أنه عقب إخماد الثورة خلت الساحتان اللبنانية والسورية من تنظيم مقاوم قادر على متابعة المسار لتحقيق الأهداف الوطنية والقومية. وبدلاً من رصّ صفوف فصائل حركة التحرّر واستنهاض الجماهير، ظهرت التناقضات السياسية بين

تلك الفصائل، كان أبرزها عدم انسجام بعض الهيئات والفاعليات مع النهج الوحدوي العربي للثورة، خوفاً من ازدياد نفوذ الهاشميين في سوريا وإنشاء مملكة فيها. وانطلاقاً من تلك المواقف، وتأسيساً على صعوبة تحقيق الأهداف المنشودة عن طريق المقاومة، نشأت الكتلة الوطنية (السورية) متخلّية عن الوحدة العربية وقابلة بالنظام الجمهوري، ونحت نحو التفاهم مع الفرنسيين منتهجة خطاً مهادناً لسلطاتهم بهدف تحقيق استقلال سوريا ووحدتها.

ولهذا أرى أنه لم يستفد من تصاعد المناخ الوطني على أثر الثورة، ولم يعمل بعدها لاستنهاض الجماهير للكفاح وتنظيمها على هذا الأساس، فيما استغلت سلطات الانتداب الفرنسي ظروف المهادنة لها، وخلو الساحة من تنظيم مقاوم لسياستها، والانقسام حول الوحدة، فسارعت إلى إجهاض المكتسبات الوطنية في سوريا، وشدّدت إجراءاتها التعسّفية في لبنان.

وهكذا لم يتمكن النهج المهادن من تحقيق أهدافه حتى الأوائل من الثلاثينيات، مترافقاً ذلك مع غياب لمشروع سياسي متبلور يعيد الاعتبار لحركة التحرر العربية، ويلهم الجماهير للنضال في سبيل تحقيق الأماني الوطنية والقومية والعربية.

ولقد دلّت المواقف الإقليمية والدولية من الوحدة في البلاد العربية على أن صعوبات كثيرة كانت تقف عائقاً أمام تحقيقها. فعلى الصعيد الإقليمي، كانت السعودية تعارض قيام أي مشروع وحدوي لأسباب سبق أن أوضحتها، وكانت مصر مع التعاون فيما بين الدول العربية وليس مع وحدتها، والهاشميون تراجعوا عن العمل لتحقيقها بعد منتصف الثلاثينيات، متأثرين بالمعارضة الدولية لها، وبالواقع السياسي الذي أفضى إلى نشوء أنظمة تعمل للحفاظ على مصالحها المحلية.

أما على الصعيد الدولي، فإن التنافس بين الدول الكبرى لم يؤد إلى استجابة فعلية لمطلب العرب بالوحدة من جانب أي دولة. فبريطانيا وفرنسا اللتان قسّمتا الأراضي العربية إلى مناطق نفوذ لتحقيق مطامعهما وإنشاء كيان لليهود فيها، كان من الطبيعي أن تقفا ضد أي مشروع يخالف مصالحهما الاستعمارية بإبقاء البلاد العربية غير موحّدة. وكان تأييد ألمانيا وإيطاليا للهيئات العربية المطالبة بالوحدة موقفاً تكتيكياً، على غرار الموقف البريطاني والفرنسي عشية الحرب العالمية الأولى، وغايته التحالف مع العرب مرحلياً ودعمهم لإضعاف نفوذ بريطانيا وفرنسا والحلول محلّهما على الساحة العربية. ورغم اشتداد المنافسة بين الدولتين الأخيرتين من جهة، وألمانيا وإيطاليا من جهة أخرى، فإن جميع هذه الدول كانت ضد أي شكل من أشكال الوحدة، منعاً لقيام دولة عربية قوية تقف عائقاً أمام المصالح الاستعمارية في البلاد العربية.

لذا كان ميزان القوى على الصعيدين الدولي والإقليمي ليس لصالح تحقيق أي مشروع وحدوي.

ولقد كثرت الأحزاب في لبنان وسوريا في الثلاثينيات وتباينت في أهدافها. إنما الملاحظ أن تيّار التسوية نما بعد منتصف تلك المدة، عاكساً حالة من التراجع في مطلب تحقيق الوحدة مقابل الحصول على الاستقلال عند الهيئات الوحدوية، وميلاً للعروبة وتمكين التآخي بين البلدان العربية عند الهيئات الكيانية الاستقلالية.

وفي تلك الظروف التي اتسمت بالفشل في تحقيق الأهداف الوطنية والقومية، وبالحذر في نشاط حركة التحرّر العربية، والميل في ميزان القوى إقليمياً ودولياً لصالح المعارضين للوحدة، ونمو اتجاهات المهادنة والتسوية، نشأت عصبة العمل القومي ونشطت لتحقيق أهدافها.

وقبل أن أتطرّق إلى دورها سأخصّص الفصل الثاني للبحث في تكوينها.

الفصل الثاني

تكوين العصبة

مقدّمة

على أثر عدَّة لقاءات بين عدد من المناضلين القوميين العرب تمّت فيها مناقشة الأوضاع العربية من عدَّة جوانب، اتفق هؤلاء المناضلون على تأسيس عصبة العمل القومي وعقد المؤتمر التأسيسي لها في جبل لبنان. وقد أوضح لي ذلك د. محمد علي الرز قائلاً: «في تلك الفترة الممتدَّة من أواخر العشرينيات حتى عام ١٩٣٣، كان عدد من المثقفين المناضلين القوميين العرب من عدَّة أقطار عربية يلتقون مع بعضهم البعض في لبنان وفلسطين وسوريا ومرَّات قليلة في العراق، بهدف مناقشة الأوضاع العربية وتأسيس حزب للنضال على الصعيد القومي العربي وليس القطري. وبعد لقاءات عديدة بين أولئك المناضلين، اتفقوا على تأسيس عصبة العمل القومي كمنظَّمة قومية عربية، تهدف إلى تحقيق الأماني الوطنية والقومية. كما اتفقوا على عقد المؤتمر التأسيسي لها في جبل لبنان لأنه كان مركزاً للاصطياف. فأخذ مؤسّسو العصبة هذا الوضع بعين الاعتبار وحلّوا فيه كمصطافين لإبعاد الشبهات عنهم، حرصاً منهم على نجاح المؤتمر التأسيسي للعصبة»[1].

ويشير الأُستاذ إبراهيم الخوري إلى أن علي ناصر الدين بعد أن تعرَّف على المحامي فهيم الخوري في بيروت، جمعتهم صداقة متينة، ثم توسَّعت هذه الصداقة فشملت صلاح بيهم وقسطنطين يني[2] وسواهما من القوميين العرب في مطلع الثلاثينيات. واتفق هؤلاء الأصدقاء مع عبد الرزاق الدندشلي من وطنيِّي الشام على تأسيس عصبة العمل القومي. ويضيف مشيراً إلى أن الوفاء للشهداء الذين أُعدموا إبَّان الحرب العالمية الأولى كان قد جمع بين هؤلاء الوطنيين، فألَّفوا عصبة تكريم الشهداء[3].

ولقد تأسَّست عصبة التكريم في عام ١٩٢٧[4] وجاء في قول علي ناصر الدين

(١) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١/ ١٠/ ١٩٩٠.

(٢) علي ناصر الدين وصلاح بيهم وقسطنطين يني أصدقاء ورفاق من قبل أيام الحرب العالمية الأولى.

(٣) علي ناصر الدين، صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث، أخرجته لجنة إحياء ذكرى المجاهد علي ناصر الدين (بيروت: [د. ن.]، ١٩٨٠)، ص ٢٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٦.

عن نشاطها: «. . . ونحج مشياً إلى مدافنهم[*] . . حيث نصلي، ونخطب، ونجدد عهدنا أمام الله، وأمام جماهير الشعب. . . على الاستمرار في النضال، في سبيل ما ناضل الشهداء في سبيله: التحرر والاستقلال والإتحاد»[٥].

وأشرت سابقاً إلى أن المؤتمر العربي الذي انعقد في القدس عام ١٩٣١، وحضره نحو السبعين من رجالات العرب في آسيا وأفريقيا، كان إيذاناً بالعمل العربي المنظَّم في سبيل القضية العربية.

ولقد انبثق هذا المؤتمر العربي عن المؤتمر الإسلامي العالمي الذي انعقد في القدس في العام نفسه. وكان علي ناصر الدين أحد الذين دعوا خلال انعقاد المؤتمر الإسلامي إلى عقد المؤتمر العربي المشار إليه[٦]، ووقَّع هو وصلاح بيهم على الميثاق الذي صدر عن المؤتمر العربي[٧].

ويذكر أكرم زعيتر أن عبد الرزاق الدندشي أسَّس عصبة العمل القومي في دمشق[٨].

كما ورد في مذكَّراته المؤرَّخة في ١٩٣٣/٦/٣٠ ما يلي: «تلقيتُ تلفوناً من السيد عجاج نويهض في القدس يطلب إليّ فيه الحضور من نابلس إلى القدس للقاء أخوين وطنيين جاءا من دمشق للاجتماع بناء عليه، بادرت إلى السفر إلى القدس، ويمّمت بيت عجاج رأساً، حيث وجدت أن الدكتور رشدي الجابي والدكتور عبد الكريم العائدي وهما من كبار وطنيي دمشق، قد قدما من دمشق خاصة للاجتماع بلفيف من أركان حزب الاستقلال. وقد كان السيد نبيه العظمة والأستاذان عوني عبد الهادي وعزة دروزة والسيد رشيد الحاج إبراهيم والدكتور سليم سلامة موجودين. . . ثم فهمنا أن نخبة من شبان سوريا يتزعمهم الوطني المعروف عبد الرزاق الدندشي قد أجمعت أمرها على الدعوة إلى عقد مؤتمر عربي، يحمله نخبة من حملة الفكر الوطني العربي في سوريا وفلسطين ولبنان والعراق، تنبثق منه منظمة عربية وطنية أو حزب عربي عام، وتكون دمشق مركز هذه المنظمة. . . وقد فهمت

(*) المقصود: مدافن شهداء ٦ أيار/ مايو.

(٥) قسطنطين يني، صفحة من التاريخ القومي العربي الحديث، أخرجته اللجنة التي أحيت ذكرى قسطنطين يني في قاعة دار الكتب اللبنانية (بناية المجلس النيابي) (بيروت: [د. ن.]، ١٩٤٨)، ص ٢٢.

(٦) ناصر الدين، صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث، ص ١٤.

(٧) محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات، ٦ ج في ٤ (صيدا: المطبعة العصرية، ١٩٥٠- ١٩٥١)، ص ٣٠٣.

(٨) أكرم زعيتر، يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥- ١٩٣٩، سلسلة الدراسات؛ ٥٥ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٠)، ص ٤.

منهما أن النية معقودة على تسمية هذا التنظيم العربي الجديد بـ «عصبة العمل القومي»[٩].

وتشير جريدة الشعب إلى الآتي: «قدم من فلسطين بعض كبار المشتغلين بالقضية العربية عرفنا منهم الأستاذ أكرم زعيتر، ووصل أيضاً من العراق بعض شبابه وقد علمنا أن هؤلاء السادة قد تلقوا وهم في بلادهم دعوة عصبة العمل القومي بدمشق للاشتراك في بحوث المؤتمر الكبير الذي قررت العصبة عقده.. والمعروف أن لعصبة العمل القومي في فلسطين والعراق وشرقي الاردن فروعاً منظمة وقد استعدت هذه الفروع لتأييد المقررات التي سيضعها المؤتمر. هذا وقد علمت أن شبان العرب في البلاد المجاورة قد أعطوا ثقتهم إلى عصبة العمل القومي...»[١٠].

ويقول د. علي محافظة: «ووجد الشباب المثقف، ... أن سياسة الكتلة الوطنية القائمة على مبدأ «التفاهم النزيه» مع سلطات الانتداب والمهادنة المسالمة التي تنتهجها نحوها، والتعاون التام مع السلطات الفرنسية الذي تنادي به الأحزاب المتحدة لا تلبي طموحاتهم السياسية ولا تتفق والاتجاهات الجديدة التي يحملونها. لذا، أنشأ هؤلاء «عصبة العمل القومي...»[١١].

يظهر مما تقدَّم أن عصبة تكريم الشهداء كانت الحلقة الأُولى، أو المحاولة الأُولى، في مسار العمل لتأسيس تنظيم قومي عربي منظَّم من أجل تحقيق أهداف القضية العربية، وأن اتصالات عربية واسعة جرت بين المناضلين العرب على هذا الأساس. وعلى أثر هذه الاتصالات، خاصة بعد انعقاد المؤتمر العربي في القدس، تشكَّلت النواة الأُولى لعصبة العمل القومي في عدَّة بلدان عربية.

كما يتبيَّن أن دمشق كانت مركز الاتصال بين نواة العصبة، وأن هذه النواة تطوَّرت أوضاعها واتخذت شكلاً تنظيمياً في عام ١٩٣٣، وذلك انطلاقاً من رؤية جديدة لأُسس الجهاد ومستقبل البلدان العربية، وعلى قاعدة التصدِّي للانتداب وعدم مهادنة سلطاته.

وبغض النظر عمَّا إذا كانت النواة الأُولى للعصبة قد تشكَّلت أولاً في هذه

---

(٩) بو علي ياسين، محمد جمال باروت ومحمد نجاتي طيارة، الأحزاب والحركات القومية العربية، تنسيق وتحرير فيصل دراج وجمال باروت، ٢ ج (دمشق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، [٢٠٠٣])، ج ١، ص ٦٢.

(١٠) الشعب (دمشق)، ٢٥/٨/١٩٣٣، ص ٢.

(١١) علي محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥، مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية؛ ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥)، ص ١٣٧.

المدينة أو تلك، أو في هذا البلد العربي أو ذاك، فإن هذه النواة أصبحت منظَّمة سياسية بعد أن التحمت على أثر انعقاد المؤتمر التأسيسي للعصبة.

فأين وكيف انعقد المؤتمر التأسيسي للعصبة؟ وما هي ظروف نشأتها من وجهة نظر مؤسِّسيها؟ ومنْ هم مؤسِّسوها؟ وما هي أهدافها ووسائل عملها؟ وبماذا تميَّزت؟ هذا ما سوف أوضِّحه وأناقشه وفق التقسيم التالي:

أوَّلاً: التأسيس والمؤسِّسون.

ثانياً: أهداف العصبة ووسائل عملها.

ثالثاً: تنظيم العصبة.

رابعاً: تميُّز نشأة العصبة.

خامساً: مناقشة.

أوَّلاً: التأسيس والمؤسِّسون

١ - التأسيس

انعقد المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي في بلدة قرنايل[*] في لبنان، في فندق سعد زغلول، من ٢٤ إلى ٢٩ آب/أغسطس عام ١٩٣٣م، بحضور نخبة من الشباب القومي العربي الذين تنادوا من لبنان وسوريا وفلسطين والعراق ومصر لوضع أُسس النضال من أجل القضية العربية[١٢].

وقد أخطأت بعض المراجع في الإشارة إلى أن العصبة تأسَّست في عام ١٩٣٥[١٣] فبيان مؤتمرها التأسيسي[١٤] وجرائد عام ١٩٣٣ تثبت ما أشرت إليه عن مكان وتاريخ تأسيسها[١٥].

(*) تقع في جبل لبنان ضمن قضاء بعبدا، في منطقة المتن الأعلى بالقرب من حمانا.

(١٢) ناصر الدين، صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث، ص ٩، ١٤ و٤٦.

(١٣) ستيفن همسلي لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ترجمة بيار عقل (بيروت: دار الحقيقة، ١٩٧٨)، ص ٢٨٦، وجوردون هـ. توري، السياسة السورية والعسكريون، ١٩٤٥ - ١٩٥٨، ترجمة محمود فلاحة، ط ٢ (دمشق: دار الجماهير، ١٩٦٩)، ص ٦٦.

(١٤) انظر بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي في الملاحق من هذا الكتاب.

(١٥) الشعب، ٣٠/٨/١٩٣٣، ص٢؛ البيرق (دمشق)، ٣١/٨/١٩٣٣، ص ١؛ الصحافي التائه (بيروت)، ٣١/٨/١٩٣٣، ص ٤، وصوت الاحرار (بيروت)، ٣١/٨/١٩٣٣، ص ٤.

انعقد المؤتمر سرّاً «كي لا يشوش على المجتمعين مشوش»[١٦]، ودامت أعماله خمسة أيام[١٧] بلياليها دون أن تعلم سلطات الانتداب به[١٨]، وكأنه وقّع في الصين وليس في قرنايل الحسناء أجمل مصايف لبنان[١٩].

وكان عدد المشاركين في المؤتمر أربعين شخصاً حسب جريدة **الصحافي التائه**[٢٠]، وخمسة وأربعين شخصاً حسب جريدتي **البيرق** و **الشعب**[٢١]، وخمسين شخصاً حسب جريدة **صوت الأحرار**[٢٢]. وتولّى إدارة أعمال المؤتمر الدكتور رشدي بك الجابي (الدمشقي)[٢٣]، وكان الأُستاذ أبو الهدى اليافي سكرتيراً للمؤتمر[٢٤]، وأكرم زعيتر نائباً للرئيس[٢٥]، والمحامي الدكتور عبد الرزاق بك الدندشلي مفوّضاً بإذاعة أخبار المؤتمر[٢٦].

ومن الذين اشتركوا في التأسيس أيضاً: علي ناصر الدين[٢٧]، والشيخ قسطنطين يني[٢٨] وفهيم الخوري[٢٩]، ورشيد معتوق، ونقولا خير[٣٠]، وفؤاد النكدي[٣١]، وصلاح الدين بيهم[٣٢]، وعزت قريطم[٣٣]، وكاظم الصلح، وتقي الدين الصلح،

(١٦) **الشعب**، ٣٠/ ٨/ ١٩٣٣، ص٢.
(١٧) **البيرق**، ٣١/ ٨/ ١٩٣٣، ص ١، و**الصحافي التائه**، ٣١/ ٨/ ١٩٣٣، ص ٤.
(١٨) **صوت الأحرار**: ٣/ ٩/ ١٩٣٣، و٤/ ٩/ ١٩٣٣، ص ١.
(١٩) **الصحافي التائه**، ٣١/ ٨/ ١٩٣٣، ص ٤.
(٢٠) المصدر نفسه، ص ٤.
(٢١) **الشعب**، ٣٠/ ٨/ ١٩٣٣، ص٢، و **البيرق**، ٣١/ ٨/ ١٩٣٣، ص ١.
(٢٢) **صوت الأحرار**، ٣١/ ٨/ ١٩٣٣، ص ٤.
(٢٣) المصدر نفسه، ص ٤.
(٢٤) المصدر نفسه، ص ٤.
(٢٥) **صوت الأحرار**، ٦/ ٩/ ١٩٣٣، ص ١.
(٢٦) **الشعب**، ٣٠/ ٨/ ١٩٣٣، ص٢.
(٢٧) ناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ١٤.
(٢٨) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١/ ١٠/ ١٩٩٠، ومقابلة مع المحامي أديب خليل مجاعص في ١٩/ ١٠/ ١٩٩٠.
(٢٩) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١/ ١٠/ ١٩٩٠، ومقابلة مع الأستاذ ابراهيم فهيم الخوري في ٤/ ٩/ ١٩٩١.
(٣٠) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١/ ١٠/ ١٩٩٠، ومقابلة مع المحامي وائل نقولا خير في ٤/ ٩/ ١٩٩١.
(٣١) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١/ ١٠/ ١٩٩٠، ومقابلة مع الأستاذ خالد بديع النكدي في ٢٤/ ٩/ ١٩٩١.
(٣٢) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١/ ١٠/ ١٩٩٠، ومقابلة مع السيِّدة عفت حسن القاضي في ٢٧/ ٩/ ١٩٩١.
(٣٣) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١/ ١٠/ ١٩٩٠، ومقابلة مع السيِّدة ناديا عادل الطويل في ٣/ ١٠/ ١٩٩١.

ومحمد الباقر وفريد زين الدين (لبنان)[٣٤].

عبد الرحمن الجوخدار، وفهمي المحايري[٣٥]، وصبري العسلي، وعبد الكريم العائدي، وشفيق سليمان، وعبد القادر الميداني، وعرفان الجلاد، ومكرم الأتاسي، ومظهر القوتلي[٣٦]، ومدني الخيمي[٣٧]، وسيف الدين الطباخ[٣٨] وأحمد الشرباتي (سوريا)[٣٩].

عبد المجيد القصاب[٤٠]، وسعيد الحاج ثابت، ومولود مخلص[٤١]، وثابت العزاوي وسامي شوكت (العراق)[٤٢] وواصف كمال (فلسطين)[٤٣].

أما المواضيع التي بحثها المؤتمر فهي «القضية السورية وتطوراتها الأخيرة وما يمكن أن ينشأ من الأمور بعد وصول المفوض السامي»، والمسائل العربية[٤٤]، وما تعانيه البلاد من السيطرة الأجنبية «والطريقة التي يمكن معها التخلص من نير ثقيل وضعته الظروف الجائرة على عنق الأمة العربية»[٤٥]. كما بحث في «الحركة التيسارية (الآشورية) في العراق وعواملها واتصالها بمرجع معلوم، وحالة المجاهدين في الصحراء، ووضع جزيرة العرب، وتهديد الخطر الصهيوني سوريا الشمالية وشرقي الأردن وكيفية وقعه»[٤٦]. وتناولت «أبحاثه القضية العربية من سائر وجوهها»[٤٧].

---

(٣٤) الصحافي التائه، ٣١/٨/١٩٣٣، ص ٤.

(٣٥) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١/١٠/١٩٩٠، و محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩-١٩٤٥، ص ١٤٠.

(٣٦) نعمة زيدان، عالمنا العربي: سورية ولبنان (بيروت: وكالة الصحافة الشرقية، ١٩٥٦)، ص ١٢٢، ١٧١، ٢١٢ و٢٣٩.

(٣٧) مقابلة مع العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في ٢٤/٩/١٩٩٠، ومقابلة مع د. محمد علي الرز في ١/١٠/١٩٩٠.

(٣٨) مصطفى بلاوني، «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣-١٩٣٩،» دراسات تاريخية (لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق)، السنة ٧، العددان ٢٣-٢٤(أيلول/ سبتمبر- كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦)، ص ١٩٠.

(٣٩) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١/١٠/١٩٩٠.

(٤٠) مقابلة مع العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في ٢٤/٩/١٩٩٠، ومقابلة مع د. محمد علي الرز في ١/١٠/١٩٩٠.

(٤١) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١/١٠/١٩٩٠.

(٤٢) المصدر نفسه، و بلاوني، «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣-١٩٣٩،» ص ١٩٠.

(٤٣) المصدران نفسهما.

(٤٤) الشعب، ٢٨/٨/١٩٣٣، ص ٢.

(٤٥) الشعب، ٣٠/٨/١٩٣٣، ص ٢.

(٤٦) صوت الأحرار، ٦/٩/١٩٣٣، ص ١.

(٤٧) البيرق، ٣١/٨/١٩٣٣، ص ١.

إلا أن المفوّض الإعلامي الدكتور عبد الرزاق الدندشي أعلن بعد انتهاء المؤتمر من أعماله وعودة جميع المشاركين فيه إلى بلادهم، بأن صفة المؤتمر وجميع المواضيع التي بحثت وأهداف العصبة، سيحدّدها جميعها البيان الذي ستصدره العصبة[٤٨]. كما صدر عن المؤتمر دستور للعصبة تضمّن نقاطاً عن أهدافها ووسائل عملها[٤٩].

وقد حدّدت مقدّمة بيان المؤتمر التأسيسي للعصبة الظروف التي دفعت بالمؤسّسين لإنشائها. وجاء في المقدّمة: «بحث المؤتمرون حال العرب في حاضرهم فتبين لهم أنهم سائرون في طريق التدهور بشتى مجالات حياتهم، وظهرت لهم آيات الانحلال في كل عنصر من عناصرها... فما ترى غير هزيل أو مريض... وتفكك في الروابط الاجتماعية بانتحال لغات... وتقاليد وأميال أجنبية أبعدت ما بين العربي وأخيه وما بين قطر وقطر... وجهل شعبي أو تعليم وثقافة ناقصة موبوءة جعلت من المستحيل نمو قوى التفكير والإنتاج الذهني... واستيلاء الفرنجة على منابع الثروة وانقلاب بلاد العرب إلى سوق لهم وحقل لحاجات صناعاتهم الأولية...».

«... وانحدار في الأهداف القومية حتى بات طلب الاستقلال الكامل والسيادة التامة خرقاً في الرأي، وتتطلب وحدة البلاد العربية خيالاً وشعراً يسخر من طلابه... وضلال في المعيار الوطني أصبح من الصعب معه التمييز بين الوطنية والنفعية. ونزاع في الحركات القومية كادت القضية الوطنية تلفظ فيه روحها وتنقلب إلى استسلام مطلق...».

«... لقد شجّع المستعمرون الحركات العربية قبل الحرب... ومذ أعلنت الحرب الكبرى عملوا على إيقاظ نار ثورة العرب وقطعوا لهم الوعود الجسام... وحين ظفروا بالترك تقدم إليهم الحلفاء المستعمرون بصيغة المساعد المرشد... وبدأ الإرشاد يتطور صاعداً نحو الاستعمار... وحيث كان الأثر غير واحد في المناطق العربية... فهو في قطر أشد منه في قطر آخر...».

«... وتبسط المؤتمرون في بحث هذه الامور وسردوا الوقائع وثبت لهم أن تدخل الأجانب في البلدان العربية لا يستهدف غير استعمارها وإخضاعها نهائياً وأبداً لسلطانهم وأنهم يعتمدون في ذلك على مفعول الوقت...».

«... وعكف المؤتمر على درس طبيعة الاستعمار الحديث في منشأه بصورة عامة وتعيين أهدافه بالنسبة لبلاد العرب... فتبين له طبع الاستعمار ومنشأه

(٤٨) الشعب، ٣٠/٨/١٩٣٣، ص ٢.

(٤٩) انظر بطاقة العضوية لعصبة العمل القومي في الملاحق من هذا الكتاب.

الاقتصادي ووصل في تاريخه إلى الثورة الصناعية... وما نتج عن ذلك من تجمّع رؤوس الأموال الضخمة وتزاحم التجارة الأممية وظهور حاجاتها إلى مواد أولية وأسواق ومستهلكين وأماكن لتوظيف ما فاض من رؤوس المال وحاجاتها إلى السيطرة والتحكم والإذلال... وظهر له بدلالة الواقع كيف أن المستعمرين المتجرين لا يقيمون في سبيل ذلك وزناً لاعتبارات الحق أو الإنسانية...».

«... وقد ظهر للمؤتمرين أن أهداف الاستعمار بالنسبة لبلاد العرب ذات وجهين: وجه يتعلق بالبلاد ذاتها ولا يخرج هدفهم فيه عن أهداف الاستعمار العامة وربما عناهم استعمار العرب الفكري بقدر ما يعنيهم استعمارهم المادي. ووجه يتعلق باتخاذها قاعدة لاستعمار الشرق في آسيا وأفريقيا ودوام السيطرة عليه وعلى بحوره وبرازخه ومواقع المنعة والعزة فيه، والمستعمرون في ذلك سواسية لا يفضل بعضهم من حيث الهدف والغاية بعضاً ولو اختلفوا بالوسائل... لم يمنعا على اختلافهما وتناقضهما أن يتضامن المستعمران ضد العرب وضد الحركات العربية في كل قطر وان يحاولا توحيد طرائق قمع الحركات العربية...».

«... وبحث المؤتمر وسائل المستعمرين في تبرير الاستعمار والحصول على تأييده من الرأي العام داخلاً (في بلاد المستعمرين ذاتهم) وخارجاً (في العالم الدولي)...».

«ثم بحث أساليب المستعمرين في البلدان العربية وطرائقهم في تثبيت قدم الاستعمار فيها، فظهر له باستقراء الحوادث كيف أنهم استعانوا عليها بالتجزئة المادية والمعنوية فوزعوا قوة المقاومة إلى جبهات عديدة وخلقوا بذلك سياسات إقليمية أشغلت كل حي بأمر...».

«.... وثبت للمؤتمرين أيضاً من أساليب المستعمر خطط الإفقار المنظم حتى تلهو الأمة بتكاليف العيش عن موجبات العزة والكرامة. وخطط الاجلاء وحشد شذاذ الآفاق من شتى الشعوب في البلدان العربية إمعاناً في تفكيك العرى القومية والروابط الاجتماعية حتى تفسد المزايا القومية ويتحرّق الصف الوطني ويفسد في جوفه... وعنى المستعمرون خاصة بخلق طبقة نفعية خائنة من أبناء البلاد يركبونها لغاياتهم ويسخّرونها لأغراضهم ويتسترون بها... ويبرزونها مثالاً لأرقى طبقة في البلاد فيدللون بذلك على فقرها من الرجال وحاجاتها لإرشاد أو انتداب...».

«... ولقد كانت مغريات المادة والمنصب واسطتهم لتحقيق هذه الوسيلة وإلى زيادة قائمة هذه الطبقة...».

ولاحظ المؤتمرون التغيُّرات على المستوى العالمي التي تشكل عوامل مساعدة للأُمم المستعمرة مثل الأمة العربية كي تتحرَّر. فجاء في البيان: «يبذل المستعمرون... جهوداً جبارة لتخدير الفكرة الاجتماعية والإنسانية المناهضة لفكرة الاستعمار في شعوبهم وما تكاد أحزاب اليمين والوسط في مجالسهم النيابية تنتزع ميزانيات جيوش الاستعمار إلا بشق الأنفس...».

«... ولقد زال في العالم أو يكاد ذلك التفوق وذلك السلطان العسكري والبحري الذي كانت تتمتع به بعض دول الاستعمار الكبرى... وكادت أساليب التقتيل الحديثة تجعل الدول في مستوى واحد فما تستطيع واحدة الاحتفاظ بواسع سلطانها...».

«... وزال كذلك ما للسلطان المالي والتفوق الاقتصادي من شأن فهوت قوة النقد وأخذت الأزمة الاقتصادية بخناق الدول المستعمرة وجعلتهم على أبواب عهد نظام صناعي جديد ربما أزال علة الاستعمار الكبرى... وفي ذلك للأمم المجاهدة خير وبركة».

«... ولقد عملت فوق كل ذلك روح التحرر في الأمم عملها وسادت مبادئ هذا القرن على العالم وتمكنت من النفوس وثارت على الظلم في كل مكان ونادت بسقوط الاستعمار واستهانت الشعوب في سبيل ذلك بالموت... ولن يدوم مع هذه الثورة العالمية استعمار ولا بد أن تصرعه الحرية ولو بعد حين»[٥٠].

وضمن سياق الظروف التي سبقت نشأة العصبة، يظهر من بيان مؤتمرها التأسيسي أن المقاومة الوطنية للمستعمرين في سوريا كان قد شُلَّ دورها في تلك الفترة، نتيجة لسياسة التفاهم التي انتهجتها الكتلة الوطنية مع سلطات الانتداب. فقد جاء في البيان: «ولقد رأى المؤتمر كيف أن سياسة التفاهم كادت تنقلب شراً مستطيراً وتندرج نحو (سياسة الأمر الواقع)... أي إلى الخضوع إلى ما تريده القوة والإذعان إلى مشيئتها وبعبارة أخرى كاد ينتهي الأمر بحركة المقاومة الوطنية إلى انتفاء علة وجودها الذي هو مقاومة مشيئة المستعمر وتحقيق إرادة الأمة... فلا يعود بعد ذلك للحركة الوطنية مبرر»[٥١].

بعد هذا العرض لظروف نشأة العصبة من وجهة نظر مؤسّسيها، يتبيَّن أن حال التجزئة والانقسام في صفوف العرب حول الأوضاع السياسية في هذا القطر أو

---

(٥٠) انظر بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي في الملاحق من هذا الكتاب.
(٥١) المصدر نفسه.

ذاك، وبشأن الوحدة بشكل عام، وتبعثر صفوف حركة التحرُّر العربية، والمهادنة لسلطات الانتداب، والشلل في حركة مقاومة الاستعمار، جميعها أوضاع شكّلت جزءاً من الظرف العام لتأسيسها، وقد أوضحتها في الفصل الأول.

وهناك ظروف أخرى لنشأتها لا تقل أهمية عما أشرت إليه، وهي: نمو المشروع الصهيوني في فلسطين وخطورته على غيرها من البلدان العربية، وتخلُّف وتشوُّه وتراجع الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في البلدان العربية، وتحوُّلها إلى بلاد تابعة للمستعمرين مشرَّعة لخدمة مصالحهم بما فيها المصلحة العسكرية الاستراتيجية لهم، وظهور طبقات اجتماعية نفعية مرتبطة بالمستعمرين وعاملة على تحقيق مصلحتها بما يتعارض مع المصلحة الوطنية والقومية، وانشغال الكثير من الهيئات العربية بسياسات محلّية لا تخدم المصلحة القومية العليا انطلاقاً من قبولها بالأمر الواقع، وعمل سلطات الانتداب بمنهج يعتمد المناورة على الصعيد السياسي، غايته كسب الوقت على قاعدة عدم إعطاء أي تنازل لصالح المسألة الوطنية أو القومية، بانتظار ظروف مؤاتية لضرب الحركة الوطنية العربية المقاومة لها وإجهاض مضمون أهدافها من أجل تثبيت قدم الاستعمار.

هكذا كانت الظروف العربية التي أدَّت إلى نشأة العصبة. وكان يقابلها ظرف عالمي عام تصاعدت فيه المنافسة الدولية والأزمة الاقتصادية للدول الاستعمارية، وظهرت توازنات بين الدول الكبرى المتنافسة أضعفت تفوُّق الدول الاستعمارية. وانبعثت الأفكار التحرُّرية في العالم تضيِّق الخناق على النهج الاستعماري، وتبعث الأمل في التخلُّص من الاستعمار.

ففي تلك الظروف تأسَّست العصبة غير قابلة بواقع الحال الذي أصبحت عليه البلدان العربية، مستعدَّة للتضحية في سبيل «الخلاص من ربقة الذل ونير الاستعباد»، مدركة صعوبة الطريق، متوخِّية أن يكون في عملها خيراً ونجاحاً للعرب(٥٢).

لقد أوضحت سابقاً أسماء عدد كبير من مؤسِّسي العصبة، والآن سأُعرِّف بحياة الذين توفر لي ترجمة عنهم، كي أُناقش تكوينها على ضوء أوسع المعطيات عنها.

٢ - المؤسِّسون

تأسَّست العصبة على أيدي عدد كبير من المناضلين القوميين العرب الذين جمعتهم وحدة الموقف والهدف، ومنهم من اشترك في مقاومة التسلط العثماني. وهم عناصر

---

(٥٢) المصدر نفسه.

مثقفة[٥٣]، وخريجو الجامعات الأوروبية[٥٤]، والرافضون عيشة الذل والمسكنة، والأوفياء لشهداء القضية العربية[٥٥]، وحملة الفكرة العربية الذين أرسوا قواعد النضال من أجل استقلال وحرية الوطن العربي[٥٦]. فمن هم هؤلاء المؤسّسون؟

أ - علي ناصر الدين: أبرز مؤسّسي العصبة، ومسؤولها في لبنان منذ تأسيسها حتى عام ١٩٤٣[٥٧]، وأحد الفرسان الأوائل لمؤتمرها والقلب النابض لها[٥٨].

ولد في بمريم[*] عام ١٨٨٨. والده الشيخ محمود علي سليمان ناصر الدين من ملاكي بمريم، والدته جميلة ناصر الدين[٥٩]. بدأ بالدراسة في المدارس الفرنسية[٦٠] عند الآباء اليسوعيين[٦١]، وكان يأخذ دروساً خاصة بالإنكليزية في المدرسة الابتدائية في رأس المتن (بالقرب من بمريم) على يد المعلم طانيوس فرطاس، ثم انتقل إلى مدرسة الشيخ أحمد عباس الأزهري[٦٢] في بيروت وتخرّج فيها[٦٣] عام ١٩١١[٦٤]، وكان الشيخ مصطفى الغلاييني أستاذه[٦٥]. وأتقن العربية والفرنسية وألمّ بالإنكليزية[٦٦].

---

(٥٣) مصطفى دندشلي، حزب البعث العربي الاشتراكي، ١٩٤٠- ١٩٦٣: مساهمة في نقد الحركات السياسية في الوطن العربي، تعريب يوسف جباعي ومصطفى دندشلي (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩)، ج ١: الايديولوجيا والتاريخ السياسي، ص ١٢.

(٥٤) محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥، ص ١٣٧.

(٥٥) انظر بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي في الملاحق من هذا الكتاب.

(٥٦) ناصر الدين، صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث، ص ٩ و١٢.

(٥٧) مقابلة مع العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في ٢٤/ ٩/ ١٩٩٠. وهو من أعضاء العصبة، ومقابلة مع د. محمد علي الرز في ١/ ١٠/ ١٩٩٠

(٥٨) ناصر الدين، المصدر نفسه، ص ٨٩.

(*) تقع في جبل لبنان ضمن قضاء بعبدا، في منطقة المتن الأعلى قرب حمانا.

(٥٩) مقابلة مع الشيخ خطار علي شروف ناصر الدين في ١١/ ١٠/ ١٩٩١. وهو ابن خال علي ناصر الدين ومن أعضاء العصبة.

(٦٠) ناصر الدين، المصدر نفسه، ص ٨٩.

(٦١) مقابلة مع السيد فؤاد ناصر الدين في ١١/ ١٠/ ١٩٩١. وهو ابن خطار علي شروف ناصر الدين.

(٦٢) كانت هذه المدرسة من المعاهد العليا في بيروت التي اشتهرت بالتربية العربية والقومية، وفيها تخرّج الكثير من المناضلين القوميين العرب، أعدم عدداً منهم جمال باشا، ومنهم منْ استشهد في النضال أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها.

(٦٣) ناصر الدين، المصدر نفسه، ص ٨٩.

(٦٤) مقابلة مع السيد فؤاد خطار ناصر الدين في ١١/ ١٠/ ١٩٩١.

(٦٥) الشيخ مصطفى الغلاييني مناضل قومي عربي. انظر: يني، صفحة من التاريخ القومي العربي الحديث، ص ٩.

(٦٦) ناصر الدين، صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث، ص ١٣.

تعرَّض للملاحقة والسجن أيام العثمانيين. وفي عام ١٩١٢ سافر إلى باريس(٦٧) ومنها إلى السنيغال وعمل بالتجارة(٦٨)، وألمَّ بالبرتغالية(٦٩).

في عام ١٩١٤ تطوَّع في جيش الحرية والديمقراطية ـ أي جيش الحلفاء ـ لمحاربة الأتراك وتحرير بلاده من الاستبداد. وكان جاويشاً في جيش اللنبي(٧٠) الذي زحف إلى فلسطين لمحاربة الأتراك(٧١) عام ١٩١٨(٧٢)، ثم استقال من هذا الجيش بعد سنة(٧٣)، عندما اكتشف مؤامرة الحلفاء على البلدان العربية، وعاد إلى لبنان عام ١٩١٩ وأخذ يعمل من أجل تحرير بلاده من المستعمرين الجدد(٧٤). فدعا في ربيع العام نفسه لمؤتمر في عيناب(*)، وعُقد المؤتمر بهدف مواجهة لجنة كينغ ـ كراين، التي شُكِّلت دولياً لدراسة الأوضاع في سوريا، في موقف واحد هو تأييد الحكومتين العربيتين في بيروت ودمشق والدفاع عن الاستقلال. وبعد هذا المؤتمر بقليل، اعتقلته سلطات الانتداب الفرنسي(٧٥) ونفته إلى جزيرة أرواد(٧٦).

بعد الإفراج عنه أنشأ جريدة المنبر في بيروت عام ١٩٢٢، ونظراً للاندفاع الوطني لهذه الجريدة أقفلتها سلطات الانتداب قبل أن تكمل عامها الأول(٧٧).

في عام ١٩٢٤، كان أحد أعضاء وفد بيروت(٧٨) الذي سافر إلى عمَّان في الأُردن للتباحث مع شريف مكة، الملك حسين بن علي الهاشمي، بشأن القضية

---

(٦٧) المصدر نفسه، ص ١٣ و ٥٦.

(٦٨) عادل أرسلان، **مذكرات الأمير عادل أرسلان، ١٩٣٤- ١٩٥٣**، تحقيق يوسف إيبش، ٣ ج (بيروت: الدار التقدمية، ١٩٨٣)، ج ١: ١٩٣٤- ١٩٤٥، ص ٣٠٨.

(٦٩) مقابلة مع السيد فؤاد خطار ناصر الدين في ١١/ ١٠/ ١٩٩١.

(٧٠) كان يعرف بجيش الشرق، وقد لعبت فرنسا دوراً أساسياً في تأليفه. انظر: علي ناصر الدين، المصدر نفسه، ص ١٣، **وهكذا كنا نكتب** (بيروت: مطبعة الاتحاد، [١٩٥٢])، ص د.

(٧١) أرسلان، المصدر نفسه، ص ٣٠٨-٣٠٩.

(٧٢) زين نور الدين زين، **نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية** (بيروت: دار النهار للنشر، [١٩٦٨])، ص ١٢٧.

(٧٣) أرسلان، المصدر نفسه، ص ٣٠٩.

(٧٤) ناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ١٣ و٨٩.

(*) تقع في جبل لبنان ضمن قضاء عاليه.

(٧٥) مقابلة مع الأستاذ خالد بديع النكدي في ٢٤/ ٩/ ١٩٩١، وهو من سلك المساعدين القضائيين، ورئيس قلم محكمة عاليه.

(٧٦) ناصر الدين، المصدر نفسه، ص ١٣.

(٧٧) المصدر نفسه، ص ١٣- ١٤.

(٧٨) والآخرون أربعة فقط، هم: محمد علي بيهم، عارف النعماني، أنيس الصيداوي والحاج بشير جبر.

العربية والتدابير التي يجب أن تتخذ بشأن المستعمرين الإنكليز والفرنسيين، واجتمع مع الملك عـدة مرات[٧٩]. وكـان قد ارتجل خطبة في الاحتفال الذي جرى هناك هزّت المشاعر، واستدرّت دموع الحماسة، وأثّرت في نفس الملك تأثيراً بالغاً، معلناً فيها باسم أحرار العرب مبايعة الملك[٨٠].

عاد إلى بيروت في العام نفسه، وتابع نشاطه السياسي كما عمل مع بعض رفاقه من أجل تقرير أمر ما لمقاومة المستعمرين. إلا أن سلطات الانتداب اعتقلته[٨١] ووضعته في سجن القلعة في بيروت، وبعد شهرين نقلته إلى دمشق بواسطة قطار السكة الحديدية ومنها إلى جنوب لبنان[٨٢]، فلجأ إلى حيفا في فلسطين وأخذ ينشر مقالات في جريدة **الكرمل واليرموك والحقيقة**[٨٣] **والنفير و الزهرة و فلسطين** داعياً فيها إلى الكفاح والتحرر الوطني[٨٤].

في عام ١٩٢٥ عاد إلى لبنان بوساطة من الأمير أمين مصطفى أرسلان وفي منتصف ليل ١٥ شباط/ فبراير ١٩٢٦، اعتقلته[*] سلطات الانتداب الفرنسي بتهمة الاشتراك في الثورة التي اندلعت في سوريا وجنوب لبنان ضد الانتداب[٨٥]، وبأنه يراسل زعماء الثورة السورية ويراسلونه ويغذي الثورة، ونفته إلى أرواد ومنها إلى القدموس[٨٦].

في عام ١٩٢٧، أسَّس مع عدد من رفاقه[٨٧] عصبة تكريم الشهداء الذين استشهدوا دفاعاً عن القضية القومية العربية، فناصبهم الفرنسيون العداء وطاردوهم حتى عام ١٩٣٦، حين تولّى الأستاذ ميشال زكّور وزارة الداخلية في لبنان، فأوقف المطاردة عن عصبة التكريم وتعاون معها معتبراً إياها هيئة وطنية ذات صفة رسمية.

---

(٧٩) يني، **صفحة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ١٠- ١٢.

(٨٠) ناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ٨.

(٨١) اعتقل ونفي معه إلى فلسطين أنيس الصيداوي.

(٨٢) يني، المصدر نفسه، ص ١٢-١٣ و١٥.

(٨٣) ناصر الدين، المصدر نفسه، ص ١٤ و٩٠.

(٨٤) ناصر الدين، **هكذا كنا نكتب**، ص ١٢.

(*) اعتقل معه يوسف ابراهيم يزبك بالتهمة نفسها.

(٨٥) ناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ١٤ و٩٠.

(٨٦) ناصر الدين، **هكذا كنا نكتب**، ص ١٢.

(٨٧) منهم: الدكتور محمد خير نويري، الشيخ أحمد عارف الزين، يوسف ابراهيم يزبك، أحمد حيدر، وجيه طبارة، جورج عقل، سامي سليم، وغيرهم سأذكرهم في حينه لأنهم من مؤسّسي عصبة العمل القومي.

ومنذ ذلك الوقت، أصبح عيد الشهداء في ٦ أيار/ مايو في لبنان عيداً رسمياً تحتفل الدولة به، وتتعاون الحكومة مع عصبة تكريم الشهداء في وضع منهاج الاحتفال[٨٨]. وكان رئيساً لهذه العصبة منذ تأسيسها حتى عام ١٩٣٤[٨٩].

في عام ١٩٢٨، تولىً في طرابلس مع إخوان له تحرير جريدة **اللواء**، لكن سلطات الانتداب كانت له بالمرصاد فطاردته وعاد إلى فلسطين[٩٠].

عضو اللجنة التحضيرية التي شكّلها المجلس الإسلامي في بيروت لعقد مؤتمر إسلامي عام في لبنان سنة ١٩٣٠[٩١] طاردته سلطات الانتداب فعاد إلى فلسطين، وهناك اشترك في المؤتمر الإسلامي العالمي الذي انعقد في القدس عام ١٩٣١، وعمل مع نفر من المناضلين العرب لعقد مؤتمر عربي[٩٢] ينبثق عن المؤتمر الإسلامي. وتم ذلك وعقد المؤتمر العربي في منزل عوني عبد الهادي، وحضره نحو السبعين من رجالات العرب في آسيا وأفريقيا، وكان هذا المؤتمر إيذاناً بالعمل العربي المنظّم من أجل القضية القومية[٩٣]. ووقَّع على الميثاق الذي صدر عنه[٩٤].

في عام ١٩٣٢، تولىً رئاسة تحرير جريدة **الجامعة الإسلامية** في يافا في فلسطين، داعياً للتحرر والعمل من أجل القضية القومية العربية. وخطب في الاجتماعات الشعبية لحزب الاستقلال العربي في فلسطين، فأخرجته السلطات الإنكليزية منها وأقفلت بابها في وجهه، فعاد إلى لبنان وباع أرضه ليتفرغ للحركة الوطنية[٩٥].

وفي نيسان/ أبريل ١٩٣٢ لبّى دعوة وجهت إليه، ولبعض اللبنانيين، من حكومة العراق لمشاهدة أول معرض زراعي وصناعي في العراق. وهناك التقى عدداً من رجال السياسة والإدارة وتكلم معهم في الوحدة العربية، واهتم بالأحوال السياسية والاجتماعية والروحية العامة في العراق[٩٦].

---

(٨٨) ناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ١٧ و٤٦، و يني، **صفحة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ٢٣.

(٨٩) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١/ ١٠/ ١٩٩٠، وناصر الدين، المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٩٠) ناصر الدين، المصدر نفسه، ص ١٤.

(٩١) ناصر الدين، **هكذا كنا نكتب**، ص ٥٦.

(٩٢) تطرَّقت إلى مقرَّرات هذا المؤتمر في الفصل الأول.

(٩٣) ناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ١٤.

(٩٤) دروزة، **حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات**، ص ٣٠٣.

(٩٥) ناصر الدين، المصدر نفسه، ص ٩، ١٤ و٩٠.

(٩٦) ناصر الدين، **هكذا كنا نكتب**، ص ١٤٥.

في أيلول/ سبتمبر عام ١٩٣٣، شارك في حفل تأبين الملك فيصل الأول في بغداد، وخطب فيه خطاباً وطنياً بليغاً كان موضع تقدير وإعجاب الجميع. وكان على علاقة ود وصداقة مع الملك الراحل ومع ابنه الذي خلفه على عرش العراق الملك غازي. وأثناء إقامته القصيرة هناك، فضّل النوم عند رفيق له (نقولا خير) بدلاً من قصر الضيافة المخصص للوفود، وعمل على توطيد عرى الصداقة مع رجال الحركة العربية. وقبل مغادرة الوفد إلى بيروت قدّمت الحكومة العراقية مبلغاً مالياً محترماً لكل عضو من أعضاء الوفد، فأخذه الجميع، إلا هو، اعتذر عن أخذه بتهذيب وشمم[٩٧]. وفي أواخر العام ذاته شارك في مؤتمر الساحل الذي عقد في بيروت[٩٨].

في صيف عام ١٩٣٤، خطب في غابة الشبانية[*] حاملاً على الانتداب بشدة قائلاً للفرنسيين: «نحبكم في بلادكم وليس في بلادنا». وبعد ساعات قليلة اعتقلته سلطات الانتداب في بيته في بمريم وحملته معها إلى مقر الحاكم العسكري الفرنسي في صوفر، ومنها إلى سجن القلعة في بيروت[٩٩].

في عام ١٩٣٦، دعا مع أحد رفاقه (صلاح الدين بيهم) لانعقاد مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة[١٠٠]. وكان أحد الذين وضعوا مذكرة المؤتمر للتباحث فيها[١٠١] (وسأوضح غاية المؤتمر حين تطرُّقي إلى دور العصبة). وفي العام نفسه شارك في الثورة الفلسطينية[١٠٢].

في عام ١٩٣٧، شارك في مؤتمر بلودان في دمشق لبحث القضية الفلسطينية، وحضر أعمال لجنة الدعاية المنبثقة عنه[١٠٣]. وشارك في الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٨[١٠٤].

---

(٩٧) ناصر الدين، صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث، ص ١٠، ٢٧ و٤٦.

(٩٨) مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦، تقديم ودراسة حسان علي حلاق (بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨٣)، ص ٤٤.

(*) تقع في بلدة الشبانية بجنب حمانا.

(٩٩) مقابلة مع الشيخ خطار علي شروف ناصر الدين في ١١/ ١٠/ ١٩٩١.

(١٠٠) مقابلة مع العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في ٢٤/ ٩/ ١٩٩٠.

(١٠١) مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦، ص ٤٤.

(١٠٢) ناصر الدين، صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث، ص ٣٨.

(١٠٣) زعيتر، يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥- ١٩٣٩، ص ٣٢٢.

(١٠٤) ناصر الدين، المصدر نفسه، ص ٣٨.

في عام ١٩٣٩، اعتقلته سلطات الانتداب في لبنان ونفته إلى تدمر في سوريا، ومنها إلى معتقل المية ومية في صيدا، ولم تفرج عنه حتى فجر الاستقلال في أوائل عام ١٩٤٤[١٠٥] وكان آخر معتقل أُفرج عنه في ذلك الوقت. وفور خروجه من السجن وجَّه نداءً إلى العصبويين يدعوهم فيه لمتابعة النضال[١٠٦].

في عاميْ ١٩٤٧ و١٩٤٨، ساهم مع القائد فوزي القاوقجي[١٠٧] في تكوين جيش الإنقاذ لمحاربة الصهيونيين في فلسطين[١٠٨]. وكان في قيادة الجيش المذكور وسهَّل أمر مرور أوَّل كتيبة له عبر الأراضي اللبنانية إلى الجليل في فلسطين، بعد أن اجتمع ومعه أحد رفاقه الفريق عفيف البزري مع صديقه قائد الجيش اللبناني في تلك الفترة، اللواء فؤاد شهاب، الذي قدَّم المساعدة لهما. وقد شارك في استطلاع طريق جيش الإنقاذ، وفي جميع المعارك التي خاضها هذا الجيش في فلسطين، وتولىَّ إدارة قسم الإعلام فيه وإدارة إذاعة فلسطين العربية من رام الله[١٠٩].

كان على علاقة وطيدة بحركة القوميين العرب التي تأسَّست في الجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩٥١. وكان تأثيره في تطورها السياسي أهم ما تأثرت به الحركة من خارجها. فهو الذي دفع بها لأن تقبل أية خطة تهدف إلى الوحدة العربية. وبناءً على نصائحه، لم تعترض هذه الحركة على مشاريع سوريا الكبرى والهلال الخصيب التي طرحتهما بريطانيا في تلك الفترة، على اعتبار أن أي مشروع وحدوي يؤدي إلى خلق دولة عربية كبرى قادرة على التخلص من النفوذ الأجنبي. ويُعتقد إنه كان وراء حملة المقاطعة التي قادتها حركة القوميين العرب في الجامعة الأميركية في بيروت[١١٠].

---

(١٠٥) المصدر نفسه، ص ١٧ و٩٠.

(١٠٦) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١/ ١٠/ ١٩٩٠.

(١٠٧) مناضل قومي عربي من طرابلس (لبنان)، كان ضابطاً في الجيش العثماني حتى الحرب العالمية الأولى، وبعدها خدم في الجيش العربي في سوريا ثم في الجيش العراقي. وفي عام ١٩٤٧ عهدت إليه جامعة الدول العربية قيادة جيش الانقاذ.

(١٠٨) ناصر الدين، المصدر نفسه، ص ١٨، وفوزي القاوقجي، **فلسطين في مذكرات القاوقجي**، إعداد خيرية قاسمية، ٢ ج (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٥)، ج ٢: ١٩٣٦ - ١٩٤٨، ص ١- ٢.

(١٠٩) عفيف البزري، «لا بد من ثورة كبرى تقوض أركان الاستعمار العالمي في الوطن العربي،» **فلسطين الثورة** (حركة التحرر الوطني الفلسطيني)، العدد ٢٩١ (تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٨)، ص ٥٤. وهي كلمة ألقاها المناضل العربي الكبير الفريق عفيف البزري في الندوة التي أقامها الحزب التقدمي الاشتراكي والمجلس الثقافي الوطني ورابطة الأساتذة الجامعيين في الجبل، في قاعة المكتبة الوطنية، بعقلين، في ١/ ١١/ ١٩٨٨، بمناسبة الذكرى المئوية لمولد المجاهد علي ناصر الدين.

(١١٠) باسل الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ط ٢ (بيروت: دار العودة، [١٩٧٤؟])، ص ١٠٢، ١٠٩- ١١٠ و١١٤.

أسَّس دار الحكمة عام ١٩٥٥. وألَّف عدة كتب، أهمها: **قضية العرب**[١١١]. وقد أنهى تأليف جزء من الكتاب المذكور وهو في سجن المِيّة ومِيّة[١١٢].

وفي هذا الكتاب عبَّر عن مفهومه للقومية. وهي برأيه مجموعة من المزايا والطباع والخصائص المشتركة التي تنطبع بالجملة عند شعب من الشعوب على مر الأجيال، تعرف بهم ويعرفون بها، ويكون لهم لغة وأدب وتاريخ واحد[١١٣]. وميَّز بينها وبين الدين على اعتبار أن البشر وُجدوا قبل أن توجد الأديان[١١٤] وأن العروبة كانت «ولم يكن إسلام ولا مسيحية» وأوضح أن الدين ليس شرطاً للقومية الواحدة، ولو كان كذلك لأصبح كل مسلم في العالم عربياً، وكل المسيحيين على الأرض أبناء قومية واحدة.

والقومية حسب رأيه هي أكثر من قواسم مشتركة بين جماعة من الناس، تجمع بينهم وتميِّزهم عن غيرهم، فيقول: «الشرف القومي، وجه من وجوه الشرف الإنساني، وجوهر من معدنه، وعبثاً يطمع قوم من الأقوام بمكانة من مكانات الشرف، في موكب البشرية الصاعدة هذه، إذا هم لم يحموا شرفهم القومي»[١١٥] مما يعني أن المكانة أو المنزلة القومية لشعب ما مرتبطة بالفاعلية الوطنية والإنسانية العامة لمجموع الأفراد الذين يؤلفونها، والكيان السياسي الوطني والحضاري للفرد مرتبط بها. أي هناك علاقة جدلية بين القومية كظاهرة اجتماعية وكيانية لشعب ما، وبين الفرد كظاهرة اجتماعية وسياسية هو جزء منها ومتمم لها وفاعل فيها.

وميَّز بين الأُمة والدولة معتبراً من الممكن أن تتعرَّض أُمة من الأُمم للتشتُّت، لكن ما تتميَّز به من لغة وخصائص مشتركة وتاريخ مجيد يبقيها أُمة واحدة تامة. وإن وجود مجموعة من الشعوب على أرض واحدة مختلفون في طباعهم وعاداتهم وليس لهم لغة واحدة وتاريخ مشترك لا يشكلون أُمة. وإن كانوا تحت سلطة دولة واحدة، موضِّحاً بأن وحدة الأرض ليست شرطاً لوحدة الأمة، بل شرط لوحدة الدولة[١١٦].

وميَّز بين القضية العربية والقضية الشرقية. فإذا كانت القضية العربية تتصل بالشرق لأن العرب جزء منه منذ قرون طويلة، لكن يجب أن لا تضيع شخصية الأمة

---

(١١١) ناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ١٩ و٤٧.

(١١٢) مقابلة مع العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في ٢٤/ ٩/ ١٩٩٠.

(١١٣) علي ناصر الدين، **قضية العرب** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٤٦)، ص ٣٣.

(١١٤) المصدر نفسه، ص ١٠٤ و١٠٦.

(١١٥) ناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ١٠٣.

(١١٦) ناصر الدين، **قضية العرب**، ص ١٩-٢٠.

العربية في دنياه. ويجب الأخذ بعين الاعتبار أن قضية العرب «تتصل بالغرب إلى حد»، لأن البلاد العربية أقرب جغرافياً إلى بعض بلدان الغرب أكثر من بلدان الشرق. فالقضية العربية ليست قضية شرقية ولا قضية إسلامية[١١٧].

وميَّز بين الجامعة العربية والجامعة الإسلامية. فالإسلام دين انطلق من الأرض العربية و«تبع فيه الناس العرب ولم يتبعوا هم أحدا». وفي الأمة العربية منْ يدينوا بغير الإسلام ولهم قضيتهم القومية العربية الذين يشتركون فيها مع جميع أبناء هذه الأمة[١١٨].

وردَّ على الذين يخلطون بين العروبة والإسلام، وبين اللبنانية والمسيحية، قائلاً: «... أن لبنان بلد عربي، ليس مسيحياً ولا مسلماً، واللبنانيون عرب، فكلمة عربي ما عنت قط، ولن تعني أبداً «مسلم» وكلمة لبناني، ما عنت قط، ولن تعني أبداً «مسيحي»؛ دعونا أيها الأخوان نخلص من الانتهازية والتضليل والوضاعة، ومن التجارة بالدين وبالوطن، ...»[١١٩].

واعتبر أن العمل السياسي يجب أن يؤدي إلى المساواة والعدالة لكل أفراد المجتمع، ويفترض أن لا يكون ملتبساً، إنما واضحاً وخاصة في القضايا الوطنية، إذ رأى «أن غرض السياسة القومية الأول، أن يتمتع مجموع القوم، وبحق وليس بمنحة، تمتعاً متساوياً بوسائل المعرفة والعزة والرخاء والطمأنينة، التي يجب أن تضمنها قوانين الدولة ونظمها وتصرفاتها ...». و«من مقتضيات المذهب الإيماني في السياسة القومية، الصراحة العاقلة، وهي فرض تجاه الشعب على المشتغلين بالقضايا الوطنية».

وبشأن فلسطين أوضح أنه على العرب وحدهم تقع مهمة تحريرها، وقال: «إذا أراد العرب أن يستعيدوا فلسطين، فهذا أمر طبيعي، أما أن تعيدهم إليها روسيا أو أمريكا أو سواهما. فأعترف أنني عن فهم هذا من العاجزين»[١٢٠].

عرف عنه أنه كاتب لامع وأديب وخطيب مفوَّه، ومؤمن بقضيته إيماناً مجرداً من كل مطمع، وبأنه مدرسة في الصحافة والقيم الأخلاقية الفذّة والعطاء المطلق، وأحد معلمي الفكرة العربية في التاريخ الحديث، وواحد من المفكرين العرب الذين يُعدُّون على أصابع اليد الواحدة[١٢١].

---

(١١٧) المصدر نفسه، ص ١٣٠- ١٣١.

(١١٨) المصدر نفسه، ص ١٣٢ و١٣٤.

(١١٩) ناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ٢٠- ٢١.

(١٢٠) المصدر نفسه، ص ١٠٢- ١٠٣.

(١٢١) المصدر نفسه، ص ٣٠- ٣١، ٣٣، ٣٦، ٦٥ و٧٠.

توفّي في ٢٩ نيسان/ أبريل ١٩٧٤، فأُقيم له احتفال تأبيني كبير تمثّل فيه رئيس الجمهورية الأستاذ سليمان فرنجية بشخص محافظ بيروت شفيق حيدر. وشارك فيه رئيس مجلس الوزراء تقي الدين الصلح الذي منحه وسام الأرز الوطني من رتبة فارس[١٢٢].

وبمناسبة الذكرى الأُولى لوفاته أقيم له حفل تأبين في قصر الأونيسكو في بيروت، بتاريخ ١٨ أيار/ مايو ١٩٧٥، برعاية رئيس الجمهورية سليمان فرنجية، ومثّله فيها رئيس الوزراء رشيد الصلح. ولبّت الجمهورية العربية السورية الدعوة إلى المشاركة في الحفل، وتمثّلت فيها بوفد رسمي مؤلّف من الوزير يوسف جعيداني، وصفوان القدسي، ممثلاً الاتحاد الاشتراكي العربي. وأجمع جميع المشاركين في الاحتفال على مناقبيته العالية وصلابة موقفه وتضحياته الكثيرة في سبيل القضية العربية[١٢٣].

وأبرق باسم العراق الدكتور عبد المجيد القصاب إلى المجتمعين بذكراه قائلاً إن علي ناصر الدين مات «والبلاد مدينة له بالشيء الكثير من التضحيات»[١٢٤].

ب - **الشيخ قسطنطين يني**: أمين مال العصبة في لبنان[١٢٥]. لبناني من أصل يوناني واسمه الكامل قسطنطين يني بابا دوبلو[١٢٦]. ولد في بيروت عام ١٨٨٥. والده عبدو يني وكيل البطريرك الأنطاكي من أصل يوناني كريم وقد استعرب فغدا عربياً قومياً، ووالدته عربية من بلدة الشويفات في لبنان هي صوفيا عطا الله شقيقة سيادة المطران أثناسيوس عطا لله، وأُخته الأديبة العربية ماري إبراهيم عطا الله. تلقّى دروسه في الكلّية الوطنية في بعبدات[*]، ثم درس الأدب العربي وبرع فيه على يد العلامة الشيخ رشيد عطية[١٢٧].

اشترك في تحرير جريدة المنار في بيروت بعد إعلان الدستور العثماني عام

---

(١٢٢) المصدر نفسه، ص ١٩ و٤٧- ٤٨.
(١٢٣) المصدر نفسه، ص ١٧، ٦١، ٦٤ و٦٦.
(١٢٤) المصدر نفسه، ص ٩٨.
(١٢٥) يني، **صفحة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ٢١ و٦٠.
(١٢٦) مقابلة مع المحامي أديب خليل مجاعص في ١٩/ ١٠/ ١٩٩٠. والمحامي أديب مجاعص درس الحقوق في الجامعة السورية بدمشق في عام ١٩٣٦، واشترك في تلك الفترة في نضالات عديدة ضد سلطات الانتداب. وفي عام ١٩٣٩ عاد إلى بيروت وكان صديقاً لبعض مؤسّسي العصبة، مثل: علي ناصر الدين، والشيخ قسطنطين يني، والمحامي فهيم الخوري والدكتور رشيد معتوق.
(*) تقع في جبل لبنان في منطقة المتن الشمالي بالقرب من ضهور الشوير.
(١٢٧) المصدر نفسه، ص ٥، ١٨- ١٩ و٥٥.

١٩٠٨، ولم يكن يتجاوز العشرين من عمره. وكان في تلك الفترة يخطب داعياً للنضال والتحرر والاتحاد[١٢٨].

قبل الحرب العالمية الأُولى ذهب إلى حمص في سوريا، وأشرف على إدارة جريدة حمص. وبعد احتجاب الجريدة المذكورة، أنشأ فيها أيضاً جريدة دليل حمص داعياً من أجل النهضة العربية. وهو أوّل من أدخل الطباعة والصحافة إليها[١٢٩]. وكان أمين سر الجمعية اللامركزية[١٣٠] فيها، وعلى اتصال دائم بالمناضلين العرب وأحرارهم في بلاد الشام داخلاً وساحلاً[١٣١].

كان واحداً من المناضلين القوميين العرب الذين حكمهم جمال باشا بالإعدام. لكنه تواري عن أنظار مراقبيه وهرب بأعجوبة إلى مصر، ومنها إلى اليونان، وأخذ يترقَّب الفرص للاشتراك في تحرير البلاد العربية[١٣٢].

عاد من اليونان إلى الحجاز، وشارك مع شريف مكَّة، الملك حسين بن علي الهاشمي، في الثورة العربية الكبرى ضد الأتراك عام ١٩١٦[١٣٣]، وكان أحد ضبَّاطها البارزين[١٣٤]. ونظراً لمناقبيته وشجاعته وتضحياته وإخلاصه للقضية القومية العربية، اتخذه الملك حسين صديقاً وطلب منه البقاء إلى جانبه، ومنحه لقب «شيخ»[١٣٥]. ثم أصدر مرسوماً ملكياً بترقيته إلى زعيم فخري في الجيش العربي في الدولة العربية الهاشمية[١٣٦]. وعيَّنه وزيراً في حكومته الحجازية في جدة، وبقي فيها حتى سنة ١٩٢٤ حين أُقصي الملك حسين عن عرشه بمؤامرة إنكليزية[١٣٧].

في عام ١٩٢٤ وقبل إقصاء الملك حسين عن عرشه بقليل، رافقه في زيارته إلى شرق الأردن بهدف التباحث مع المناضلين القوميين العرب بشأن المسألة القومية، واتخاذ تدابير لمواجهة المستعمرين الفرنسيين والإنكليز. وكان له فضل كبير في تعريف

---

(١٢٨) المصدر نفسه، ص ٦ و١٨.

(١٢٩) المصدر نفسه، ص ٦- ٧، ٥٢ و٥٤.

(١٣٠) إحدى فروع حزب اللامركزية الذي تأسَّس في القاهرة عام ١٩١٢ من أجل إصلاح الدولة العثمانية.

(١٣١) يني، **صفحة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ٧ و١٠٨.

(١٣٢) المصدر نفسه، ص ٧، ٤٤، ٥١، ٥٥ و٥٧.

(١٣٣) تحدَّثت عن نتائج هذه الثورة في الفصل الأوَّل.

(١٣٤) المصدر نفسه، ص ٨، ٣٧ و٤٨.

(١٣٥) المصدر نفسه، ص ٨، ٣٧ و٥١.

(١٣٦) المصدر نفسه، ص ١.

(١٣٧) المصدر نفسه، ص ٨- ٩، ٤٧، ٥١ و٥٤.

الملك على وفد بيروت وترحيبه الحار بهم والاجتماع معهم مرّات كثيرة[١٣٨].

حاول العودة إلى بيروت بعد إقصاء الملك حسين، لكن الفرنسيين اشترطوا عليه أن لا يعمل في السياسة أبداً، فوعدهم بذلك لكي يتمكن من العودة. وقبل عودته بقليل وصلته رسالة[١٣٩] من بيروت علم منها أن رفاقاً له[١٤٠] اعتقلتهم السلطات الفرنسية وخرجوا إلى حيفا في فلسطين، فوافاهم إلى حيفا واجتمع معهم واتفقوا على متابعة النضال، ثم عاد إلى بيروت. وأوّل عمل قام به هو إخلاله بوعده للفرنسيين، حيث أخذ يناضل بالسر لتحقيق ما اتفق عليه مع رفاقه. وفي ذكرى ٦ أيار/ مايو[١٤١] كان دائماً قائداً بارزاً لهذه الذكرى[١٤٢].

رافق صديقه الأديب أمين الريحاني في جولته العربية. وله مناظرة شعرية مشهورة مع إمام اليمن. وعاد إلى لبنان «بمعلومات قيّمة عن بعض الجزيرة العربية وإقليمه، وأهليه وعاداتهم وطبائعهم وسائر أحوالهم وشؤونهم». وعكف مع فريق من إخوانه للتبشير بالجامعة العربية قبل أن توجد[١٤٣].

في عام ١٩٢٧، شارك في تأسيس عصبة تكريم الشهداء[١٤٤]. ويعود له الفضل الأوّل في إيجاد الاحتفال السنوي بذكرى السادس من أيار/ مايو في بيروت وفي دمشق، حتى أصبح هذا اليوم عيداً رسمياً تشارك الدولتان، لبنان وسوريا، في الاحتفال به. وتولّى أمانه سر عصبة تكريم الشهداء منذ تأسيسها وحتى وفاته[١٤٥].

ساعد شقيقته في مجلتها منيرفا، ثم تابع الجهاد فيها من بعدها. وكان منزله مرتاداً من الأدباء[١٤٦].

شارك في مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة في عام ١٩٣٦[١٤٧].

---

(١٣٨) المصدر نفسه، ص ١١- ١٢.

(١٣٩) بعث الرسالة الأمير أمين مصطفى أرسلان مع عادل النكدي إلى دمشق، ومن دمشق تولّى نقلها النكدي وصبري العسلي إلى عمّان.

(١٤٠) هم: الأستاذ الشيخ مصطفى غلاييني، علي ناصر الدين وأنيس الصيداوي.

(١٤١) ذكرى إعدام جمال باشا للمناضلين العرب.

(١٤٢) المصدر نفسه، ص ١٣، ١٥ و٢٠-٢١.

(١٤٣) المصدر نفسه، ص ٣٨، ٤٧ و٩٦.

(١٤٤) ناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ١٧ و٤٦.

(١٤٥) يني، المصدر نفسه، ص ٢١، ٢٤، ٣٣ و٣٧- ٣٨، والنهار، ٧/ ٤/ ١٩٣٤، ص ٥.

(١٤٦) يني، المصدر نفسه، ص ٣٥.

(١٤٧) **مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦**، ص ٢٧.

وفي سنوات ١٩٣٦ ـ ١٩٣٨، شارك في الثورة الفلسطينية وعمل على مساعدة المنكوبين في فلسطين، حيث كانت ترسل إليه المساعدات المالية والعينية لأهاليها. وهو الذي أرسل كتاباً من فلسطين إلى اللجنة في لبنان تحت عنوان **يوم فلسطين في لبنان**. وعلى الغلاف الأخير للكتاب صورة لصغيرين فلسطينيين مشرَّديْن تقول فيها الصغيرة لأخيها: لا تخف سوف ينتصر لنا العرب[(١٤٨)].

وكان في تلك الفترة أمين سر لجنة إعانة منكوبي فلسطين[(١٤٩)]، وكانت صيحاته من أجلها تدوّي[(١٥٠)].

في عام ١٩٣٧، شارك في مؤتمر بلودان وفي أعمال لجنة الدعاية المنبثقة عنه[(١٥١)] اضطهده الأجانب والمستعمرون[(١٥٢)].

عرف عنه أنه أديب وشاعر وخطيب مفوّه، وصحافي مجيد، ومن أركان النهضة العربية، ومشعل للحرية ورجل أخلاق نزيهة ومساعد للمحتاجين، وبأنه لم يتراجع عن عقيدته القومية العربية ولا عن قضية العرب، وكان وفياً للشهداء ومناضلاً صلباً وجريئاً في الدفاع عن وطنه وأمته[(١٥٣)].

توفّي في ١٧ أيار/مايو ١٩٤٧، فأقيم له حفل تأبين كبير تمثَّل فيه رئيس الجمهورية بشخص وزير المعارف والصحة الدكتور الياس خوري، وحضرها رئيس الحكومة رياض الصلح، وممثّلين عن المفوّضيات العربية، وجمهور كبير من مختلف المناطق والطوائف، وقادة وشباب الأحزاب. وألقيت كلمات أجمع فيها الخطباء على أنه كان مناضلاً صادقاً في جهاده، ومثالاً للتضحية التي لا تعرف حدوداً في سبيل القضية القومية العربية. وأصدرت الحكومة اللبنانية قراراً منحته بموجبه وسام الاستحقاق اللبناني المذهَّب من الدرجة الأولى. وأبرق من عمان الديوان الملكي الهاشمي يمتدح جهاده[(١٥٤)].

ج - فهيم الخوري: ولد في بتعبورة[(*)] عام ١٩٠١[(١٥٥)] والده الخوري

---

(١٤٨) مقابلة مع المحامي أديب خليل مجاعص في ١٩/ ١٠/ ١٩٩٠.

(١٤٩) النهار، ١٦/٩/١٩٣٦، ص ٣.

(١٥٠) يني، صفحة من التاريخ القومي العربي الحديث، ص ٩٦ و١١٦.

(١٥١) زعيتر، يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥- ١٩٣٩، ص ٣٢٢.

(١٥٢) يني، المصدر نفسه، ص ١١٢.

(١٥٣) المصدر نفسه، ص ٢٠، ٣٥، ٣٧- ٣٨، ٤٤ و٩٠.

(١٥٤) المصدر نفسه، ص ٢٧، ٣٣، ٣٨، ٤٠- ٤١، ٤٣- ٤٤ و٦٤.

(*) تقع في شمال لبنان ضمن قضاء الكورة، في منطقة القويطع.

(١٥٥) انظر الجزء الخاص بفقيد المحاماة والوطنية الأستاذ فهيم الخوري في: **الأرثوذكسية** (مرجعيون، لبنان)، السنة ٧، الأعداد ٤-٧ (نيسان/ ابريل- تموز/ يوليو ١٩٥٧)، ص ١٤٣.

جرجس نجل الخوري اندراوس حنا المقدسي، ووالدته الشيخة سكر ابنة الشيخ أسعد يعقوب العازار، وأخوه سيادة المطران بولس الخوري متروبوليت صور وصيدا وراشيا وحاصبيا ومرجعيون(١٥٦). درس المرحلة الإبتدائية في مدرسة بتعبورة، ثم انتقل إلى الكلّية الوطنية في الشويفات حيث أنهى دروسه الثانوية، وبعدها انتقل إلى دمشق وتخرّج في جامعتها في منتصف العشرينيات مجازاً بالحقوق. بدأ حياته العملية بتعليم اللغة العربية وآدابها في الكلّية المذكورة، وفور تخرُّجه عمل بالمحاماة في مكتب أخيه المحامي إبراهيم الخوري في جادة الفرنسيين في بيروت، ثم شغل مكتباً له في بناية العبد في ساحة المعرض مقابل الجامع العمري عام ١٩٣٧(١٥٧).

في منتصف العشرينيات، تعرّف على علي ناصر الدين(١٥٨) في مكتب أخيه المحامي إبراهيم الخوري في جادة الفرنسيين في بناية السمطية بجوار مكتب الشاعر صلاح لبابيدي، فجمعتهما صداقة تمكّنت بالإنسجام الروحي والعقائدي بينهما، ثم توسّعت هذه الصداقة في مطلع الثلاثينيات فشملت صلاح بيهم، والشيخ قسطنطين يني، عبد الرزاق الدندشي وغيرهم من المناضلين القوميين العرب(١٥٩). ومنذ ذلك الوقت حتى أوائل الأربعينيات، حصلت لقاءات سرّية كثيرة في مكتبه وبيته في شارع الحمراء في بيروت لعدد من المناضلين القوميين العرب من لبنان وفلسطين وسوريا والعراق(١٦٠).

في عام ١٩٢٧، شارك في تأسيس عصبة تكريم الشهداء(١٦١). وكان نائب رئيسها منذ أن تأسّست حتى عام ١٩٤٨. وبعد هذا العام أصبح أمين عامها وخطيب احتفالات ٦ أيار/ مايو حتى وفاته(١٦٢).

---

(١٥٦) جرجي نقولا باز، المطران بولس الخوري: **ذكرى السيامة** (بيروت: مطبعة دار الفنون، ١٩٤٨)، ص ٤ و٨.

(١٥٧) مقابلة مع المحامي عبد الله ابراهيم قبرصي في ٢٣/ ٩/ ١٩٩١. وهو متزوِّج من ابنة أخت فهيم الخوري. وفي مطلع الثلاثينيات تدرَّج بالمحاماة في مكتب المحاماة الذي كان يشغله المحامي فهيم مع أخيه المحامي ابراهيم الخوري. وهو أحد أمناء الحزب السوري القومي الاجتماعي الرافضين لانشقاق عام ١٩٨٧ والعاملين لوحدته.

(١٥٨) مقابلة مع الأستاذ ابراهيم فهيم الخوري في ٤/ ٩/ ١٩٩١. وهو ابن المحامي فهيم الخوري، والمدير المسؤول في جريدة **الأنوار**، لبنان.

(١٥٩) ناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ٢٨.

(١٦٠) مقابلة مع الأستاذ ابراهيم فهيم الخوري في ٤/ ٩/ ١٩٩١.

(١٦١) ناصر الدين، المصدر نفسه، ص ١٧.

(١٦٢) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١/ ١٠/ ١٩٩٠؛ **الأرثوذكسية**، السنة ٧، الأعداد ٤-٧ (نيسان/ ابريل- تموز/ يوليو ١٩٥٧)، ص ٦٧، ١٤٣ و١٤٦، و زيدان، **عالمنا العربي: سورية ولبنان**، ص ٢٢٨.

اعتنق فكرة القومية العربية ودافع عنها أمام الاتجاهات الأُخرى في كل مكان ومجلس كان يوجد فيه. وعن ذلك يقول الأُستاذ منح الصلح: «كنت طالباً في مدرسة الست أمينة المقدسي الواقعة في شارع المقدسي في الحمراء، وكان بالقرب من المدرسة بيت تتصاعد منه بشكل شبه دائم أصوات تنم عن خلافات عقائدية حادة، منها منْ يقول بالقومية العربية ووحدة الأراضي العربية، ومنها منْ يقول بالقومية السورية. وقد دفعني فضولي للتساؤل عن هذا البيت الذي تجري فيه نقاشات شبيهة بالنقاشات التي كانت تجري في بيتنا، فعلمت أن المتناقشين هم: الأب المطران بولس الخوري والمحامي فهيم الخوري اللذان كانا قوميَّين عربيَّين من جهة أُولى، والمحامي عبد الله قبرصي القومي السوري من جهة ثانية»[١٦٣]. وعندما كان المحامي عبد الله قبرصي يواجه المحامي فهيم الخوري بالخطاب الذي ألقاه في الكلِّية الوطنية في الشويفات حيث كان يعلِّم الأُستاذ فهيم، ويخطب فيها أمام الطلاب والحاضرين قائلاً: «سوريا بلادنا». كان المحامي فهيم يرد عليه موضحاً بأنه في تلك الفترة لم يكن قد اطّلع على الفكرة العربية، وعلى أن سوريا هي جزء من الوطن العربي الذي يمتد من المحيط إلى الخليج. وكان ذلك في عام ١٩٣٥[١٦٤].

ساهم في النضال الوطني ضد سلطات الانتداب فاضطهدته هذه السلطات[١٦٥].

في عام ١٩٤٣، كان أحد مؤسّسي جمعية الرسولَيْن بطرس وبولس في بيروت. وفي هذا العام اقترح إنشاء مجلة الأرثوذكسية، ثم شجَّع أخيه سيادة المطران بولس الخوري على إصدارها في مرجعيون عام ١٩٥٢[١٦٦].

في عام ١٩٤٥ أصبح عضواً في نقابة المحامين[١٦٧]. وفي عام ١٩٤٨، ألقى محاضرة في محطة الإذاعة اللبنانية ربط فيها عمل المحاماة بالمبادئ الديمقراطية الصحيحة وبإصدار القوانين التي تتَّفق وروح العصر[١٦٨].

أسَّس جمعية الاجتهاد في بتعبورة. وهو عضو في حلقة العائلات الأرثوذكسية

---

(١٦٣) مقابلة مع الأستاذ منح عادل الصلح في ٢٠/ ٩/ ١٩٩١.

(١٦٤) مقابلة مع المحامي عبد الله ابراهيم قبرصي في ٢٣/ ٩/ ١٩٩١.

(١٦٥) زيدان، عالمنا العربي: سورية ولبنان، ص ٢٢٨، و الأرثوذكسية، ص ١٤٣.

(١٦٦) الأرثوذكسية، ص ٣.

(١٦٧) المصدر نفسه، ص ١٠ و١٤٤، ومقابلة مع المحامي عبد الله ابراهيم قبرصي في ٢٣/ ٩/ ١٩٩١.

(١٦٨) المصدر نفسه، ص ١٤٤.

وفي المجلس المليّ لأبرشية جبل لبنان، وحامل وسام القديس مرقص ووسام القبر المقدّس[١٦٩].

في عام ١٩٥٥، شارك مع وفد جبل لبنان في المؤتمر الأرثوذكسي العام الذي عقد في دمشق، وساهم مساهمة كبرى في توجيه المؤتمر إلى المواقف الأرثوذكسية التقليدية الأصلية[١٧٠].

في عام ١٩٥٦، شارك في مؤتمر المحامين العرب الذي عقد في الإسكندرية في مصر[١٧١].

دعا عصبة تكريم الشهداء لاجتماع في مكتبه وأهالي الكورة لاجتماع في أوتيل البريستول في بيروت في ٢٩ نيسان/أبريل ١٩٥٧. حضر الاجتماع الأوّل الذي تقرّر فيه أن يلقي كلمة عصبة تكريم الشهداء الأستاذ جورج عقل، فطلب منه أن لا ينسى ذكر أسماء رفاقه الذين قضوا نحبهم كالدكتور رشيد معتوق. ثم توجّه إلى اجتماع البريستول وخطب في أبناء بلدته يدعوهم للتوحد. وما أن انتهى خطابه حتى أُصيب بنوبة قلبية حادة، فارتمى بين يدي رفاقه وأبناء بلدته[١٧٢]، وقال لعبد الله قبرصي وهو بين يديه في خطر الموت إن مبلغ الألف والخمسمائة ليرة في جيبي هي لجرجس تامر من بتعبورة[١٧٣].

عرف عنه أنه محام لامع اشتهر بعدله وإنصافه وتسامحه مع موكّليه، وكان نصيراً للحق والمظلومين، ومساعداً للفقراء والمحتاجين[١٧٤]. وأحبَّه زملاؤه في نقابة المحامين وأبناء بلدته ومنطقته، ورفاقه وجميع الذين تعرّفوا عليه[١٧٥]، كما عرف عنه بأنه أديب وصاحب أخلاق رفيعة، وخطيب مفوّه، ومجاهد وطني حر ونبيل وهادئ لا يبغي مكسباً من جهاده، ومناضل صلب في سبيل القضية القومية العربية، ومن أركان الوطن[١٧٦].

توفّي في ٢ أيار/ مايو ١٩٥٧[١٧٧]، فأُقيم له حفل تأبين كبير شاركت فيه الدولة

---

(١٦٩) **الأرثوذكسية**، ص ٩٦، ٩٨ و١٤٢.
(١٧٠) المصدر نفسه، ص ٩٦ و٩٨.
(١٧١) المصدر نفسه، ص ١٤٦.
(١٧٢) المصدر نفسه، ص ٤- ٥، ٨٧ و٩٥.
(١٧٣) المصدر نفسه، ص ١٠٣، ومقابلة مع المحامي عبد الله ابراهيم قبرصي في ٢٣/ ٩/ ١٩٩١.
(١٧٤) المصدر نفسه، ص ١٨، ٢١، ٢٧، ٦٧ و٨٦.
(١٧٥) المصدر نفسه، ص ١٢، ٧١، ٨٠ و٩٥.
(١٧٦) المصدر نفسه، ص ١٢، ٢١، ٢٣، ٢٨، ٨٠ و١٠٩.
(١٧٧) المصدر نفسه، ص ٧.

اللبنانية. وتمثَّل فيها رئيس الجمهورية، كميل نمر شمعون، بشخص محافظ الشمال حسني العوجا الذي منحه باسم رئيس الجمهورية وسام الاستحقاق اللبناني المذهّب. وحضر الاحتفال عدد كبير من رجال الجيش والسلك السياسي والقضاة والمحامين، وجمهور كبير من مختلف المناطق والطوائف، وقادة الأحزاب. وأُلقيت كلمات أجمع فيها الخطباء على مناقبيته ووفائه لوطنه وللشهداء العرب، وثباته على عقيدته القومية العربية، وجهاده بصدق، وتضحيته العالية في سبيل القضية العربية حتى الرمق الأخير من حياته(١٧٨).

د - **رشيد معتوق**: ولد في كفر حلدا(*) أواخر العقد التاسع من القرن التاسع عشر. والده الياس معتوق من عائلة ملاكة. أنهى دروسه الثانوية في مدرسة الأمريكان في طرابلس، ودرس الطب في الجامعة الأميركية في بيروت، ثم سافر إلى فيينا ومنها تخرّج طبيباً(١٧٩).

في عام ١٩٢٦، ساهم في تحقيق الاجتماعات التي عقدها سرّاً المناضلون العرب المتجمعين في بلدتي دوما وأميون(**)، وكانت غايتها تقرير أمر ما لمواجهة سلطات الانتداب. وعمل على نشر الفكرة العربية شانّاً حملة على السلطات المذكورة والاقطاعيين، فاضطهدته تلك السلطات(١٨٠).

في أوائل الثلاثينيات، سافر إلى العراق وعمل طبيباً فيه أيّام الملك فيصل الأول في بغداد وكربلاء والنجف. وفي خطاب له أمام الحجّاج في النجف، اقترح تحسين المحاجر الصحّية التي بنيت أيام السلطنة العثمانية لدفن الموتى الذين كان يستقدمهم الحجّاج من بلاد الهند وغيرها، وبناء محاجر جديدة والتقيُّد بقوانينها حفاظاً على الصحة العامة(١٨١).

إقامته في العراق لم تكن ثابتة، فكثيراً ما كان يأتي إلى لبنان كلّما توفَّر لديه قسط من المال ليقدِّم المساعدة لرفاقه، وليقوم بدوره النضالي ضد سلطات الانتداب. وأثناء ذلك، كان يقوم بعمله كطبيب ويعالج الكثير من المرضى مجاناً(١٨٢).

---

(١٧٨) المصدر نفسه، ص ١٨، ٢٦، ٦٥، ٦٧، ٨٢-٨٣، ٨٩، ٩١ و٩٧.

(*) تقع في شمال لبنان ضمن قضاء البترون.

(١٧٩) مقابلة مع المحامي وائل نقولا خير في ١١/٩/١٩٩١.

(**) البلدتان تقعان في شمال لبنان، الأولى ضمن قضاء البترون، والثانية ضمن قضاء الكورة.

(١٨٠) مقابلة مع المحامي وائل نقولا خير في ٤/٩/١٩٩١.

(١٨١) المصدر نفسه.

(١٨٢) المصدر نفسه.

في منتصف الأربعينيات عاد نهائياً إلى لبنان وباع قسماً من أرضه، وأنشأ في دوما مستوصفاً يقوم مقام مستشفى من حيث بعض تجهيزاته، وأرفقه بمشروع ضمان صحي كان الأوّلَ من نوعه في لبنان، وهو عبارة عن اشتراك شهري بقيمة ليرة لبنانية يقدِّمها رب العائلة إلى صندوق المستوصف، مقابل تطبيب ودواء لجميع أفراد العائلة دون أي مقابل[١٨٣].

في النصف الأوّل من الخمسينيات[١٨٤] شارك في هيئة أنصار السلام[١٨٥].

عرف عنه أن منطقة البترون بأسرها والمناطق حولها «تتحدَّث عن خدماته وفضائل أعماله أساطير»، لأنه كان في أيام الانتداب وبعد الاستقلال لا يتأخر لحظة ليلاً أو نهاراً، ثلجاً أو حراً، عن الذهاب سيراً على الأقدام من بلدة إلى بلدة لمعالجة مريض واعطاء دواء، وكثيراً ما لم يكن يتقاضى بدل أتعابه[١٨٦]. تُوفّي في صيف عام ١٩٥٦[١٨٧].

هـ - **نقولا خير**: ولد في دوما عام ١٩٠٢. والده ملحم عزيز خير أحد رجال دوما المناهضين للأتراك والمتحالفين معهم من إقطاعيّي تلك المنطقة، ووالدته مريم الساعاتي. بدأ دراسته في دوما، وأنهى علومه الثانوية في المدرسة الأميركية في طرابلس، ثم دخل الجامعة الأميركية في بيروت لدراسة طب الأسنان، لكنه ما لبث أن انتقل منها إلى كلية الحقوق في جامعة دمشق، وتخرَّج فيها مجازاً بالحقوق عام ١٩٣٠. بدأ حياته العملية بالمحاماة في مكتب زميله المحامي شوقي الدندشي في طرابلس، الذي كان بصفِّه في جامعة دمشق وتخرَّجا سوياً[١٨٨].

في عام ١٩٢٦، شارك في اللقاءات والاجتماعات التي كان يعقدها سرّاً المناضلون القوميون العرب[١٨٩] المبعدين من دمشق، والمتجمعين في أميون ودوما. وكان للدكتور رشيد معتوق دور في هذه المشاركة التي كانت الانطلاقة الأكثر تبلوراً

---

(١٨٣) المصدر نفسه، ومقابلة مع د. محمد علي الرز في ٨/ ١٠/ ١٩٩٠.

(١٨٤) مقابلة مع المحامي وائل نقولا خير في ٤/ ٩/ ١٩٩١.

(١٨٥) منظَّمة تهدف إلى تضامن الشعوب، نشأت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بدعم من الاتحاد السوفياتي.

(١٨٦) المصدر نفسه، ومقابلة مع القاضي الشيخ أسعد جرمانوس في ٤/ ٩/ ١٩٩١.

(١٨٧) مقابلة مع المحامي وائل نقولا خير في ١١/ ٩/ ١٩٩١.

(١٨٨) المصدر نفسه. وهو ابن نقولا خير، وأحد مؤسِّسي مؤسَّسة حقوق الإنسان والحق الإنساني في لبنان ومديرها، ومحاضر في القانون الدولي والفكر الإسلامي في الجامعة الأميركية في بيروت - فرع الاشرفية وفي جامعة هايكازيان في بيروت.

(١٨٩) منهم: سعد الله الجابري وسعيد الغزي والصفدي.

لنشاطه السياسي والنضالي ضد سلطات الانتداب وهو طالب في بيروت ودمشق[١٩٠].

في عام ١٩٢٨، شارك مع علي ناصر الدين في تحرير جريدة اللواء في طرابلس[١٩١].

في أوائل الثلاثينيات، قاد حملة ضد سلطات الانتداب عندما باشرت في تعيين نوّاب عن منطقة البترون في المجلس النيابي اللبناني. فاضطهده المدير العسكري اللبناني لناحية البترون، ولكنه استطاع مع رفاقه وتضافر أبناء المنطقة معه من منع تعيين النواب المعترض عليهم[١٩٢]. وأتبع معارضته لهذه السلطات بحملة على الإقطاعيين في منطقته زرعت في نفوس الشباب الثورة على الظلم والاضطهاد ومقاومة سلطات الانتداب والاقطاعيين[١٩٣].

في عام ١٩٣٢، سافر إلى العراق وعلّم في مدارس بغداد. وفي عام ١٩٣٣، شارك مع وفد بيروت في تأبين الملك فيصل الأوّل ومبايعة ابنه الملك غازي، واستضاف في منزله علي ناصر الدين طوال فترة وجود وفد لبنان في بغداد[١٩٤].

وفي تلك المدة التي علّم فيها في بغداد، كان يتردّد على لبنان ويتابع مع رفاقه النشاطات السياسية والنضالية في منطقته، ويقدّم المساعدة المالية لهم[١٩٥].

في عام ١٩٣٧، شارك في مؤتمر بلودان وفي مؤتمر الشباب القوميين العرب المنبثق عنه[١٩٦].

بعد الحرب العالمية الثانية، عاد نهائياً إلى لبنان وتوظّف في وزارة الشؤون الاجتماعية وساهم في مشروع الإعاشة لمنكوبي الحرب[١٩٧]. وفي أوائل الستينيات، أصبح رئيس مصلحة العمل والعمال في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية[١٩٨].

توفّي عام ١٩٨٧[١٩٩].

---

(١٩٠) مقابلة مع المحامي وائل نقولا خير في ٤/ ٩/ ١٩٩١.

(١٩١) المصدر نفسه؛ مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١/ ١٠/ ١٩٩٠، وناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ٩ و١٤.

(١٩٢) مقابلة مع القاضي الشيخ أسعد جرمانوس في ٤/ ٩/ ١٩٩١. وهو مستشار محكمة التمييز.

(١٩٣) مقابلة مع المحامي وائل نقولا خير في ٤/ ٩/ ١٩٩١.

(١٩٤) المصدر نفسه، وناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ٢٧.

(١٩٥) مقابلة مع المحامي وائل نقولا خير في ٤/ ٩/ ١٩٩١.

(١٩٦) زعيتر، **يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥- ١٩٣٩**، ص ٣٢٥.

(١٩٧) مقابلة مع المحامي وائل نقولا خير في ٤/ ٩/ ١٩٩١.

(١٩٨) المصدر نفسه، و **الأرثوذكسية**، ص ٣٤.

(١٩٩) مقابلة مع المحامي وائل نقولا خير في ٤/ ٩/ ١٩٩١.

و - **كاظم الصلح**: ولد في بيروت عام ١٩٠٣. والده منح أحمد بك الصلح، ووالدته شفيقة رمضان، وأخيه عادل الصلح من مؤسّسي حزب الاستقلال الجمهوري. أنهى دروسه الثانوية في مدرسة الشيخ أحمد عباس الأزهري الاسكندري في بيروت، ثم درس في الجامعة الأميركية واليسوعية والحكمة، وبعدها انتقل إلى جامعة دمشق وتخرَّج من كلّية الحقوق فيها في أوائل الثلاثينيات مجازاً بالحقوق[٢٠٠].

شارك في النضال من أجل تحقيق الأماني العربية وهو على مقاعد الدراسة. وفي العشرينيات، اشترك في إضرابات السائقين والعمال وشركة القطارات والإنارة، وفي المظاهرات الجماهيرية الرافضة للانتداب وسلطاته وتقسيم البلدان العربية. وفي مطلع الثلاثينيات، كان عضواً في حزب الاستقلال الجمهوري[٢٠١].

في عام ١٩٣٢، أسّس جريدة **النداء** التي كانت تطالب باستقلال لبنان والوحدة العربية[٢٠٢]. وفي بيته وفي مكتب الجريدة المذكورة كانت تحصل لقاءات لرجال السياسة، ومنهم علي ناصر الدين[٢٠٣].

في عام ١٩٣٣، شارك في الاحتفال الذي أقامه الشباب الوطني في دمشق تكريماً لجريدتي **الأيام** و **القبس**[٢٠٤].

شارك في تأسيس العصبة لكنه لم ينشط كثيراً كعصبوي[٢٠٥]. ويتَّضح هذا الأمر من موقفه في «مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة»، حيث كان قد شكّل تياراً استقلالياً مطالباً بتأجيل المطالبة بالوحدة إلى أن يتم التراضي حولها بين كافة الفرقاء[٢٠٦].

شارك في مؤتمر بلودان عام ١٩٣٧ وفي مؤتمر الشباب القوميين العرب المنبثق عنه. انتخب أمين سر مؤتمر الشباب المذكور، وعضو لجنته التحضيرية لعقد مؤتمر آخر لشباب العرب القوميين[٢٠٧].

---

(٢٠٠) المصدر نفسه.

(٢٠١) المصدر نفسه.

(٢٠٢) فارس أشتي، **الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩- ١٩٧٥**، ٣ مج (المختارة، لبنان: الدار التقدمية، ١٩٨٩)، مج ١: **تكوين الحزب**، ص ١١٢.

(٢٠٣) مقابلة مع الأستاذ منح عادل الصلح في ٢٠/ ٩/ ١٩٩١.

(٢٠٤) **الجامعة العربية** (القدس)، ٢٠/ ١٠/ ١٩٣٣، ص ٤.

(٢٠٥) مقابلة مع الأستاذ منح عادل الصلح في ٢٠/ ٩/ ١٩٩١.

(٢٠٦) أشتي، **الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩ - ١٩٧٥**، ص ١١٢.

(٢٠٧) زعيتر، **يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥- ١٩٣٩**، ص ٣٢٥- ٣٢٦.

أثناء الحرب العالمية الثانية، سافر إلى بغداد وهناك اشترك في ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١[٢٠٨].

في عام ١٩٤٣، شارك في مباحثات الميثاق الوطني وفي وضع البيان الوزاري الأوّل. وفي عام ١٩٤٤، تولّى رئاسة حزب النداء القومي. وفي عام ١٩٤٧، عيّن سفيراً للبنان في العراق[٢٠٩]. وفي عام ١٩٦٠، انتخب نائباً عن محافظة لبنان الجنوبي[٢١٠].

توفّي عام ١٩٧٨[٢١١].

ز - **تقي الدين الصلح**: ولد في بيروت عام ١٩٠٩. والده منح أحمد بك الصلح، ووالدته شفيقة رمضان. بدأ دراسته في مدرسة الليسيه الفرنسية في بيروت، وأنهى المرحلة الثانوية في الجامعة الأميركية في بيروت، ثم انتقل إلى الجامعة اليسوعية حيث درس اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب.

بدأ في النضال ضد سلطات الانتداب وهو على مقاعد الدراسة، وشارك في إضرابات ومظاهرات العشرينيات دفاعاً عن الاستقلال والحرية والوحدة العربية.

شارك في تأسيس العصبة، لكنه لم ينشط كثيراً كعصبوي[٢١٢].

في عام ١٩٣٣، شارك مع وفد بيروت في تأبين الملك فيصل الأوّل في بغداد[٢١٣]. وفي عام ١٩٣٦، شارك في مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة[٢١٤]. وفي عام ١٩٣٧، شارك في مؤتمر بلودان وفي مؤتمر القوميين العرب المنبثق عنه[٢١٥].

تولّى رئاسة حزب النداء القومي عام ١٩٤٧ بعد تعيين أخيه كاظم الصلح سفيراً في العراق[٢١٦].

---

(٢٠٨) مقابلة مع الأستاذ منح عادل الصلح في ٢٠/ ٩/ ١٩٩١.

(٢٠٩) مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦، ص ٧٨.

(٢١٠) ناجي كريم الحلو، حكام لبنان، ١٩٢٠- ١٩٨٠ (بيروت: مؤسسة خليفة للطباعة، ١٩٨٠)، ص ١٠٦ و١١١.

(٢١١) مقابلة مع الأستاذ منح عادل الصلح في ٢٠/ ٩/ ١٩٩١.

(٢١٢) المصدر نفسه.

(٢١٣) ناصر الدين، صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث، ص ١٥.

(٢١٤) مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦، ص ٢٧.

(٢١٥) زعيتر، يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥- ١٩٣٩، ص ٣٢٥.

(٢١٦) مقابلة مع الأستاذ منح عادل الصلح في ٢٠/ ٩/ ١٩٩١.

انتخب نائباً عن زحلة في عام ١٩٥٧[٢١٧]، ونائباً عن بعلبك في عام ١٩٦٤ وعُيِّنَ وزيراً للداخلية. وفي عام ١٩٧٣ تولّى رئاسة مجلس الوزراء[٢١٨].

توفّي في ١٣ تشرين الأوّل/ أكتوبر ١٩٨٨[٢١٩].

ح - **فؤاد النكدي**: ولد في عبيه[*] عام ١٨٩٣. والده ملحم بن سليم بن حمود بك النكدي، ووالدته الشيخة بدر هرموش، وأخوه شكيب مؤسّس مدرسة عارف النكدي المهنية. بدأ دراسته في مدرسة الداودية في عبيه، وأكمل علمه في مدرسة الإرسالية العلمانية الفرنسية في بيروت، وتخرَّج فيها في منتصف العشرينيات حاملاً شهادة بكالوريا في التجارة. وفوَر تخرُّجه عمل بالتجارة مع مؤسَّسة عبد الباقي في الأسواق التجارية، ثم شغل مكتباً تجارياً له في منطقة البورصة وسط بيروت، وفيه كان يعطي دروساً خصوصية بالتجارة لطلاب هذا العلم. وتحت ستار العمل والتعليم كانت تعقد في مكتبه اجتماعات سرّية مصغَّرة لرفاقه في العصبة[٢٢٠].

اعتنق الفكرة العربية وشارك في النضال من أجل استقلال البلدان العربية أيام العثمانيين[٢٢١].

في عام ١٩١٩ شارك في مؤتمر عيناب[٢٢٢]. وفي عام ١٩٢٧ شارك في تأسيس عصبة تكريم الشهداء[٢٢٣].

بعد الثورة السورية الكبرى، أنشأ مع بعض أصدقائه منهم سامي سليم لجنة أطفال الصحراء، وترأس هذه اللجنة التي عملت على جمع الأموال من أعضائها ومن المغتربين والمقيمين لمعاونة أبناء شهداء الثورة ورجالها الفارّين[٢٢٤].

أوقفته السلطات اللبنانية عدَّة مرَّات قبل تأسيس العصبة. وبعد تأسيسها بقليل

---

(٢١٧) الحلو، حكام لبنان، ١٩٢٠- ١٩٨٠، ص ٩١ و٩٤.

(٢١٨) المصدر نفسه، ص ١١٢، ١١٦ و١٥٥.

(٢١٩) مقابلة مع الأستاذ منح عادل الصلح في ٢٠/ ٩/ ١٩٩١.

(*) تقع في جبل لبنان ضمن قضاء عاليه.

(٢٢٠) مقابلة مع الأستاذ خالد بديع النكدي في ٢٤/ ٩/ ١٩٩١. وهو ابن أخت فؤاد النكدي، ومن سلك المساعدين القضائيين، ورئيس قلم محكمة عاليه.

(٢٢١) المصدر نفسه.

(٢٢٢) المصدر نفسه. وقد تحدَّثت عن هذا المؤتمر خلال تعريفي بعلي ناصر الدين.

(٢٢٣) ناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ١٧.

(٢٢٤) مقابلة مع الأستاذ خالد بديع النكدي في ٢٤/ ٩/ ١٩٩١.

أوقفته السلطات المذكورة واستجوبه أحد المستنطقين اللبنانيين، وأفرج عنه بعد يومين. وتعرَّض للتوقيف عدَّة مرَّات في الثلاثينيات، وككل مرَّة يتم استجوابه ثم يفرج عنه(٢٢٥).

في عام ١٩٣٦، شارك في المؤتمر القومي الإسلامي الذي عقد في بيروت وطالب بالوحدة بين الجمهوريتين اللبنانية والسورية، وإقرار اللامركزية. وكان عضو لجنته التنفيذية(٢٢٦).

عام ١٩٣٩، تولىَّ الإشراف على تكملة مشروع بيت اليتيم الدرزي بعد أن سجن ابن عمته عارف النكدي في معتقل الميّة وميّة، كما تعرَّض للتوقيف في تلك الفترة(٢٢٧).

في أوائل الخمسينيات، كوَّن لجنة لإنشاء مستشفى الشحَّار في قبرشمون(*)، وعمل مع أعضاء اللجنة منهم الدكتور يوسف حتّي لكي توافق الدولة اللبنانية على جعلها مستشفى حكومي. وتم ذلك في عام ١٩٥٦، حيث دشّن كميل نمر شمعون والأمير مجيد أرسلان المستشفى، ومنحه كميل شمعون وسام استحقاق.

توفّي في كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٦٥(٢٢٨).

ط - **صلاح الدين بيهم**: ولد في بيروت أواخر العقد التاسع من القرن التاسع عشر. والده الحاج عثمان بَيهم من ملاكي بيروت، والدته زينب بيهم(٢٢٩) ابنة الباشا محيي الدين بيهم(٢٣٠). بدأ دراسته في مدرسة الفرير وأتقن اللغة الفرنسية، ثم درس في مدرسة المقاصد الإسلامية، وأكمل علومه في مدرسة الشيخ أحمد عباس الأزهري(٢٣١).

---

(٢٢٥) المصدر نفسه.

(٢٢٦) مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦، ص ٣٤.

(٢٢٧) مقابلة مع الأستاذ خالد بديع النكدي في ٢٤/ ٩/ ١٩٩١.

(*) تقع بالقرب من عبيه ضمن قضاء عاليه.

(٢٢٨) المصدر نفسه.

(٢٢٩) مقابلة مع السيِّدة عفت حسن القاضي في ٢٧/ ٩/ ١٩٩١. وهي ابنة أخت صلاح الدين بيهم.

(٢٣٠) مقابلة مع السيِّدة يمنى محمد علي بيهم في ٢٦/ ٩/ ١٩٩١. وهي ابنة خالة لصلاح، وزوجة شريف سوبرة أوَّل سفير للبنان في اليابان مع بدء الاستقلال.

(٢٣١) مقابلة مع الأستاذ أنيس سليم ياسين في ٢٥/ ٩/ ١٩٩١. عمُّه متزوِّج من أقارب صلاح بيهم. وهو رئيس الجمعية اللبنانية الفرنسية لحاملي وسام جوقة الشرف الفرنسية، ورئيساً سابقاً للبنك اللبناني الباكستاني.

كان له دور سياسي بارز أيام العثمانيين[٢٣٢]، حيث ناضل ضدهم وقاوم سلطاتهم، فحكم عليه جمال باشا بالإعدام، لكن هذا الحكم لم ينفذ نتيجة تدخل جده الباشا محيي الدين بَيهم بوساطة مع أحد رجال الدولة التركية النافذين، وتم استبداله بالسجن. وبعد خروجه من السجن، شارك مع جيش الحلفاء في تحرير بلاده من العثمانيين[٢٣٣].

ولما أُعلن في عام ١٩١٨ عن تشكيل الحكومة العربية في بيروت، تولىً مع محمد سلام مسؤولية البنك الزراعي[٢٣٤].

رفض فكرة الانتداب وقاوم سلطاته. وفي بيته في بيروت كثيراً ما كانت تحصل اجتماعات سياسية غير علنية[٢٣٥]. وكان كثير التردُّد على قهوة العجمي في سوق الطويلة في بيروت، حيث كان يلتقي فيها مع عدد من رفاقه، ومنهم علي ناصر الدين[٢٣٦].

في عام ١٩٢٢، شارك في تحرير جريدة المنبر التي أسَّسها علي ناصر الدين[٢٣٧]. وفي العام نفسه، اعتقلته سلطات الانتداب مع عدد من المناضلين[٢٣٨] ووضعته في سجن القلعة، ثم أبعدته إلى دوما في شمال لبنان[٢٣٩].

في عام ١٩٢٧، شارك في تأسيس عصبة تكريم الشهداء[٢٤٠]. وفي عام ١٩٣٤ كان رئيساً لها[٢٤١].

في عام ١٩٣١، شارك في المؤتمر الإسلامي العام في القدس، وكان أحد

---

(٢٣٢) **مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦**، ص ٤٤.

(٢٣٣) مقابلة مع السيِّدة يمنى محمد علي بيهم في ٢٦/ ٩/ ١٩٩١.

(٢٣٤) **مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦**، ص ٤٤.

(٢٣٥) مقابلة مع السيِّدة يمنى محمد علي بيهم في ٢٦/ ٩/ ١٩٩١، ومقابلة مع السيِّدة عفت حسن القاضي في ٢٧/ ٩/ ١٩٩١.

(٢٣٦) مقابلة مع الأستاذ أنيس سليم ياسين في ٢٥/ ٩/ ١٩٩١.

(٢٣٧) ناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ٨، ومقابلة مع د. محمد علي الرز في ٨/ ١٠/ ١٩٩٠.

(٢٣٨) منهم: والد السيِّدة عفت الشيخ حسن القاضي، أبو علي سليم سلام وسليم طيارة. ولهم صورة في السجن موجودة عند السيِّدة عفت.

(٢٣٩) مقابلة مع السيِّدة عفت حسن القاضي في ٢٧/ ٩/ ١٩٩١.

(٢٤٠) ناصر الدين، المصدر نفسه، ص ١٧.

(٢٤١) **النهار**، ٧/ ٤/ ١٩٣٤، ص ٥.

أعضاء لجنته التنفيذية. وشارك في أعمال المؤتمر العربي المنبثق عنه، ووقَّع على الميثاق الذي صدر عن المؤتمر الأخير(٢٤٢).

في عام ١٩٣٣، خطب في حفل تأبين الملك فيصل الأوّل في المسجد العمري في بيروت قائلاً «مات من قال نحن عرب قبل عيسى وموسى ومحمد. .. الاستقلال يؤخذ ولا يعطى»(٢٤٣). وفي العام نفسه، شارك في الاحتفال الذي أقامه الشباب الوطني في دمشق تكريماً لجريدتي **الأيام** و **القبس**(٢٤٤)، كما شارك في مؤتمر الساحل الذي عقد في بيروت(٢٤٥).

في عام ١٩٣٦، شارك في الدعوة مع علي ناصر الدين لعقد مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة(٢٤٦)، وقام بمهمة سكرتير المؤتمر وانتخب نائباً لرئيسه(٢٤٧).

اعتقلته سلطات الانتداب في أواخر الثلاثينيات ووضعته في سجن القلعة، وبعد الإفراج عنه غيَّر مسكنه وسكن في شتورا(٢٤٨).

عُرف عنه أنه رجل عربي ثائر على القديم البالي، وعلى المعاهدات والاتفاقات التي تعطي أي مكسب أو حق للمستعمرين، وعلى كل ألوان الاستعمار، وجريء لم يتسرب إليه اليأس ولم يسكت على مظالم المستعمر ولم يخف، ولم يلف، ولم يراوغ، ولم يتزلف، وظّل مؤمناً بالقضية العربية ومناضلاً باسلاً في سبيلها حتى وفاته.

توفّي أواخر الستينيات(٢٤٩).

ي - **عزت قريطم**: ولد في بيروت عام ١٨٩١. والده الحاج أنيس قريطم من ملاّكي بيروت، ووالدته سعدية قريطم. أنهى دروسه الثانوية في مدرسة الشيخ أحمد عباس الأزهري(٢٥٠).

---

(٢٤٢) دروزة، **حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات**، ص ٧٩، ٨١ و٣٠٣.

(٢٤٣) **الجامعة العربية**، ١٨/ ٩/ ١٩٣٣، ص ٣.

(٢٤٤) **الجامعة العربية**، ١٢/ ١٠/ ١٩٣٣، ص ٤.

(٢٤٥) **مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦**، ص ٤٤.

(٢٤٦) مقابلة مع العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في ٢٤/ ٩/ ١٩٩٠.

(٢٤٧) **مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦**، ص ٤٤ و٦٤.

(٢٤٨) مقابلة مع السيِّدة عفت حسن القاضي في ٢٧/ ٩/ ١٩٩١.

(٢٤٩) المصدر نفسه.

(٢٥٠) مقابلة مع السيِّدة ناديا عادل الطويل في ٣/ ١٠/ ١٩٩١. وهي ابنة عزت قريطم، وزوجة الأستاذ عادل الطويل.

عمل في الخدمة الإجبارية في الجيش التركي وكان مسؤولاً عن مجموعة عسكرية فيه. قدَّم الخبز والطعام سرَّاً أثناء المجاعة عام ١٩١٤ للأهالي في المناطق التي خدم فيها.

اعتنق الفكرة العربية، وكان يشارك سرَّاً من حين لآخر في اللقاءات السياسية التي كانت تحصل في بيروت بهدف التخلص من حكم الأتراك وسيطرتهم. وعندما اندلعت الثورة العربية الكبرى فرَّ من الجيش التركي، فأخذ رجال الأتراك يبحثون عنه لاعتقاله، لكنه اختبأ بعيداً عن أنظارهم، ثم شارك في الأعمال الحربية ضدَّهم. وبعد هزيمتهم توظَّف في الجمارك في ميناء بيروت.

رفض الانتداب وتجزئة البلدان العربية، وشارك في المقاومة ضد الفرنسيين دفاعاً عن الحكومة العربية في بيروت(٢٥١). شارك في الاجتماع الذي عقد في المدينة المذكورة عام ١٣٤٣هـ - الموافق عام ١٩٢٣م ـ لمبايعة الملك حسين بن علي الهاشمي ملكاً على البلاد العربية، ووقَّع على البيان الصادر عن هذا الاجتماع(٢٥٢).

في عام ١٩٢٧ شارك في تأسيس عصبة تكريم الشهداء، وكانت تعقد في بيته في المصيطبة اجتماعات سرِّية يحضرها عدد من رجال السياسة، منهم علي ناصر الدين وصلاح بيهم(٢٥٣).

في عام ١٩٣٣، شارك في الاحتفال الذي أقامه الشباب الوطني في دمشق تكريماً لجريدتي **الأيام** و **القبس**(٢٥٤).

شارك في مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة عام ١٩٣٦(٢٥٥) وفي العام نفسه، شارك في الاجتماع الإسلامي في دار مفتي الجمهورية الشيخ توفيق خالد، للتباحث في الأوضاع السياسية العامة وتنظيم صفوف الطائفة الإسلامية(٢٥٦).

---

(٢٥١) المصدر نفسه.

(٢٥٢) لهذا البيان نسخة يظهر فيها اسم عزت قريطم وتوقيعه، والنسخة موجودة لدى الأستاذ غازي قريطم. انظر أيضاً: مقابلة مع الأستاذ غازي حسن قريطم في ٢/ ١٠/ ١٩٩١. وهو متزوِّج من حفيدة عزت قريطم، وعضو مجلس أمناء جمعية المقاصد، ورئيس جمعية خرِّيجين الانترناشيونال كولدج وعضو مجلس أمنائها في أمريكا، ومدير عام شركة سوليفر، ومدير عام شركة طيران الـ T.M.A سابقاً.

(٢٥٣) مقابلة مع السيِّدة ناديا عادل الطويل في ٣/ ١٠/ ١٩٩١.

(٢٥٤) **الجامعة العربية**، ١٢/ ١٠/ ١٩٣٣، ص ٤.

(٢٥٥) **مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦**، ص ٢٧.

(٢٥٦) **النهار**: ١٢/ ٧/ ١٩٣٦، و١٣/ ٧/ ١٩٣٦، ص ٤.

بعد الحرب العالمية الثانية أصبح مديراً في وزارة الاقتصاد، وأثناء ذلك ساهم في مشروع الإعاشة لمنكوبي الحرب[٢٥٧] توفي في ٢٠ شباط/ فبراير ١٩٦٧[٢٥٨].

ك - فريد زين الدين: ولد في عين قني[*] عام ١٩٠٧. والده محمد زين الدين[٢٥٩]، ووالدته أميرة سليم[٢٦٠]. أنهى دراسته الثانوية في الانترناشيونال كولدج في بيروت[٢٦١]، ثم درس في الجامعة الأميركية في بيروت وتخرّج فيها مجازاً بالآداب[٢٦٢] ثم درس في جامعة باريس[٢٦٣] وتخرَّج فيها بشهادة دكتوراه بالقانون[٢٦٤]، ودرس في جامعة برلين[٢٦٥] وتخرَّج فيها بشهادة دكتوراه في الاقتصاد والمال والعلوم السياسية، وأتقن العربية والإنكليزية والفرنسية والألمانية. بدأ حياته العملية بالمحاماة في لبنان[٢٦٦].

أبعدته سلطات الانتداب عن لبنان إلى فلسطين[٢٦٧]، وهناك عمل مديراً لمدرسة النجاح في نابلس[٢٦٨]. وكان عضو اللجنة التحضيرية لمهرجان تأبين ابراهيم هنانو في نابلس. خطب في المهرجان في ٢٦/ ١/ ١٩٣٦ حاملاً على الإقليمية، وعلى عصبة الأمم ولجنة الانتداب، واعتبر جنيف سوقاً للنخاسة، وانتقد وضع لبنان السياسي قائلاً: «ولست أعرف أمة نعتت بالكبير غير بريطانيا العظمى ولبنان الكبير»[٢٦٩].

---

(٢٥٧) مقابلة مع الأستاذ غازي حسن قريطم في ٢/ ١٠/ ١٩٩١.

(٢٥٨) مقابلة مع السيِّدة ناديا عادل الطويل في ٣/ ١٠/ ١٩٩١.

(*) تقع في جبل لبنان ضمن قضاء الشوف، بالقرب من المختارة.

(٢٥٩) حكم جمال باشا عليه بالاعدام، لكن هذا الحكم لم ينفَّذ بسبب تدخُّل أخيه سعيد رئيس محكمتيْ الاستئناف والتمييز أيام العثمانيين بوساطة مع جمال باشا. انظر: محمد خليل الباشا، **معجم أعلام الدروز**، ٢ ج (المختارة، لبنان: الدار التقدمية، ١٩٩٠)، ج ٢: ز - ي، ص ١٦.

(٢٦٠) مقابلة مع الأستاذ سعيد كامل زين الدين في ٧/ ١٠/ ١٩٩١. وهو ابن ابن عم فريد زين الدين (أي كامل زين الدين وفريد زين الدين أولاد عم)، ومتخرِّج في كلِّية الإعلام في جامعة القاهرة.

(٢٦١) مقابلة مع المحامي وائل نقولا خير في ٤/ ٩/ ١٩٩١.

(٢٦٢) المصدر نفسه، ومقابلة مع الأستاذ سعيد كامل زين الدين في ٧/ ١٠/ ١٩٩١.

(٢٦٣) الباشا، **معجم أعلام الدروز**، ص ١٦.

(٢٦٤) مقابلة مع الأستاذ سعيد كامل زين الدين في ٧/ ١٠/ ١٩٩١.

(٢٦٥) الباشا، المصدر نفسه، ص ١٦.

(٢٦٦) مقابلة مع الأستاذ سعيد كامل زين الدين في ٧/ ١٠/ ١٩٩١.

(٢٦٧) المصدر نفسه.

(٢٦٨) زعيتر، **يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥- ١٩٣٩**، ص ٣٤.

(٢٦٩) المصدر نفسه، ص ٤٥.

أثناء الثورة الفلسطينية اعتقلته سلطات الانتداب البريطاني، ثم أبعدته إلى سوريا(٢٧٠).

في عام ١٩٣٧، شارك في مؤتمر بلودان وانتخب مقرِّراً للجنته الاقتصادية والمالية، وشارك في مؤتمر الشباب القوميين العرب المنبثق عنه وانتخب عضو لجنته التحضيرية لعقد مؤتمر آخر لشباب العرب القوميين(٢٧١).

قبل الحرب العالمية الثانية، عيِّن مديراً للشؤون الخارجية في وزارة الخارجية في سوريا، لكنه ما لبث أن استقال احتجاجاً على سياسة المجاراة للفرنسيين(٢٧٢).

عام ١٩٤٤ عيِّن مديراً عاماً للتموين في سوريا(٢٧٣). وفي عام ١٩٤٥، مثَّل سوريا بصفة خبير في الوفد الذي شُكِّل للمشاركة في مؤتمر سان فرنسيسكو، وهو أوَّل مؤتمر للأُمم المتحدة(٢٧٤). وفي عام ١٩٤٦ انتخب نائباً في سوريا(٢٧٥). وفي عام ١٩٤٧ عيِّن وزيراً مفوَّضاً لسوريا في الاتحاد السوفياتي(٢٧٦). وفي عام ١٩٥٦ عيِّن سفيراً لسوريا في الولايات المتحدة الأمريكية(٢٧٧).

له عدَّة مؤلَّفات، منها: كتاب باللغة الفرنسية **نظام المراقبة على الانتدابات الدولية**، وآخر بالعربية **الحركات القومية في أوروبا في القرن التاسع عشر**. ومنح وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة، ووسام نهر النيل، ووسام محمد الخامس في المغرب. توفِّي في ١٧ كانون الأول / ديسمبر عام ١٩٧٩(٢٧٨).

ل – عبد الرزاق الدندشي: هو أوَّل أمين سر عام للعصبة(٢٧٩) خلافاً لما ذكره بلاوني في مجلة **دراسات تاريخية** بأنه ثاني أمين سر عام(٢٨٠).

---

(٢٧٠) مقابلة مع الأُستاذ سعيد كامل زين الدين في ٧/ ١٠/ ١٩٩١.

(٢٧١) زعيتر، المصدر نفسه، ص ٣٢١ و٣٢٥- ٣٢٦.

(٢٧٢) مقابلة مع الأستاذ سعيد كامل زين الدين في ٧/ ١٠/ ١٩٩١.

(٢٧٣) المصدر نفسه.

(٢٧٤) يوسف الحكيم، **سورية والانتداب الفرنسي** (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٨٣)، ص ٣٩٩.

(٢٧٥) توري، **السياسة السورية والعسكريون، ١٩٤٥ . ١٩٥٨**، ص ٩٣.

(٢٧٦) مقابلة مع الأستاذ سعيد كامل زين الدين في ٧/ ١٠/ ١٩٩١.

(٢٧٧) توري، المصدر نفسه، ص ٩٣.

(٢٧٨) مقابلة مع الأستاذ سعيد كامل زين الدين في ٧/ ١٠/ ١٩٩١.

(٢٧٩) مقابلة مع العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في ٢٤/ ٩/ ١٩٩٠؛ مقابلة مع د. محمد علي الرز في ٨/ ١٠/ ١٩٩٠؛ **الشعب**، ٦/ ٩/ ١٩٣٣، ص ٢، و دندشلي، **حزب البعث العربي الاشتراكي، ١٩٤٠- ١٩٦٣: مساهمة في نقد الحركات السياسية في الوطن العربي**، ج ١: **الايديولوجيا والتاريخ السياسي**، ص ١٢.

(٢٨٠) بلاوني، «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣- ١٩٣٩،» ص ١٩٣.

في أواخر الحرب العالمية الأُولى كان يدرس في بيروت، وعندما عَلِم بدخول الملك فيصل الأوَّل إلى الشام، ذهب إلى دمشق لملاقاته[٢٨١]. نال شهادة دكتوراه في الحقوق من جامعة باريس[٢٨٢].

في عام ١٩٢٧ شارك في تأسيس عصبة تكريم الشهداء[٢٨٣].

في عام ١٩٣٣، زار الملك فيصل الأوَّل في عمَّان مع عدد من رفاقه. وخطب في حفل تأبينه في دمشق قائلاً: «لعينك أبا غازي هذه الوحدة الكبرى التي أردت وهذا المجد الذي هويت...»[٢٨٤].

في عام ١٩٣٤، شارك في مؤتمر اتحاد المحامين الذي عقد في بلدة سوق الغرب قرب عاليه في لبنان، وانتخب عضو لجنة المستشارين للإتحاد[٢٨٥].

كان له جولات في خدمة القضية الفلسطينية[٢٨٦].

توفِّي في تموز/ يوليو ١٩٣٥[٢٨٧] ويذكر دندشلي أنه شخصية عربية بارزة، اغتيل بعد تأسيس العصبة بقليل[٢٨٨]. ويقول لونغريغ إن موته كان ضربة مؤلمة للعصبة[٢٨٩].

م - **صبري العسلي**: هو ثاني أمين سر عام للعصبة (١٩٣٥ ـ ١٩٣٦)[٢٩٠].

ولد في دمشق عام ١٩٠٣[٢٩١] والده زاهد العسلي نفاه جمال باشا إلى قونية في تركيا بعد أن أعدم أخيه[٢٩٢] شكري العسلي عام ١٩١٦. وفي قونية أنهى صبري

---

(٢٨١) الجامعة العربية، ٢٣/ ١٠/ ١٩٣٣، ص ٦.

(٢٨٢) الشعب، ٤/ ٩/ ١٩٣٣، ص ٢.

(٢٨٣) ناصر الدين، صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث، ص ٢٨.

(٢٨٤) الجامعة العربية، ٢٣/ ١٠/ ١٩٣٣، ص ٦.

(٢٨٥) النهار، ١٠/ ٧/ ١٩٣٤، ص ٤.

(٢٨٦) زعيتر، يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥- ١٩٣٩، ص ٤.

(٢٨٧) المصدر نفسه، ص ٤.

(٢٨٨) دندشلي، حزب البعث العربي الاشتراكي، ١٩٤٠- ١٩٦٣: مساهمة في نقد الحركات السياسية في الوطن العربي، ج ١: الايديولوجيا والتاريخ السياسي، ص ١٢.

(٢٨٩) لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ص ٢٨٧.

(٢٩٠) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ٨/ ١٠/ ١٩٩٠؛ دندشلي، المصدر نفسه، ص ١٤؛ محمد حرب فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨- ١٩٥٥ (دمشق: دار الرواد، ١٩٥٥)، ص ١٨٨، والنهار، ٦/ ٧/ ١٩٣٦، ص ٣.

(٢٩١) زيدان، عالمنا العربي: سورية ولبنان، ص ١٢٢.

(٢٩٢) محمد أديب آل تقي الدين الحصني، منتخبات التواريخ لدمشق، ٣ ج في ٢ (بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩)، ص ٨٨٣- ٨٨٤.

دروسه الثانوية. عاد إلى دمشق عام ١٩١٩ ودرس في جامعتها وتخرَّج فيها مجازاً بالحقوق[٢٩٣].

بدأ حياته بالنضال ضد سلطات الانتداب، فهو الذي أوصل الرسالة التي أُرسلت من بيروت عام ١٩٢٤ إلى قسطنطين يني في عمّان[٢٩٤].

في عام ١٩٢٦، اشترك في الثورة السورية الكبرى، وكان من أبطالها ومدّعي عام محكمتها. وبعد فشل الثورة، صدرت ثلاثة أحكام عليه بالإعدام من المجالس العدلية الفرنسية، فترك سوريا وأخذ يتنقل بين فلسطين ومصر إلى أن صدر العفو العام سنة ١٩٢٨، فعاد إلى دمشق وعمل بالمحاماة[٢٩٥].

شارك في مؤتمر اتحاد المحامين في سوق الغرب عام ١٩٣٤[٢٩٦].

في عام ١٩٣٦ وافق على المعاهدة السورية ـ الفرنسية[٢٩٧]، وتعاون مع الكتلة الوطنية وترشَّح على قائمة مرشَّحيها[٢٩٨] عن دمشق لانتخابات المجلس النيابي السوري، وفاز بالنيابة[٢٩٩]، فأسقطت عضويته من العصبة في العام نفسه[٣٠٠].

في عام ١٩٣٧، شارك في مؤتمر بلودان وانتخب عضواً في مكتبه الإداري، ومساعداً لأمين سر المؤتمر، كما شارك في مؤتمر الشباب القوميين العرب المنبثق عنه[٣٠١].

في عام ١٩٣٩، عارض تعطيل المجلس النيابي في سوريا[٣٠٢]. وفي العام نفسه تحالف مع العصبة بعد أن أصبح الوضع الداخلي للكتلة الوطنية غير

---

(٢٩٣) زيدان، المصدر نفسه، ص ١٢٢.

(٢٩٤) يني، **صفحة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ١٣.

(٢٩٥) زيدان، المصدر نفسه، ص ١٢٣.

(٢٩٦) **النهار**، ١٠/٧/١٩٣٤، ص ٤.

(٢٩٧) فرزات، **الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨-١٩٥٥**، ص ١٨٨، وبلاوني، «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣-١٩٣٩،» ص ١٩٨.

(٢٩٨) دندشلي، **حزب البعث العربي الاشتراكي، ١٩٤٠- ١٩٦٣: مساهمة في نقد الحركات السياسية في الوطن العربي**، ج ١: **الايديولوجيا والتاريخ السياسي**، ص ١٥.

(٢٩٩) زيدان، **عالمنا العربي: سورية ولبنان**، ص ١٢٢.

(٣٠٠) بلاوني، «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣- ١٩٣٩،» ص ١٩٥.

(٣٠١) زعيتر، **يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥- ١٩٣٩**، ص ٣١٧، ٣٢٣ و٣٢٥.

(٣٠٢) زيدان، **عالمنا العربي: سورية ولبنان**، ص ١٢٢.

منسجم[٣٠٣]. قاد حملة ضد سلطات الانتداب عندما زعمت هذه السلطات أن رجال الكتلة الوطنية هم وراء مقتل الشهبندر، وقد وفِّق في انتزاع براءة المتهمين[٣٠٤].

في عام ١٩٤٢، اعتقلته سلطات الانتداب الفرنسي ـ الإنكليزي في راشيا في لبنان مدّة سنة كاملة. وبعد الإفراج عنه، انتخب نائباً عن دمشق عام ١٩٤٣. تولّى وزارة المعارف في عام ١٩٤٥[٣٠٥]، ووزارة الداخلية في عام ١٩٤٦[٣٠٦].

في عام ١٩٤٧، اشترك في تأسيس الحزب الجمهوري العربي الذي عُرف بالحزب الوطني. وفي عام ١٩٤٨ تولّى وزارة الداخلية. وفي العام ذاته حصلت مظاهرات عنيفة في دمشق احتجاجاً على حكومة جميل مردم الذي هو أحد أعضائها، ورماه أحد المتظاهرين بقنبلة يدوية[٣٠٧].

لم يؤيِّد الانقلابات التي حصلت في سوريا، واعتقل أيام أديب الشيشكلي[٣٠٨]. في عام ١٩٥٤ تولّى رئاسة الوزارة. وفي عام ١٩٥٥، وقَّع على اتفاقية مع مصر أدّت إلى وحدة سوريا ومصر وقيام الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨، وكان نائباً لرئيسها جمال عبد الناصر، لكنه ما لبث أن استقال في العام نفسه[٣٠٩].

يعود له الفضل في تحقيق مشاريع قصر العدل والقانون المدني وقانون العقوبات في وزارة العدل في سوريا[٣١٠].

ن - **عبد الكريم العائدي**: ولد في دمشق عام ١٩٠٣. والده عثمان العائدي. درس في جامعة دمشق وتخرَّج فيها طبيباً للأسنان. بدأ حياته العملية مديراً للكلّية العلمية الوطنية لمدَّة ستة عشر سنة[٣١١].

شارك في الثورة السورية الكبرى[٣١٢]. وأثناء ذلك طاردته سلطات الانتداب،

---

(٣٠٣) عبد الله حنا، **الحركة العمالية في سورية ولبنان، ١٩٠٠ - ١٩٤٥** (دمشق: دار دمشق، ١٩٧٣)، ص ٢٢٠.
(٣٠٤) زيدان، المصدر نفسه، ص ١٢٢.
(٣٠٥) المصدر نفسه، ص ١٢٣.
(٣٠٦) توري، **السياسة السورية والعسكريون، ١٩٤٥ - ١٩٥٨**، ص ٨٧.
(٣٠٧) المصدر نفسه، ص ٩٨ و ١١٧.
(٣٠٨) زيدان، المصدر نفسه، ص ١٢٣.
(٣٠٩) توري، المصدر نفسه، ص ٤١٧ - ٤١٨.
(٣١٠) زيدان، المصدر نفسه، ص ١٢٣.
(٣١١) المصدر نفسه، ص ١٧١.
(٣١٢) مقابلة مع العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في ٢٤/ ٩/ ١٩٩٠.

فنزح إلى الأُردن فالعراق فالحجاز. وهناك كان يقوم بجمع الأموال مع رفاقه وإرسالها إلى الثورة.

عاد إلى سوريا وبدأ حياته الحزبية في صفوف الكتلة الوطنية ثم تركها(٣١٣).

في عام ١٩٣٣، مثَّل العصبة في حفل تأبين الملك فيصل الأوَّل في بغداد، واجتمع مع ابنه الملك غازي الأوَّل، ولقي منه تشجيعاً للعصبة وأهدافها(٣١٤).

عام ١٩٣٧، شارك في مؤتمر بلودان وفي مؤتمر الشباب القوميين العرب المنبثق عنه(٣١٥).

اعتقلته ونفته سلطات الانتداب عدَّة مرات. وفي آخر مرَّة نُفي من سوريا ولم يتمكن من العودة إليها إلا بعد خروج الانتداب منها(٣١٦).

في أواخر عام ١٩٤٣ عُينِّ قائمقام دوما(*). وبعد ذلك تولَّى عدَّة مناصب، هي: مدير لشرطة دمشق، محافظ لحماة، مدير للعشائر ومحافظ للفرات(٣١٧). وعُينِّ من قبل جامعة الدول العربية مديراً لمكاتب المقاطعة العربية لكل من يتعامل مع المؤسَّسات والشركات الإسرائيلية(٣١٨).

س - شفيق سليمان: ولد في دمشق عام ١٩٠٥. والده حسني سليمان. مجاز بالحقوق من الجامعة السورية. عمل بالمحاماة في دمشق وكاتباً للعدل في بيروت(٣١٩).

قاوم سلطات الانتداب، فحكمت عليه في عام ١٩٢٢ بالسجن مع الأشغال الشاقة مدَّة خمسة عشر سنة، فلجأ إلى عمَّان في الأردن وبقي فيها إلى أن صدر العفو عنه بعد ثلاث سنوات(٣٢٠).

في عام ١٩٣٦ شارك في الثورة الفلسطينية(٣٢١). وفي عام ١٩٣٧، شارك في

---

(٣١٣) زيدان، المصدر نفسه، ص ١٧١.
(٣١٤) الشعب، ٢١/٩/١٩٣٣، ص ٢.
(٣١٥) زعيتر، يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥- ١٩٣٩، ص ٣٢٥.
(٣١٦) زيدان، عالمنا العربي: سورية ولبنان، ص ١٧١.
(*) منطقة في سوريا بالقرب من دمشق.
(٣١٧) المصدر نفسه، ص ١٧١.
(٣١٨) مقابلة مع العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في ٢٤/٩/١٩٩٠.
(٣١٩) زيدان، المصدر نفسه، ص ٢٣٩.
(٣٢٠) المصدر نفسه، ص ٢٣٩.
(٣٢١) مقابلة مع العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في ٢٤/٩/١٩٩٠.

مؤتمر بلودان وفي مؤتمر الشباب القوميين العرب المنبثق عنه[٣٢٢]. وفي تلك المدّة، كان يتولىً الإشراف على نقل السلاح من العراق إلى فلسطين، فاعتقلته سلطات الانتداب بتهمة تهريب السلاح والذخائر[٣٢٣].

بعد الإفراج عنه، استمر في نضاله إلى أن عَلِم بأن السلطات المذكورة تنوي اعتقاله من جديد، فهرب إلى العراق وبقي فيه حتى نشوب ثورة رشيد عالي الكيلاني، حيث عاد خفية إلى سوريا[٣٢٤].

في عام ١٩٤٣، اعتقلته سلطات الانتداب وسجنته في راشيا، ثم أخلت سبيله في العام نفسه[٣٢٥].

ع - **عبد القادر الميداني**: ولد في دمشق عام ١٩١٢. والده توفيق الميداني. درس في الجامعة السورية وتخرّج فيها مجازاً بالحقوق. بدأ حياته العملية بممارسة المحاماة.

ساهم في النضال الوطني ضد الانتداب[٣٢٦]. وشارك في مؤتمر بلودان عام ١٩٣٧[٣٢٧].

عُيِّن محافظاً للجزيرة[*] عام ١٩٤٥، ومحافظاً لحمص عام ١٩٤٨. وبعد ذلك ترك الوظيفة وعمل بالمحاماة[٣٢٨].

انتخب رئيساً لجمعية إنعاش القرى لتحقيق الخدمات الاجتماعية وتعليم الأُمِّيين والعناية الصحية ومحاربة الطائفية. وانتخب نقيباً للمحامين في دمشق. وهو مشاور حقوقي لعدّة مؤسّسات وشركات كبرى، وعضو جمعية حماية الأحداث وجمعية مكافحة السل[٣٢٩].

ف - **عرفان الجلاد**: ولد في دمشق عام ١٩٠٩. درس في الجامعة السورية

(٣٢٢) زعيتر، يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥ - ١٩٣٩، ص ٣٢٥.
(٣٢٣) بلاوني، «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣- ١٩٣٩»، ص ١٩٦.
(٣٢٤) زيدان، عالمنا العربي: سورية ولبنان، ص ٢٣٩.
(٣٢٥) المصدر نفسه، ص ٢٣٩.
(٣٢٦) المصدر نفسه، ص ٢٧٥.
(٣٢٧) زعيتر، يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥- ١٩٣٩، ص ٣٢٥.
(*) إحدى محافظات سوريا.
(٣٢٨) زيدان، المصدر نفسه، ص ٢٧٥.
(٣٢٩) المصدر نفسه، ص ٢٧٥- ٢٧٦.

وتخرّج فيها مجازاً بالحقوق. بدأ حياته العملية بالتجارة عام ١٩٢٩[٣٣٠].

عام ١٩٣٧، شارك في مؤتمر بلودان وفي مؤتمر الشباب القوميين العرب المنبثق عنه، وانتخب أميناً للصندوق للمؤتمر الأخير[٣٣١].

استقال من العصبة في نهاية الحرب العالمية الثانية، وبعد الاستقالة اشترك في تأسيس الحزب الوطني وانتخب عضو لجنته المركزية.

أسّس تعاونية الموظفين عام ١٩٤٢. تولّى الإدارة العامة لشركة الطيران السوري عام ١٩٤٨، وعيِّن مديراً عاماً لشركة المغازل والمناسج عام ١٩٥٠. وفي عام ١٩٥٢، ترك الوظيفة وتابع أعماله التجارية الخاصة، وتولّى رئاسة نادي الروتاري الدولي[٣٣٢].

ص - مكرم الأتاسي: ولد في حمص عام ١٨٩٩. والده عبد الكريم الأتاسي. درس في الجامعة السورية وتخرّج فيها مجازاً بالحقوق.

عيِّن محافظاً لدير الزور، وتولّى رئاسة بلدية حمص، وإدارة مؤسّسة كهرباء حمص وحماة، كما قام بأعباء وزارة الزراعة، وكان عضواً في نادي الضبّاط ونادي حمص الأهلي[٣٣٣].

ق - أكرم زعيتر: ولد في نابلس في فلسطين عام ١٩٠٩[٣٣٤] والده الشيخ عمر حسن زعيتر، وأخوه[٣٣٥] الكاتب العربي عادل زعيتر[٣٣٦]. تلقّى دراسته الثانوية في نابلس[٣٣٧] في مدرسة النجاح، وفي أوائل العشرينيات كان طالباً في الجامعة الأميركية في بيروت[٣٣٨]، ثم انتقل إلى القدس وتخرّج في كلّية الحقوق فيها. بدأ حياته العملية أستاذاً في عدد من ثانويات فلسطين[٣٣٩].

---

(٣٣٠) المصدر نفسه، ص ٤٣٩.

(٣٣١) زعيتر، المصدر نفسه، ص ٣٢٥- ٣٢٦.

(٣٣٢) زيدان، المصدر نفسه، ص ٤٣٩.

(٣٣٣) المصدر نفسه، ص ٢١٢.

(٣٣٤) نجيب البعيني، «كلمات المقاطع الأخيرة،» اللواء، ١٠/ ٩/ ١٩٩١، ص ١٠.

(٣٣٥) حكم العثمانيون عليه بالإعدام غيابياً وهو في مصر.

(٣٣٦) خير الدين الزركلي، **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ٨ ج، ط ٥ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠)، ج ٣، ص ٢٤٤.

(٣٣٧) البعيني، المصدر نفسه، ص ١٠.

(٣٣٨) ناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ٨.

(٣٣٩) البعيني، المصدر نفسه، ص ١٠.

على أثر ثورة ١٩٢٩ في فلسطين وحملة المندوب السامي البريطاني على الثائرين العرب، استقال، وهو أستاذ في ثانوية عكا، من مهنة التعليم، وتفرّغ للعمل الوطني والنضال القومي وتولّى رئاسة تحرير جريدة **مرآة الشرق** المقدسية. وبعد عدة أشهر من النضال أُلقي القبض عليه وأُبعد لمدة سنة[٣٤٠]. كان خطيباً للثورة في نابلس[٣٤١].

عاد إلى نابلس وقاد الحركة الوطنية فيها، وألَّف «جمعية العناية بالمساجين العرب» الذين دخلوا السجن نتيجة اضطرابات ١٩٢٩ - ١٩٣١[٣٤٢].

في عام ١٩٣٢، شارك في تأسيس حزب الاستقلال العربي في فلسطين[٣٤٣]، وعمل على نشر فكرة الاستقلال وتعبئة الجماهير الفلسطينية لمقارعة الانتداب البريطاني[٣٤٤]. ومن العام نفسه حتى عام ١٩٣٤، كان محرراً في **مجلة العرب**[٣٤٥] في فلسطين[٣٤٦].

في عام ١٩٣٣، ترافق مع علي ناصر الدين إلى بغداد للمشاركة في تأبين الملك فيصل الأول[٣٤٧].

في عام ١٩٣٥، اختارته اللجنة التحضيرية المنبثقة عن الاجتماع الشعبي الكبير الذي عقد في نابلس ليكون ناطقاً باسمها في مهرجان الذكرى الثامنة عشرة لتصريح بلفور. وفي العام نفسه منعته سلطات الانتداب الفرنسي في سوريا من دخولها[٣٤٨].

في عام ١٩٣٦، كان أحد أعضاء اللجنة التحضيرية لمهرجان تأبين ابراهيم هنانو[٣٤٩]، كما شارك في الثورة الفلسطينية، فاعتقلته سلطات الانتداب البريطاني

---

(٣٤٠) المصدر نفسه، ص ١٠.

(٣٤١) **صوت الأحرار**، ٦/ ٩/ ١٩٣٣، ص ١.

(٣٤٢) البعيني، المصدر نفسه، ص ١٠.

(٣٤٣) أكرم زعيتر، **وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩١٨- ١٩٣٩، من أوراق أكرم زعيتر**، أعدتها للنشر بيان نويهض الحوت، الوثائق الأساسية والعامة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٩)، ص ٣٦١.

(٣٤٤) ناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ٩.

(٣٤٥) أسَّس هذه المجلة عجاج نويهض.

(٣٤٦) مقابلة مع د. عادل عجاج نويهض في ١٩/ ٩/ ١٩٩٠.

(٣٤٧) ناصر الدين، المصدر نفسه، ص١٠.

(٣٤٨) زعيتر، **يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥- ١٩٣٩**، ص ٤ و٩.

(٣٤٩) المصدر نفسه، ص ٣٤.

ونقلته إلى الصرفند(*)، وفيها جدَّد الحاكم، المستر فون، اعتقاله. وبعد الإفراج عنه تقرَّر اعتقاله مرَّة ثانية، فتوارى عن الأنظار ولجأ إلى دمشق[٣٥٠].

شارك في مؤتمر بلودان عام ١٩٣٧، ووافق المؤتمر على اقتراحه لدعوة الحكومات العربية إلى عقد مؤتمر خاص لبحث القضية الفلسطينية، وانتخب عضواً للجنة الدعاية. كما شارك في مؤتمر الشباب القوميين العرب المنبثق عن مؤتمر بلودان، وانتخب أميناً للسر وعضواً في اللجنة التحضيرية لعقد مؤتمر آخر لشباب العرب القوميين[٣٥١].

في عام ١٩٣٨، شارك في الإعداد للمؤتمر النسائي العربي في مصر دعماً للقضية الفلسطينية، واتصل بسيِّدات مصر والعراق والشام. وفي العام ذاته، كان عضواً في اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني الذي عقد في القاهرة بهدف مواجهة اللجنة البريطانية الجديدة بموقف عربي موَّحد يرفض تقسيم فلسطين[٣٥٢].

مع بداية الحرب العالمية الثانية اشتدَّت ملاحقة سلطات الانتداب البريطاني ـ الفرنسي للمناضلين العرب، فسافر من فلسطين إلى العراق بدعوة من وزير المعارف في العراق. وفيه عمل مفتشاً للمعارف، ثم أُستاذاً في دار المعلمين، ثم مسؤولاً عن التوجيه القومي في وزارة المعارف. بقي في العراق حتى نشوب ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١، فاشترك فيها. وعندما فشلت الثورة لجأ إلى بادية الشام، ومنها إلى الأناضول في تركيا حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية[٣٥٣].

في عام ١٩٤٥ عاد إلى سوريا. وفي العام نفسه مثَّلها كمستشار وفد جامعة الدول العربية وعضواً في لجنة فلسطين الدائمة[٣٥٤].

في عام ١٩٤٧، سافر إلى أمريكا اللاتينية على رأس وفد عربي[٣٥٥] للدعوة لنصرة القضية الفلسطينية[٣٥٦].

(*) تقع على الساحل اللبناني بين صيدا وصور.
(٣٥٠) البعيني، «كلمات المقاطع الأخيرة،» ص ١٠.
(٣٥١) زعيتر، المصدر نفسه، ص ٣٢٤- ٣٢٦.
(٣٥٢) خيرية قاسمية، عوني عبد الهادي- أوراق خاصة، سلسلة كتب فلسطينية؛ ٥٤ (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٤)، ص ٩٧- ٩٩.
(٣٥٣) البعيني، «كلمات المقاطع الأخيرة،» ص ١٠.
(٣٥٤) المصدر نفسه، ص ١٠.
(٣٥٥) منهم: نائب بيروت الأستاذ نصري المعلوف، وكان من أعضاء العصبة.
(٣٥٦) المصدر نفسه، ص ١٠، و ناصر الدين، صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث، ص ٩.

في عام ١٩٥٠، عاد إلى فلسطين بعد أن زال الانتداب البريطاني عنها، وشارك في عدد من المؤتمرات الوطنية والإسلامية، وتولّى أمانة سر الندوة الإسلامية في دوراتها الثلاث ١٩٥٩ ـ ١٩٦٢. ثم مثّل الأُردن في الدورة السادسة عشر للأمم المتحدة.

في عام ١٩٦٣ عيِّن سفيراً للأُردن في سوريا، ثم سفيراً للأُردن في طهران وكابول. وفي عام ١٩٦٦ عيِّن وزيراً للخارجية الأُردنية ومثَّلها في اجتماعات الجامعة العربية. وفي عام ١٩٦٧ عيِّن نائباً في مجلس الأعيان الأُردني ووزيراً للبلاط.

له عدّة مؤلفات[٣٥٧] ومنها كتاب **القضية الفلسطينية**.

ر - **عبد المجيد القصاب**: ولد في الكرخ في بغداد عام ١٩٠٧. والده عبد العزيز محمد القصّاب الذي تولّى عدة مناصب إدارية وسياسية مهمة في العراق حين كان العثمانيون فيه وحتى عام ١٩٤٨، والدته السيِّدة نورية إبنة الملا سليمان أفندي الجبوري الذي كان خطيباً للسلطان عبد الحميد في جامع آيا صوفيا[٣٥٨]. أنهى دراسته الابتدائية في مدرسة الكرخ عام ١٩٢٢[٣٥٩]، ودرس المرحلة الثانوية في ثانويَّتيْ بغداد والموصل وأنهاها عام ١٩٢٦، وفي العام ذاته انتقل إلى دمشق ودخل كلّية الطب في جامعتها، وتعلَّم اللغة الفرنسية إلى جانب دراسته للطب، ثم سافر إلى فرنسا عام ١٩٣٠ ودخل جامعة مونبلييه، وفيها أنهى اختصاصه في الطب وتخرَّج فيها عام ١٩٣٤ حائزاً على «شهادة ممارسة في مختبر الجراثيم بعد التخرُّج (بمثابة دبلوم) وشهادة دكتوراه في الطب؛ ونال على أُطروحته درجة الشرف والدخول بالمسابقات العالمية بين الجامعات حائزاً أعلى شهادة تقدِّمها الجامعة. عاد إلى العراق فور تخرُّجه وعيِّن طبيباً في المستشفى الملكي في بغداد، وأُستاذاً في مدارس الموظَّفين الصحِّيين والممرِّضات والقابلات.

بدأ بالنضال وهو في العقد الأوّل من عمره «أثناء ثورة العشرين»، حيث كان بعض أساتذته في المرحلة الابتدائية يلقنونه قصائد يلقيها في اجتماعات جامع الشيخ صندل بالكرخ. خلال دراسته للمرحلة الثانوية في الموصل، كان أحد قادة المظاهرات المدافعة عن لواء الموصل والمؤيِّدة لعروبته، وذلك لما طالب الأتراك باللواء المذكور.

---

(٣٥٧) البعيني، المصدر نفسه، ص ١٠.

(٣٥٨) عبد المجيد القصاب، **ملاحظات دستورية ولمحات دبلوماسية** (بيروت: دار الكتب، ١٩٨٠)، ص ٩- ١٠.

(٣٥٩) المصدر نفسه، ص ١١.

حين كان طالباً في كلّية الطب في دمشق، ساند ثورتَيْ أبو درّه ومحمد عبد الرحيم الفلسطينيَّين، بتزويد الثوار الفلسطينيين بالسلاح والمؤن وتضميد جراحهم.

في عام ١٩٣١ أسَّس جمعية طلاب العرب في مونبلييه[٣٦٠]. وفي ٢٧ نيسان/ أبريل ١٩٣٢، حازت الجمعية على ترخيص بالعمل من محافظ المدينة المذكورة، وهي أوّل جمعية تأسَّست في فرنسا وكانت غايتها جمع شمل الطلاب العرب ورعاية مصالحهم. ترأسها منذ تأسيسها إلى حين تخرُّجه في الجامعة. وفي تلك الفترة كان يراسل الأمير شكيب أرسلان في جنيف، والشاعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير) في لبنان، وباقر الشبيبي في بغداد، وكانوا هم يراسلونه أيضاً إلى مونبلييه، وكانت غاية المراسلات الإطلاع على الأوضاع العربية وتبادل الآراء بشأنها.

في ١٥ آذار/ مارس ١٩٣٥، شارك في تأسيس نادي المثنى بن حارثة الشيباني في بغداد، وشغل منصب سكرتير النادي منذ أوَّل تأسيسه، ثم أمين صندوقه. وانتدبه النادي لتمثيله في حفلات تأبين المحامي الدكتور عبد الرزاق الدندشي في دمشق بتاريخ ١٠ أيلول/ سبتمبر من العام ذاته. وفي ٢٧ أيلول/ سبتمبر، أصدرت الحكومة الفرنسية مرسوماً يمنعه دخول البلاد الفرنسية والبلاد المنتدبة بالانتداب الفرنسي، فطردته سلطات الانتداب من سوريا، وذلك بسبب إلقائه خطابات حماسية في دمشق وحمص وإسهامه في الاجتماعات والمظاهرات التي جرت فيهما أثناء التأبين، ثم أصدر المندوب السامي مرسوماً في ٥ حزيران/ يونيو ١٩٣٧ يبطل العمل بموجب المرسوم السابق الذكر، فأصبح بإمكانه دخول جميع البلدان التي كان قد منع من الدخول إليها.

هو عضو أوَّل لجنة تألَّفت في العراق لمساعدة فلسطين وإرسال المواد الغذائية إليها ومقاطعة البضائع الصهيونية، وكان ذلك في ٢٤/ ٦/ ١٩٣٦[٣٦١] شارك في كل الاجتماعات التي عقدت في بغداد لنجدة فلسطين، ووقَّع بالنيابة عن الأطباء العراقيين على الاحتجاجات الصادرة عن الاجتماعات التي عقدت في الجوامع من أجلها. وفي العام ذاته عيِّن وكيلاً لمدير مستشفى العزل للأمراض السارية.

في عام ١٩٣٧، خطب في الاحتفال الذي أقامه نادي المثنى في مركزه ببغداد تكريماً لرئيس مؤتمر بلودان من أجل فلسطين، ناجي السويدي، ونشرت جريدة **البلاد** البغدادية خطابه في مقالة افتتاحية بتاريخ ١٧ تشرين الأوَّل/ أكتوبر من العام

(٣٦٠) المصدر نفسه، ص ١١، ١٣٧- ١٣٨ و٢٧٩- ٢٨٠.

(٣٦١) المصدر نفسه، ص ١٣- ١٤، ٢٢، ٤٣، ٥٠، ٥٢، ٥٤- ٥٥، ٦٤، ١٣٨- ١٣٩ و٢٧٩- ٢٨٠.

المذكور بعنوان «الله في السماء وكتاب الله في الارض ـ سيحفظ التاريخ يوماً لفلسطين». وكان مضمون خطابه استنهاض الهمم لمساعدة فلسطين ومساندتها.

في ٩ آب/ أغسطس ١٩٣٨، عهدت جمعية الدفاع عن فلسطين في العراق إليه وإلى بعض العراقيين، مهمة تأليف لجان فرعية لجمع التبرعات من أصحاب المهن ومختلف الطبقات لمساعدة المنكوبين الفلسطينيين. وفي ١٠ أيلول/ سبتمبر نشرت جريدة **الأخبار** في بغداد مقالة له تحت عنوان: واجبنا القومي – مطامع الاستعمار في بلادنا، وكيف نكافحها. قال فيها: «وأية جامعة أقوى من جامعة القومية نعتز بها ونفتخر لكي نسود ونتحرر، فان أمتنا العربية أمة واحدة ووطننا العربي وطن واحد، وان حقنا في ممارسة حقوقنا حق مطلق لنا»... «والقومية العربية تجمع كل عربي في الأصل أو من ولد في بلاد العرب أو عاش فيها، أو من تكلم بلغة العرب وتخلّق بأخلاقهم، وشعر بشعورهم، وإذا كان البعض يعتقد في قضية الدم وهو لا يحتوي علمياً إلا على كرات وخضاب فلماذا لا نعتبر الفكر وهو الذي يكيّف الإنسان ويبدّل مجرى تفكيره. فقوميتنا إذاً تشمل من كان عربياً في تفكيره ونزعته وثقافته، وهي قومية تستهدف النهوض بالأمة العربية نهضة عصرية مبنية على أحدث الأساليب العلمية التقدمية مع مراعاة الأخلاق العربية الموروثة وخصائص الأمة العربية وميزاتها الكامنة فيها، وإنها قومية لا تضمر لإخوان العرب من سكان بلاد العرب غير ما تضمر لنفسها من خير وحب وإخلاص، وتحترم القوميات الأخرى احتراماً متبادلاً فهي قومية سلمية غير اعتدائية ولكنها لا تقبل الاعتداء والذل...». وفي العام ذاته عيِّن مساعداً لمدير المستشفى الملكي، ومساعد أستاذ في كلّية الطب، وأُستاذاً للصحة والجراثيم في كلّية الصيدلة.

في أوائل عام ١٩٣٩، أوفدته مديرية الصحّة العامة في وزارة الداخلية في بغداد إلى مصر، لدراسة مكافحة الأمراض المتوطّنة وأمراض البلاد الحارة على يد الدكتور خليل عبد الخالق، ونال الشكر والتقدير من المديرية المذكورة على التقارير التي رفعها إليها حول هذه الدراسة، التي لم يستطع إنهاءها بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية قبل انتهاء دورة اختصاصه وعودته إلى العراق. وفي ٣٠ كانون الأول/ ديسمبر من العام ذاته، عيّنته جمعية الهلال الأحمر العراقية سكرتيراً للوفد الذي ألّفته وقرّرت إرساله إلى فلسطين بناءً على طلب من الحكومة العراقية، لتوزيع الإعانات على المنكوبين بصورة مستعجلة ودراسة الحالة فيها.

في عام ١٩٤٠، انتخب مساعداً لعميد كلّية الطب، ومعاوناً لمدير معهد الأمراض المتوطّنة، ومديراً لمدرسة الموظّفين الصحّيين، ومديراً لمكافحة الملاريا في

المنطقة الوسطى، وعضواً في عدد من اللجان الإدارية والفنية في مديرية الصحَّة العامة ووزارة الداخلية.

في عام ١٩٤١، شارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني وكان مساعداً للسيد درويش المقدادي في تأليف كتائب الشباب. ولما فشلت الثورة واحتل الإنكليز العراق مرَّة ثانية، أُجبر على الاستقالة من وظائف الحكومة، ثم انتخب عضواً عن الأطباء في المجلس الصحِّي العالي ومجلس الإنضباط[٣٦٢]. وفي تموز/ يوليو من العام نفسه، كان أوَّل الأطباء المتبرِّعين للعمل مجاناً في أوَّل مستوصف أسَّسته جمعية الهلال الأحمر العراقية في بغداد ذلك الحين.

في عام ١٩٤٣، استدعِي إلى دورة ضبَّاط الاحتياط السابعة وتخرَّج فيها عام ١٩٤٤، حائزاً على الدرجة الأولى ونال كأس الفروسية فيها.

وفي عام ١٩٤٥، لبَّى نداء جمعية الهلال الأحمر العراقية للتطوع لنجدة دمشق عندما ضربها الفرنسيون بالقنابل. وقام بمهمته خير قيام في إسعاف ومواساة الجرحى والمنكوبين فيها وفي حماة وحمص، مما أدَّى بالجمعية المذكورة وبالمديرية العامة للصحة والإسعاف التابعة لوزارة الداخلية في سوريا، إلى إرسال الشكر والتقدير إليه، والثناء على الجهود التي بذلها.

في عام ١٩٤٧، انتخب نائباً عن بغداد في المنطقة الأُولى (الأعظمية والراشدية) بتأييد من حزب الاستقلال العراقي. وفي تشرين الأوَّل/ أكتوبر من العام ذاته، وكان قد أصبح نائباً، تطوَّع للسفر إلى مصر على رأس البعثة الطبية التي قرَّرت جمعية الهلال الأحمر العراقية إيفاده إليها لمكافحة الهيضة (الكوليرا) ومواساة منكوبيها.

في عام ١٩٤٨، اشترك في قيادة الكثير من مظاهرات الوثبة ضد معاهدة بورتسموث (العراقية ــ البريطانية)، منها: مظاهرات الجسر، وبيت حكاك والطب العدلي. وكان النائب الوحيد الذي وقف في مجلس النواب يدافع عن الطلاب ضد الحكومة العراقية، وذلك بعد أن قمعت هذه الحكومة المظاهرة التي قام بها طلاب كلِّية الحقوق في ٥/ ١/ ؟ دعماً لفلسطين وليعبرِّوا عن رأيهم في المعاهدة المذكورة. وفي ٣٠/ ٥/ ؟ قدَّم طلباً إلى وزارة الدفاع للتطوُّع مع الجيش العراقي المقاتل في فلسطين[٣٦٣].

(٣٦٢) المصدر نفسه، ص ١٢، ١٦- ١٨، ٤١، ٦٦- ٦٧، ٦٩، ١٣٨ و٢٨٠.

(٣٦٣) المصدر نفسه، ص ١١- ١٢، ٢١، ٢٣، ٢٦، ٤١-٤٢، ٧١، ٧٣- ٧٤، ١١٤- ١١٦، ١٣٩ و٢٨٠.

في عام ١٩٥٢، انتخب نائباً عن بغداد في المنطقة السابعة (الكرخ)، وفي أواخر العام ذاته عينً وزيراً للصحَّة في وزارة نور الدين محمود، وكان أوَّل طبيب يتسلم هذا المنصب بعد دخول العراق عصبة الأمم. عدَّل نظام وزارة الصحَّة، وأسَّس وحسَّن ووسَّع الكثير من الإدارات والأعمال التابعة لها، لتحسين العمل فيها وتفعيل الخدمات التي تقدِّمها، وتعميمها في جميع أنحاء العراق. أسَّس كلِّية طب الأسنان، ووافق على تأسيس نقابة الأطباء لأوَّل مرَّة في العراق. ووجَّه نداءات إلى أطباء وموظَّفي الوزارة وإلى كافة الفئات الشعبية، تذكِّر وتنبِّه الجميع بأن الفحوص والمعالجات والتحاليل والعمليات في جميع المستوصفات والعيادات الخارجية والردهات العامة في المستشفيات الرسمية، هي مجَّانية في جميع الأراضي العراقية، وذلك منعاً للتقاعس عن العمل وقطعاً لدابر الاستغلال. كان شعاره في العمل «أعلى ثواب للناس المخلصين وأقسى عقاب للمنحرفين والمتقاعسين».

في ١٣/ ١/ ١٩٥٣، انتخب عضو شرف لجمعية المحاربين القدماء في العراق، نظراً لخدماته الجليلة في ميادين العمل والسياسة. وفي ١٧/ ٩/ ؟ عينً وزيراً للمعارف - أي للتربية - في وزارة الدكتور محمد فاضل الجمالي الأولى، فبدَّل نظام وزارة المعارف الدكتاتوري بنظام ديمقراطي وزَّع فيه الأعمال بشكل لا مركزي على مدراء عامين[٣٦٤]. ساهم في تأسيس جامعة بغداد بوضعه أوَّل لائحة قانون لها، أقرَّتها نهائياً لجنة المعارف في المجلس النيابي بتاريخ ٨/ ٣/ ١٩٥٤[٣٦٥] وبحضوره هو أسَّس في الوزارة مديريَّات عامة للتعليم الابتدائي والثانوي والعالي، وعنيَ عناية خاصة بالتعليم المهني، وأمر بقبول جميع الطلاب في المدارس الأوَّلية والابتدائية على قاعدة قوله إن ثلاثة أبواب يجب أن لا تغلق بوجه أحد: أبواب المدارس، وبيوت الله، والمستشفيات. أعاد إلى العمل ومقاعد الدراسة المعلمين والمعلمات والطلاب الذين فصلوا لأسباب سياسية، فاتهمه بعض الوزراء السابقين بالعطف على الشيوعيين ووشوا به في البلاط لدى الأمير عبد الله. استحدث وطوَّر إدارات وأعمال ونشاطات كثيرة في الوزارة من أجل تنشيط وتحسين عملها وتسهيل شؤون الطلاب.

في ٨/ ٣/ ١٩٥٤، تولىَّ وزارة الصحَّة مرَّة ثانية في وزارة الدكتور الجمالي

(٣٦٤) المصدر نفسه، ص ١٢، ٢٨- ٣١، ٧٦، ٨٧، ٩٥، ١٤١- ١٤٢ و٢٨١.

(٣٦٥) لم تفتتح الجامعة في العام المشار إليه نظراً للظروف السياسية التي طرأت في ذلك الحين، والتي حالت دون انعقاد المجلس النيابي في جلسة عامة واحدة لإقرار اللائحة. وفي عام ١٩٥٦ أقرت اللائحة التي وضعها وأصبحت قانوناً وأعلن تأسيس الجامعة.

الثانية، فألحق كلّية الطب والصيدلة وطب الأسنان بجامعة بغداد المنوي تأسيسها، وألغى مؤسَّسة بيت الحكمة التي كانت هذه الكلّيات تابعة لها، وذلك تمهيداً لتحقيق فكرة الجامعة. أمر بسحب السيارات الحكومية من كبار موظّفي الوزارة وتخصيصها لأغراض الخدمة العامة. أسَّس نقابة الأطباء، وأكمل إصلاحاته السابقة وأحدث إصلاحات جديدة وكثيرة.

في عام ١٩٥٥، انتخب نائباً عن بغداد في المنطقة العاشرة (الكرَّادة الشرقية)، وزار الولايات المتحدة الأمريكية. وفي عام ١٩٥٦ نال وسام الرافدين من الدرجة الثانية.

في عام ١٩٥٧، دخل كلّية الحقوق لدراسة الثقافة الحقوقية على اعتبار أن هذا العلم ضروري للمشتغلين بالسياسة، وقدَّم ثلاثة أبحاث هامة عن: الاقتصاد شبه الموجَّه في العراق، والحصانة الدبلوماسية، ونواقص الدستور العراقي. أُوفد إلى تونس لحضور حفلات استقلالها الأولى حاملاً رسالة إلى الزعيم بورقيبة بخصوص مساعدات العراق للجزائر. وفي ٢٠/ ١١ تطوَّع للخدمة كجندي أو كطبيب مع الجيش العراقي للمساهمة في الدفاع عن فلسطين وشرف الأمة العربية وكيانها.

اعتقل بعد بضعة أيام من قيام ثورة ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨ بقيادة رئيس الوزراء العراقي عبد الكريم قاسم، بتهمة موافقته على حلف بغداد، وتجاوزه على رائد العروبة جمال عبد الناصر في كلمة ارتجالية ألقاها في مجلس النواب العراقي. وبعد ثلاثة أشهر من اعتقاله بدأ التحقيق معه وأُفرج عنه، لكن فرضت عليه الإقامة الجبرية في منزله لمدة سنة كاملة بانتظار انتهاء التحقيق ومحاكمته. وبعد انقضاء المدة المذكورة، لم يقدَّم لمحكمة المهداوي لعدم ثبوت التهمتين عليه أو استغلاله لوظيفة أو ما يستوجب محاكمته، ورفع الحجز عنه[٣٦٦].

في عام ١٩٦٠، أُوقف في مديرية الأمن العامة بتهمة التحريض على حكم عبد الكريم قاسم والاشتغال ضد الثورة[٣٦٧]. وبعد أن أُطلق سراحه، رجع إلى مزاولة مهنته في عيادته الخاصة كطبيب للأمراض الباطنية. وبسبب هذه الأوضاع الأخيرة،

---

(٣٦٦) المصدر نفسه، ص ١١- ١٢، ٢٣، ٢٦، ٣١- ٣٤، ٤١، ٩١، ٩٣- ٩٦، ١٢٥- ١٢٦، ١٢٨- ١٣٠، ١٣٢، ١٤٢ و٢٨١.

(٣٦٧) تبيَّن أن العقيد عبد السلام عارف الذي كان يشغل منصب نائب رئيس الوزراء ووزيراً للداخلية في تلك الأيام، كان وراء اعتقاله في عام ١٩٥٨ وتوقيفه في عام ١٩٦٠. وذلك لأسباب تتصل بخلافات قديمة على النيابة في المنطقة الثامنة من بغداد، بين العقيد عبد السلام ووالد الدكتور عبد المجيد، عبد العزيز القصاب، الذي كان يفوز بالانتخابات دائماً.

ترك دراسة الحقوق عام ١٩٦٢ بعد أن أكمل أوَّل صفَّين منها.

له عدَّة مؤلَّفات، طبع منها: **الدفاع السلبي** (قدَّمه هدية لجمعية الهلال الأحمر العراقية)، **رحلة إلى تونس عتبة السلام** (قدَّمه هدية إلى مدرسة أيتام بو رقيبة في تونس) وأُطروحته باللغة الفرنسية عن العصب السمياتي الرقبي الخلفي.

وله أيضاً مقالات كثيرة في صحف عربية وأجنبية يعود تاريخ بعضها إلى عام ١٩٢٥، ومراسلات مع بعض أعضاء مجلس اللوردات ومجلس العموم في بريطانيا، ورسالة إلى الشعب الأمريكي، وخطب سياسية. وفي جميعها يدافع عن الأمة العربية وكل القضايا والمسائل التي تهمها وخاصة القضية الفلسطينية.

عرف عنه حبُّه للأدب والشعر وللأدباء والشعراء والعلماء، وباتصاله بعدد كبير منهم في العراق وسوريا ولبنان ومصر والمغرب وتونس، وبإقامته ندوة أُسبوعية مساء كل يوم جمعة تكون عامرة بعدد منهم، وأنه خطيب مجيد يؤثِّر في سامعيه تأثيراً واضحاً. وهو من أشدِّ المتمسِّكين بالوحدة العربية والعاملين على تقريب وجهات النظر العربية وتوحيد الكلمة وجمع الشمل، والمدافعين عن حقوق ومصالح الفئات الشعبية وحرية الصحافة والعمل الحزبي الوطني والقومي. وهو عالج مجاناً وصرف أدوية على حسابه الخاص لكثير من الفقراء والمحتاجين، والعمال والفلاحين، وأفراد الجيش والشرطة، وطلاب المدارس[٣٦٨].

ش - مؤسِّسون آخرون لم أتمكَّن من الإحاطة إلا بشيء قليل عنهم

(١) **فهمي المحايري**: هو ثالث وآخر أمين سر عام للعصبة من عام ١٩٣٦ حتى الحرب العالمية الثانية[٣٦٩]، حيث حصل تغيير في الأوضاع التنظيمية للعصبة على أثر استقلال سوريا ولبنان[٣٧٠].

(٢) **أحمد الشرباتي**: فُصِلَ من العصبة عام ١٩٣٦ لقبوله بالمعاهدة السورية ـ الفرنسية[٣٧١]. شارك في مؤتمر بلودان عام ١٩٣٧ وفي مؤتمر الشباب القوميين

---

(٣٦٨) المصدر نفسه، ص ١١، ١٥-١٨، ٢١، ٢٨، ٣٤، ٤١-٤٢، ٤٩، ٧٧، ٨١، ١٠٢-١٠٤، ١١٣، ١٣١-١٣٢، ١٣٩ و٢٨١-٢٨٢.

(٣٦٩) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ٨/ ١٠/ ١٩٩٠؛ زعيتر، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩١٨- ١٩٣٩، من أوراق أكرم زعيتر، ص ٥٩٦، و بلاوني، «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣- ١٩٣٩،» ص ١٩٣.

(٣٧٠) مقابلة مع العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في ٢٤/ ٩/ ١٩٩٠، ومقابلة مع د. محمد علي الرز في ٨/ ١٠/ ١٩٩٠.

(٣٧١) بلاوني، المصدر نفسه، ص ١٩٥.

العرب المنبثق عنه[٣٧٢]. انتسب إلى الحزب الوطني وانتخب نائباً عام ١٩٤٧، وتولى وزارة الدفاع في سوريا عام ١٩٤٨[٣٧٣].

(٣) واصف كمال: من نابلس في فلسطين[٣٧٤]. شارك في التحضير للمهرجان الشعبي في نابلس الذي أُقيم في عام ١٩٣٥ بمناسبة الذكرى الثامنة عشرة لتصريح بلفور. وفي عام ١٩٣٦ كان عضو اللجنة التحضيرية لمهرجان تأبين إبراهيم هنانو[٣٧٥]. شارك في مؤتمر بلودان عام ١٩٣٧ وفي مؤتمر الشباب القوميين العرب المنبثق عنه. انتخبه مؤتمر الشباب المذكور عضواً في اللجنة التحضيرية لعقد مؤتمر آخر لشباب العرب القوميين[٣٧٦].

بعد أن بيَّنت ما أشارت إليه المراجع عن مؤسِّسي العصبة، وأوضحت الحياة الثقافية والسياسية والنضالية لعدد منهم، فإنني أرى بأنهم من المثقَّفين الذين تخرَّجوا في المعاهد العليا والجامعات العربية والأوروبية، مما يدل على تأثُّرهم بالأفكار والمفاهيم العربية والأجنبية التي أثارت الروح القومية، وسمح لهم أن يقفوا على حقيقة أن الشعوب والأمم لا تتنشق إلا الحرية ولا تقوم نهضتها إلا بوحدتها واستقلالها عن كل أجنبي، فخرجوا من معاهدهم حاملين طموحات وطنية كبيرة، ومستقبلين الحياة بروح نضالية ثورية للتحرُّر من الاستعمار والعبودية وتحقيق الأماني القومية العربية.

فكان منهم منْ حمل مشعل النهضة والحرية، وناضل من أجل التخلص من استبداد الأتراك معرِّضاً حياته لخطر الموت، ثم شارك في الأعمال الحربية ضدَّهم التي انتهت بانهزام الأتراك وتحقق استقلال المشرق العربي لفترة وجيزة من الزمن.

ومنهم منْ رفض فكرة المستعمرين الجدد، من الإنكليز والفرنسيين، المتمثِّلة في صيغة الانتداب، وعمل منذ الأيام الأولى لبدء تنفيذها على تحريض الجماهير ضدَّهم ومقاومتهم.

ومنهم منْ كان وفياً للشهداء العرب. ومنهم منْ اعتنق الفكرة العربية وناضل في سبيلها منذ أن أطل على الحياة السياسية في مطلع شبابه، في السنوات الأولى

---

(٣٧٢) زعيتر، يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥-١٩٣٩، ص ٣٢٥.

(٣٧٣) عفيف البزري، «سورية جزيرة الحرية الخضراء،» فلسطين الثورة، العدد ٣٢٦ (حزيران/يونيو ١٩٨٩)، ص ١ و٥-٦.

(٣٧٤) زعيتر، المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٣٧٥) المصدر نفسه، ص ٩ و٣٤.

(٣٧٦) المصدر نفسه، ص ٣٢٥-٣٢٦.

للانتداب. ومنهم منْ اعتقل وسجن ونفي واضطهد عدَّة مرَّات في سبيل الدفاع عن القضية العربية. ومنهم منْ كان أُستاذاً مرشداً، أو طبيباً مسعفاً، أو محامياً مخلصاً أو صحافياً ملهماً. وكلهم عملوا في سبيل التحرُّر والتقدم والتوعية وتقديم العون ورفع الظلم والاستغلال.

وهم ليسوا من منطقة أو بلد واحد. كما أن بعض أعمال مؤتمر العصبة حضره مناضلون من المغرب وساهموا في تأسيسها، منهم علال الفاسي(٣٧٧). وهذا يدل على تمسُّكهم بالعمل السياسي والنضالي المشترك بين البلدان العربية، وتعارضهم مع الاتجاهات الكيانية والإقليمية التي أرادات أن تجعل من الأُمة العربية مجموعة أمم لكل منها قوميتها.

وهم ليسوا من طائفة واحدة. وهذا يدل على تعارضهم مع الاتجاهات الطائفية التي أرادت أن تثير النعرات الدينية في الأُمة العربية، وتجعل منها فئات متناحرة لتفكك الروابط الاجتماعية والقومية بين أبنائها، وتضعف بالتالي مقاومة الاستعمار.

وتخرُّجهم في المعاهد العليا والجامعات العربية والأوروبية يدل على أن أوضاعهم الاجتماعية والثقافية كانت تسمح لهم كي ينصرفوا إلى تحقيق طموحات ومكاسب شخصية، بدلاً من الدخول في المعترك السياسي والتعرض للاضطهاد. إلا أنه عزَّ عليهم أن تخدع الأُمة العربية وتنحر أمانيها وتبقى مستعبدة ومتخلِّفة، ويهنأ المستعمرون، فرفضوا الذل والانحطاط، وثابروا على مناوأة الاستعمار من أجل تحقيق الحرية والوحدة العربية والاستقلال، فكان منهم الصحافي والكاتب الذي دعا للحرية ومقاومة الاستعمار، والمحامي والطبيب والأُستاذ المناضل في سبيل الوحدة والاستقلال، والخطيب الذي لا يترك فرصة إلا ويشهِّر بالانتداب.

والبعض منهم هم رفاق منذ أيام الأتراك، وعدد منهم هم رفاق منذ السنوات الأولى للانتداب، وجميعهم كان لهم مشاركة سياسية ونضالية في أكثر من مكان ومؤسَّسة قبل تأسيس العصبة.

لذلك يتضح أن العصبة قد تأسَّست على أيدي مثقَّفين مجاهدين قوميين عرب من عدة أقطار وعدة طوائف، ومن الذين اكتسبوا خبرة في العمل السياسي والنضالي. وإذا لم أتمكَّن من ترجمة حياة جميع مؤسِّسيها، فإن الثقة التي أعطاها شباب العرب للعصبة «كهيئة سياسية منظمة يحق لها وحدها أن تبحث وتناقش في مسائل

---

(٣٧٧) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١/ ١٠/ ١٩٩٠.

البلاد ومقرراتها»[٣٧٨]، تجعلني أقول إن جميعهم كانوا من الأكفَّاء والمجاهدين الوطنيين المعروفين بمقدرتهم وإخلاصهم وتفانيهم في سبيل القضية العربية.

ثانياً: أهداف العصبة ووسائل عملها

حدَّد المؤتمر التأسيسي للعصبة الأهداف التي من أجل تحقيقها تأسَّست العصبة، وهي أهداف سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، وأشار إلى أن الأهداف السياسية التي أقرَّها هي أهداف عليا للعصبة، كما حدَّد الوسائل التي أقرَّ العمل من أجل تحقيق الأهداف العليا لها، وبحث السياسة السورية بشكل خاص بحثاً مطولاً وأقرَّ توجُّهات سياسية خاصة بعمل العصبة في سوريا.

وسأُوضِّح أهدافها العليا أولاً، وبعدها وسائلها لتحقيق هذه الأهداف، ثم توجُّهاتها الخاصة بسوريا، وبعد ذلك الأهداف الأُخرى لها بالتتابع كما ذكرتها.

١ - الأهداف العليا

جاء في بيان المؤتمر التأسيسي للعصبة أنها رسمت «لنفسها هدفين هما من حيث الطبع متمم أحدهما الآخر وتحقيق كل واحد شرط لتحقيق آخر». وهذان الهدفان هما:

أ- سيادة العرب واستقلالهم المطلقان.

ب- الوحدة العربية الشاملة[٣٧٩].

ثم أوضحت ما تعنيه بالسيادة والاستقلال، وبأن عوامل الوحدة العربية متوفِّرة.

فالبنسبة للهدف الأول، جاء في البيان: «فأما السيادة والاستقلال فحق طبيعي هو للأمم كحق الحياة للأفراد، واغتصابه من أمة هو بمثابة قتل الفرد والقاتل للفرد كالغاصب لسيادة الأمم كلاهما مجرم».

«ونعني بالسيادة ممارستها كاملة. وبالاستقلال تمامه وكماله لا نقبل في ذلك ليناً ولا هوادة. وكل تنازل عن جزء منه بعقد أو عهد منبوذ مردود غير مشروع ولا واجب الرعاية فكما أن الفرد لا يملك حق التنازل عن حياته وحريته أبداً وكل عقد

---

(٣٧٨) الشعب، ٢٥/٨/١٩٣٣، ص ٢.

(٣٧٩) بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي المنعقد في قرنايل في ٢٤ أغسطس ١٩٣٣ (دمشق: المطبعة العصرية، ١٩٣٣)، ص ٨.

يعقده في هذا الشأن باطل، كذلك الأمم لا تملك حق التنازل عن سيادتها واستقلالها فعقودها ولو أجمعت الامة عليها باطلة لاغية»[٣٨٠].

أما بالنسبة للوحدة العربية، فلقد رأت في وحدة التاريخ والتقاليد والعادات واللغة والغايات والوضع الجغرافي للبلاد العربية توفُّر كل عوامل الوحدة لها. لذلك فالأُمة العربية هي أُمة واحدة، وعليها أن تنهض لتوحِّد بلادها مثل بقية الأمم. ورأت العصبة أيضاً أن الوحدة العربية مهمة وضرورية للعرب أجمعين، وأوضحت أهمِّيتها بالقضاء على الاستعمار وكل المتألبين على العرب، وأوضحت ضرورتها من أجل حصول توازن بين العرب وأعدائهم من جهة أُولى، والاحتفاظ بالسيادة من جهة ثانية، وتحقيق ازدهار اقتصادي ونهضة اجتماعية من جهة ثالثة. لذلك اعتبرت أن «الوحدة العربية جزء غير منفصل عن هدفها في السيادة والاستقلال»[٣٨١].

أما حدود الوطن العربي، فقد حدَّدتها العصبة في بيان مركزي أصدرته في ٢ نيسان/أبريل ١٩٣٦، وهي: سلسلة جبال طوروس والبحر المتوسط شمالاً، والمحيط الهندي وجبال الحبشة والسودان والصحراء الكبرى جنوباً، والمحيط الأطلسي وشواطئ البحر المتوسط غرباً، وجبال إيران وخليج البصرة شرقاً[٣٨٢].

٢- وسائل عملها

على أثر دراسة مؤتمر العصبة للأوضاع السياسية العربية وطبيعة الاستعمار ووسائل وأساليب المستعمرين، عيَّن وسائل العصبة لتحقيق أهدافها العليا، فأقرَّ طريق الكفاح وأكَّد أن واجب العصبة في الجهاد لن ينتهي «ما دام أصغر جزء من أجزاء البلاد العربية خارجاً عن هذه الوحدة»[٣٨٣]، والعمل من أجل القيام بنهضة عامة يشترك فيها جميع العرب لوقف التدهور ومنع دوام الانحلال القومي، وتنمية قوى الأُمة وتنظيمها وتوجيهها إلى الهدف القومي الأسمى.

وبما أن تحقيق هذه الأهداف يتطلب «الوقت الطويل والجهود المستمرة»، وبما أن الفرد زائل وخاضع «لشتى المؤثرات ولا يجوز أن تعلق آمال أمة وتناط ثمرة مجهودها وتضحياتها بزائل ومتحول»، رأى المؤتمر أن النهضة لن تقوم على أساس

---

(٣٨٠) المصدر نفسه، ص ٨.

(٣٨١) المصدر نفسه، ص ٨- ٩.

(٣٨٢) محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥، ص ١٣٩.

(٣٨٣) بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي المنعقد في قرنايل في ٢٤ أغسطس ١٩٣٣، ص ٨-٩.

فردي أو زعامة محلّية شأن الحركات السابقة، إنما على أساس شعبي لأن الشعب باقٍ خالد يستطيع إتمام عمل يقوم بأعبائه. ولذلك أقرَّ «أن تؤسس الحركة على أساس شعبي وتُنظم تنظيماً محكماً يضمن لها البقاء والاستمرار والاطراد والنشاط وحسن القيادة»[٣٨٤].

وبما أن المستعمرين يوحِّدون جهودهم في مقاتلة الحركة العربية، رأى المؤتمر أن الدفاع عن القضية العربية يتطلب تضامن العرب، فأقرَّ «توحيد حركة المقاومة في الأقطار العربية. . . والقضاء على النعرات الاقليمية بمعناها القاصر ووصل ما انقطع من الروابط بين الصفوف المجاهدة في كل قطر».

كما رأى أن تعدُّد المستعمرين للبلدان العربية وتعدُّد طرائقهم الاستعمارية جعل لكل قطر ظرفاً خاصاً «تجب معالجته بوسائل خاصة. . . تراعى فيها الظروف القطرية ضمن نطاق ضوابط محدودة تمنع شذوذ العمل السياسي عن الأهداف العليا. . . فالعمل القومي إذاً يستهدف تشكيل جهات جهاد مختلفة متصلة العمل موحدة الجهد متساعدة متساندة تابعة لقيادة واحدة تؤلف فيما بينها. . .».

وبما أن القضية العربية قضية واحدة، فحق لكل عربي وواجب عليه أن يدافع عنها في كل قطر. وبما أن الرأي العام العالمي له تأثير في توجيه سياسة الدول، أقرَّ المؤتمر العمل من أجل إرسال القضية العربية في العالم الدولي كإحدى قضاياه الكبرى، وفضح الأكاذيب التي يطلقها المستعمرون عن العرب وقضيتهم.

وحيث إن حقيقة الانتداب أو الإرشاد تكشَّفت معاني الاستعمار فيها، أقرَّ المؤتمر عدم الاعتراف بالانتداب، والإرشاد، والحماية، والإلحاق، وأي شكل من أشكال السيطرة والتحكم، وأي عقد او عهد يؤيدانها، والعمل على «الخلاص منها بكل وسيلة حتى يكتب للسلطان القومي الظفر».

وبما أن المستعمر لا يرفع إلى سدَّة الحكم «إلا من خضع لسلطانه وكان بوقاً له. . .» فإن العصبة «لا تعترف بكل حكومة او مؤسسة تقوم تحت ظل الاستعمار ونفوذه. . .»، ولا بما يصدر عن هذه الحكومات الاستعمارية من عهد أو قانون أو نظام لا يكون للبلاد فيه صالح.

وأقرَّ المؤتمر مبدأ اللاتعاون مع المستعمرين والحكومات التي يقيمونها، وأوضح أن هذا المبدأ هو وسيلة لتحقيق الأهداف القومية وليس غرضاً مقصوداً بذاته. لذلك

---

(٣٨٤) المصدر نفسه، ص ١٠.

فإن العمل به يختلف بأشكال ودرجات بين قطر وآخر تبعاً للظروف الخاصة بكل قطر. ولحظ أن الظروف الخاصة في كل قطر تستدعي وضع برامج سياسية واقتصادية واجتماعية خاصة به، مستلهمة من ظروفه واستعداده[٣٨٥].

كما أوضح أن العصبة ستتعاون مع الهيئات العربية المخلصة العاملة في مختلف الأقطار لتحقيق كل أو جزء من أهدافها، مقرّاً «مبدأ التعاون مع الهيئات المذكورة دون الإندماج بها» من أجل حفظ كيان العصبة وشخصيتها المعنوية مستقلة لضرورة قومية.

وجاء في خاتمة البيان أن عمل العصبة سيقوم على أساس تنظيم قوى الأُمة وتثميرها أفراداً وجماعات، وأن للعصبة رجالاً في الأقطار العربية مرتبطين بها ويعملون معها. واختطت «طرائق للعمل والتنفيذ رأت من المصلحة ان لا تعلم ضماناً للنجاح . . .».

كما بحث المؤتمر في القضية الصهيونية ووضعها على أوّل درجات اهتمامه، ورأى بأنها سلاح بيد المستعمرين أرادوا محاربة العرب بها، وداء ينخر في عظام القضية العربية يشكل خطراً لا يقتصر على الجزء الجنوبي من سوريا فحسب، إنَّما سيستفحل ويعم البلاد العربية.

ورأى المؤتمر أيضاً أن الصهيونية هي فكرة الاستعمار، تهدف إلى «إنشاء الوطن القومي لشذاذ الآفاق الذين تطاردهم الأمم المستقلّة نظراً لخطرهم على عنصرياتها وقومياتها وثرواتها ومبادئها الاجتماعية . . .»، وأن هذه «الفكرة هي أدهى مصيبة أورثها الانتداب المفروض للعرب وهي قائمة على أساس إجلاء العرب عن بلادهم وإحلال المتشردين محلهم . . .». لذلك أقرّ المؤتمر «محاربة الصهيونية وإغلاق البلدان العربية في وجههم ووجه صناعاتهم ومتاجرهم ورؤوس أموالهم وتحريم بيع الارض لهم والاعتبار من تقدم على ذلك من العرب خائناً أثيماً وعدواً للعرب وقضيتهم».

وأوضح المؤتمر أن «لا فرق في الحقوق والوجائب بين مواطن ومواطن أياً كان مذهبه أو منبته أو لغته». ولم يعترف بوجود «الأقليات، المذهبية أو العنصرية، أو اللغوية وليس لسكان البلدان العربية غير جنسية واحدة هي الجنسية العربية ولغة رسمية واحدة هي اللغة العربية». واعتبر الإخلال في ذلك جريمة وطنية يجب مقاومتها[٣٨٦].

---

(٣٨٥) المصدر نفسه، ص ١٠- ١٣.

(٣٨٦) المصدر نفسه، ص ١٢- ١٤ و٢١- ٢٢.

يتّضح مما تقدّم أن للعصبة هدفين سياسيين أساسيين سعت لتحقيقهما، هما: استقلال العرب التام والوحدة العربية الشاملة. ورأت أن تحقيق أي هدف شرط لتحقيق الآخر. فإذا حقّق أي بلد عربي استقلاله يجب أن يساعد في تحقيق استقلال بلدان عربية أخرى. ووحدة البلدان العربية دون استقلالها الناجز، أو إذا لم تؤدّ إليه، لا قيمة لها لأن الأمة العربية ستبقى في ظل فقدان سيادتها وحرّيتها خاضعة لهيمنة المستعمرين، وتدخّلهم في شؤونها. كما أنه إذا استقلت البلدان العربية ولم تتّحد، فإن ذلك لن يؤدي إلى استقلال تام لأي بلد منها، لأن أي قطر لن يستطيع بمفرده تحقيق تقدّم مستقل عن هيمنة الدول الاستعمارية.

فبعض الأقطار يوجد فيها كادرات علمية ومهنية، لكن لا تتوفّر فيها مقوّمات اقتصادية مهمة لاستخدامها وتثميرها. وأقطار أخرى غنية بالمقوّمات الاقتصادية، لكن فقيرة بالكادرات القادرة على تثمير ثرواتها. وفي الحالتين، فإن أي بلد لن يستطيع بمفرده تحقيق نهضته وتقدّمه بمعزل عن الاستعانة بالدولة المتقدّمة، وهي الدول الاستعمارية صاحبة رؤوس الأموال الضخمة، والصناعات المتطوّرة، والتجارة الواسعة، والمهيمنة على الشؤون السياسية والاقتصادية في العالم. ولهذا ستقع الأقطار تحت نفوذها وتصبح تابعة لها، وبالتالي ستفقد حرّيتها واستقلالها المطلقين.

أما إذا اتحدت البلدان العربية في ظل استقلالها التام، تصبح قادرة على تحقيق تقدّمها دون أن تقع في تبعية للدول المتقدّمة، لأن البلدان العربية مجتمعة غنية بالثروات والكادرات العلمية والمهنية واليد العاملة، التي جميعها توفّر مقوّمات الازدهار والتقدّم والإمكانيات المطلوبة لمواكبة العصر بمعزل عن الاستعانة بالدول المتقدّمة، إلا بما هو ضروري وعلى قاعدة السير في خطى التقدّم إلى أن تحقّق السبق.

ولعلّ من أجل هذا المضمار الخيّر، إضافة إلى الناحية التاريخية والسياسية والأمنية في حق البلدان العربية في وحدتها القومية وضرورتها على أكثر من صعيد، ربطت العصبة بين استقلال الأقطار ووحدتها، واعتبرت أنه بدون الوحدة العربية يستحيل على أي قطر الاحتفاظ باستقلاله المطلق أو تحقيق ازدهار وتطوّر بمواكبة العصر، وبأنه لو توحّدت الأقطار العربية دون استقلالها التام فإن الأمة العربية ستبقى غير سيّدة على أرضها وحرّيتها مكبّلة.

ويظهر من الوسائل التي أقرّتها لتحقيق أهدافها العليا أنها رفضت مهادنة المستعمرين واختطت طريق مقاومتهم، مدركة أن الحركات التي تقوم على أساس زعامة أو فرد غير فاعلة، وأن مقاومة المستعمرين ليست سهلة وتحتاج إلى إعداد، وكي تكون مؤثّرة يجب أن تنظّم وتشترك أوسع الفئات الشعبية فيها.

ولاحظت تشتُّت حركة التحرُّر العربية، فأقرَّت توحيد عناصرها من أجل تفعيل المواجهة القومية للمستعمرين. ولاحظت أيضاً الظروف الخاصة بكل قطر نظراً إلى الاختلاف في طرائق عمل المستعمرين والتي تستوجب معالجتها بوسائل خاصة، شرط أن لا يخرج العمل بها عن الأسس التي من شأنها أن تؤدّي إلى تحقيق الأهداف العليا. فأكّدت على وحدة العمل القومي في جميع الأقطار تحت إشراف قيادة مركزية تنظِّم وتوجِّه عمل مختلف الجهات المقاومة للاستعمار.

ولهذا يتبينَّ أن التنظيم الذي أقرَّت العصبة إنشاءه هو تنظيم جماهيري مركزي، منظَّم تنظيماً جيداً، له في جميع البلدان العربية فروع وحلقات متَّصلة به لا تخرج وسائل عملها في أي بلد عن الأسس التي تقرُّها القيادة المركزية، قادر على مواجهة المستعمرين بفاعلية دائمة لتحقيق أهدافها العليا.

والقضية العربية، بالنسبة للعصبة، ليست قضية سياسية وحسب، إنما هي قضية إنسانية أيضاً لأن حق الأمة العربية في السيادة والاستقلال اغتصب على يد المستعمرين، وحرمت بالتالي من حرِّيتها مثل الفرد الذي قتل وحرم من حقِّه في الحياة. وهي ليست قضية قطرية أو إقليمية، إنما هي قضية الأمة العربية التي خدعت ودفنت أمانيها على يد المستعمرين. ولذلك أكَّدت أن من حق وواجب كل عربي الدفاع عن القضية العربية، والعمل لإثارتها على المستوى الدولي لفضح موقف المستعمرين، وكسب عطف الشعوب المناوئة للاستعمار وتضامنها مع الأمة العربية من أجل تعزيز الموقف العربي في مواجهة المستعمرين.

ورفضت الانتداب وكل ما نتج عنه، واعتبرت الحكومات والمجالس النيابية التي نشأت في ظلِّه أداة لسلطات الانتداب تنفِّذ قراراتها، وشنَّت هجوماً على المتعاونين مع السلطات المذكورة والمؤسَّسات التي ينشئونها معتبرة أن ذلك يعطي صفة شرعية للاستعمار على يد أبناء البلاد العربية، وأقرَّت العمل بكل وسيلة للتخلص من الاستعمار وإسقاط أي عهد أو عقد تعقده الحكومات لا يؤدِّي إلى الاستقلال والسيادة التامين، أو يعطي للمستعمرين أي امتياز في البلدان العربية لا يكون فيه صالح لها.

والعمل بمبدأ اللاتعاون له أشكال ودرجات تختلف بين قطر وآخر. أي أن اللاتعاون مع المستعمرين والحكومات في البلدان العربية يُعمل به بشكل تام في الأقطار التي تهيْمن عليها سلطات الاستعمار. وفي الأقطار التي أوضاعها السياسية أفضل من غيرها، أو لديها استقلالية ما، يُعمل بهذا المبدأ فيها بنسبة أقل تشدُّداً من أقطار أُخرى. ويظهر أن العصبة كانت تعمل وفق هذا المبدأ الأخير في العراق، لأن

بيان مؤتمرها التأسيسي أوضح أن وضع العراق السياسي يختلف عن غيره من الأقطار وبأنه يسير نحو الاستقلال[٣٨٧]. كما أن أعضاءها في العراق تقدّموا إلى الحكومة بطلب لتنظيم شؤونهم بشكل رسمي. فقد ذكرت جريدة **الجامعة العربية** «حاول أعضاء العصبة في العراق تنظيم شؤونهم فطلبوا من وزارة الداخلية أن تسمح لهم بتأسيس حزب سياسي في بغداد»[٣٨٨].

ويستنتج من التزامها بالتعاون مع الهيئات العربية المخلصة دون الاندماج بها، أنها أرادت التعاون مع القوى والفاعليات التي يتّفق نهجها مع نهج العصبة دون أن تدخل في جبهات أو تحالفات معها، كي تحافظ على موقف سياسي مستقل لها.

أما بالنسبة للحركة الصهيونية، فمن الواضح أن العصبة قد أقرّت محاربتها عسكرياً واقتصادياً واجتماعياً. وإقرارها بأنه لا فرق في الحقوق والواجبات بين مواطن وآخر أياً كان مذهبه أو منبته أو لغته، يدل على أنها ميَّزت بين الحركة الصهيونية والشعب اليهودي في البلدان العربية، واعتبرت أن لجميع الأقلّيات حقوقاً وواجبات مثل الأكثرية، أي أنها لم تكن تهدف إلى محاربة اليهود أو التمييز بين المواطنين العرب.

٣- التوجُّهات السياسية الخاصة بسوريا

قبل أن يقرّر المؤتمر هذه التوجُّهات، أوضح الأسباب التي دفعت به إلى أن يعير اهتماماً خاصاً للأوضاع السياسية في سوريا. وجاء في البيان: «بالنظر الى ما للقضية السورية من الأهمية الخاصة وما لها من ارتباط وثيق في نجاح الفكرة العربية وتحقيق الوحدة والسيادة والاستقلال القومي... وبالنظر الى المبدأ العام القائل باللاتعاون مع الأجنبي... وبالنظر الى أن القضية السورية معرّضة لأحداث خطيرة سريعة، فقد بحث مؤتمر عصبة العمل القومي التأسيسي السياسة السورية بحثاً مطولاً نظر خلاله في تطورات القضية السورية من وجهتي النظر، السورية والفرنسية، في الأجزاء المبتورة من الكيان السوري... وأمعن النظر في أهداف الاستعمار الفرنسي التي يسعى لبلوغها وتحقيق أغراضها في هذا الجزء من البلاد العربية من نواحيها العربية والإسلامية والشرقية، وناحيتها الأدبية والاقتصادية والعسكرية... فقام لديه الدليل... على أن الفرنسيين عازمون على المضي في سياسة التجزئة وتطبيق سياسة الانتداب الاستعماري حتى النهاية. وترجح لديه من الوجهة الفرنسية، أن المعاهدة

---

(٣٨٧) المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٣٨٨) **الجامعة العربية**، ٢٥/٩/١٩٣٣، ص ٥.

التي يلوحون بها لن تعقد قطعاً . . . وانهم إنما يريدونها، إن أمكن عقدها، أداة لتنفيذ سياسة انتدابية بحتة . . . وإبدال صيغة الانتداب التي لا يستطيعون الدفاع عن مشروعيتها بصيغة عقدية تضعف حجة الأمة في إنكارها . . .».

«ثم ظهر للمؤتمر، من الوجهة الوطنية، أن ذريعة المعاهدة أخرجت القضية الوطنية عن أهدافها وزجت بالأمة في مهمة (سياسة التفاهم) السحيقة . . .»[٣٨٩].

«لقد كان من نتيجة هذا الاطلاق الخطر في (سياسة التفاهم) أن شلت حركة المقاومة وأن سادت الشعور الوطني غشاوة من الحكمة الوطنية الزائفة . . . وإن تجزأت الأهداف الوطنية . . . والتي سالت من أجلها الدماء أنهاراً وخربت البلاد . . . وأخذوا يتحدثون (بسياسة المراحل) التي عمل الفرنسيون لها . . . فكان لهم ما يريدون ولو ارادها الجانب الوطني لنالها كلها قبل ان يضحي . . . على مذابح الوطنية زهرة شبابه . . . وخرج الحديث عن (سياسة المراحل) من الغمغمة الى الصراحة، ووجد من ينادي بها جهراً ويعمل لها بكل وسيلة. يقيم على صلاحها برهان العراق وهو يعلم أن القياس على العراق قياس مع الفارق نظراً لاختلاف وجهتي نظر المستعمرين في كلا القطرين . . . ونظراً لاختلاف وضع العراق الجغرافي والاقتصادي والعسكري والسياسي عن نظيره في سوريا . . . ونظراً لمدلول أحداث الانكليز في العراق عن مدلول احداث الفرنسيس في سوريا . . . وتصير (سياسة المراحل) التي تمشت بالعراق بفضل ظروف واقعية وشخصية نحو استقلاله، وسيلة لغل عنق سوريا وتكبيلها بقيـود هيهات أن تنجو منها . . .».

«ولقد رأى المؤتمر كيف أن سياسة التفاهم كادت تنقلب شراً مستطيراً وتتدرج نحو (سياسة الأمر الواقع) . . . وبعبارة أخرى كاد ينتهي الأمر بحركة المقاومة الوطنية الى انتفاء علة وجودها الذي هو مقاومة مشيئة المستعمر . . .».

إزاء هذه الحالة وإنقاذاً للحركة الوطنية من غمرة الموت . . . وضماناً لحقوق البلاد في وحدتها وسيادتها واستقلالها، . . . رأى المؤتمر أن من الواجب وضع أسس سياسية تليق بالكرامة الوطنية وتتناسب مع عظمة التاريخ وشرف الغاية ونبل الضحايا»[٣٩٠].

وبعد أن بحث المؤتمر السياسة السورية وأبدى وجهة نظره فيها وأوضح أسباب

---

(٣٨٩) بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي المنعقد في قرنابل في ٢٤ أغسطس ١٩٣٣، ص ٢٣- ٢٤.

(٣٩٠) المصدر نفسه، ص ٢٤- ٢٥.

اهتمامه في البلاد السورية، حدَّد الخطوط الكبرى لسياسة العصبة في الجزء السوري، وهي:

أوّلاً: «ترسم العصبة لنفسها خطة سياسة دفاع اجتماعي واقتصادي وسياسي ويجب أن تعين هذه السياسة سلوك رجال العصبة الاجتماعي والاقتصادي والسياسي حيال المستعمرين».

ثانياً: لا تأتلف هذه السياسة مع الزلفى والقربى من المستعمرين الذين يجب أن يشعروا في كل ظاهرة اجتماعية أن الاستعمار يحفر بينهم وبين العرب هوة سحيقة وأن العرب شاعرون بإهانتهم حريصون على كرامتهم: وأن المستعمرين ورجال الحكومات التي يقيمونها في ذلك سواسية».

ثالثاً: «لا يجوز لمن يدين بهذه السياسة أن يتقلد وظيفة حكومية».

رابعاً: «لما كان المجلس الذي أسموه «نيابياً» انتخب أعضاؤه بقوة الجيش وبحكم التزييف والتزوير وهو لا يمثل الأمة وهو رغم ذلك آلة من أخطر الآلات بيد المستعمرين وجب العمل على حله والاحتكام بمصير الأمة اليها. ووجب أن يعلم بأن ما يصدر عنه لا يقيد الأمة بشيء».

خامساً: «لما كانت الحكومة وليدة المجلس وهي مثله لا تتمتع بثقة الأمة وإنما هي مظهر من مظاهر الاستعمار وأداة لتنفيذ أغراضه وستار يمسحون بها كل عيب وينزلون باسمها كل بلاء في البلاد، لم يكن من الجائز الاشتراك بها ويجب ان يعلم انها أشد من الاستعمار خطراً ونكاية وان ما يصدر عنها لا يقيد الأمة بشيء».

سادساً: «يجب ان يُعنى بحفظ الشعور الوطني حياً يقظاً لا يعتريه التبلد ولا تعمل فيه المخدرات وان تفند مضار الاستعمار ومراميه لسائر طبقات الأمة وتشرح الأهداف الوطنية وغاياتها ليتكون من ذلك رأي عام وطني يقظ يحسن الحكم على الأمور وبيده فصل الخطاب».

سابعاً: «لما كانت قوة البلاد الاقتصادية بلغت درجة العدم وكان من أولى الوجائب حفظ ما بقي من الثروة العامة وإبقاؤها في البلاد، وجب على من يدين بسياسة العصبة أن يستغني عن الحاجات الافرنجية وأن يستهلك المصنوعات العربية على وجه الحصر وأن يقصر التعامل الاقتصادي التجاري والصناعي والمالي على المؤسسات العربية دون غيرها».

وجاء في البيان أن المؤتمر ترك لرجال العصبة في سوريا تعيين مدارج هذه

السياسة على قاعدة المبادئ العامة التي أقرَّها[٣٩١].

يستشف مما تقدَّم أن العصبة كانت تلحظ أهمية سوريا في تحقيق الأماني القومية العربية بكل أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، بينما كانت الأوضاع السياسية فيها، من وجهة نظر العصبة، لا تدل على أنها ستؤدّي إلى استقلالها والمساهمة في تحقيق الأماني المذكورة. ففيما رأت في سياسة المراحل عملاً مفيداً في العراق، تعارضت مع هذه السياسة التي انتهجتها الكتلة الوطنية في سوريا، كما كانت قلقة من نتائجها، معتبرة أنها أدَّت إلى الخضوع لما يريده المستعمر وإضعاف دور المقاومة الوطنية له، في وقت كان فيه المستعمر مستمرّاً في سياسة تجزيء سوريا وإضعاف دورها القومي، وغير مستعد لإبرام أي معاهدة تنص على اعترافه بوحدتها وحقِّها بالاستقلال والسيادة مثل العراق.

وشدَّدت على عدم التعاون مع سلطات الانتداب والمؤسَّسات التي ينشئونها في سوريا، نظراً لممارسة تلك السلطات سياسة استعمارية بحتة فيها، ولأن المؤسَّسات الرسمية خاضعة لها وتنفِّذ سياسات تتعارض مع الأهداف الوطنية والقومية.

وعملاً بمبدأ اللاتعاون، فصلت العصبة أحد الأطباء من عضويتها لقبوله وظيفة في دائرة صحَّة دمشق في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٣٤[٣٩٢].

إن ربط العصبة القضية السورية بالقضية العربية بعامة وبأهميتها في تحقيق الوحدة العربية، يدل على أنها كانت تعارض الاتجاهات التي تعتبر البلاد السورية منفصلة قومياً عن محيطها العربي، وعلى تعارض مع جميع الاتجاهات التي هدفت إلى إبعاد سوريا عن العمل الوطني من أجل الوحدة العربية. وربما من أجل ذلك أقرَّت توجُّهات خاصة للعمل فيها كي لا يضعف دورها في تحقيق الأماني القومية العربية.

٤ - الأهداف الاقتصادية

أعطت العصبة أهمِّية للمسألة الاقتصادية في البلدان العربية، وربطت أهمِّيتها بالقدرة على الاحتفاظ بالسيادة والاستقلال وتحقيق التقدُّم والتطوُّر الثقافي والاجتماعي للمجتمع العربي. وبعد أن درس مؤتمرها الاتجاه العالمي في ميدان الاقتصاد، لاحظ أن معظم أُمم العالم تتَّجه إلى تطبيق سياسة اقتصادية قومية، أي إلى

---

(٣٩١) المصدر نفسه، ص ٢٦- ٢٧.

(٣٩٢) حنا، الحركة العمالية في سورية ولبنان، ١٩٠٠- ١٩٤٥، ص ٢٣٠، و بلاوني، «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣- ١٩٣٩،» ص ١٩٤.

الاعتماد على منتوجاتها وإقفال أسواقها أمام المنافسة الأجنبية من أجل تطوير اقتصادها.

ورأى أن البلدان العربية تتوفَّر فيها المقوِّمات المطلوبة أكثر من عدد كثير من دول العالم من أجل تطبيق سياسة اقتصادية قومية، فأقرَّ الأخذ بمثل هذه التوجُّهات الاقتصادية معتبراً أنها تعود بالازدهار والنمو الاقتصادي للبلاد العربية، شرط أن يتم مراعاة الظروف الخاصة بها لأنها ما زالت في دور تكوُّنها الاقتصادي.

كما لاحظ المؤتمر الفوارق الاقتصادية بين البلدان العربية وعدم إمكانية تطبيق برنامج اقتصادي واحد على جميعها، فأقرَّ اعتماد برامج اقتصادية خاصة بكل قطر تأخذ فيها بعين الاعتبار أوضاعه الاقتصادية الخاصة، شرط أن لا تخرج هذه البرامج عن الأهداف الاقتصادية القومية العامة التي أقرَّها المؤتمر وحدَّدها في البيان التأسيسي، والتي يمكنني إدراجها في هذه البنود:

أ – «توحيد الجهود الاقتصادية في مختلف الأقطار العربية وضم رؤوس الأموال الصغيرة للقيام بمشاريع كبيرة».

ب – «إزالة الحواجز الجمركية بين البلاد العربية عن المنتوجات والصناعات العربية، وعدم التقيد بمذهب من المذاهب الاقتصادية المعروفة إلا بقدر ما فيها من خير لمصلحة العرب الاقتصادية».

ج – «تضحية المصالح الفردية والحرفية في سبيل مصلحة الأمة الاقتصادية واعتبار مصلحة المجموع فوق المصالح الخاصة، واعتبار البلاد العربية وحدة اقتصادية لا تقبل الخلل، وسوقاً اقتصادية وطنية خالصة لا تروج فيها ولا يجب أن يستهلك غير المنتوجات والمصنوعات العربية».

د – «بذل المستهلكين العرب قصارى الجهد للاستغناء عن استعمال الحاجات الكمالية إذا لم يكن منها ما هو عربي والإقلال مما لا يستغنى عنه من الحاجات الاجنبية وما لا نظير له في المصنوعات العربية، والقيام بنهضة صناعية كبرى يتكاتف العرب أجمعين في سبيل إنجاحها».

هـ – «مقاومة الشركات الأجنبية وعدم الاعتراف بما منحت أو تمنح من امتيازات خلافاً لمصلحة البلاد، وان تشجع الشركات العربية من كل نوع وان تختار الظروف الملائمة لاستيلاء الأمة على مرافقها الأساسية. . .».

«أن تحارب الإقطاعية ويحدد مقدار التملك العقاري بنسب تساعد على النمو الزراعي وحسن الاستثمار».

وجاء في البيان «. . . أن الأمة اذا استبحر غناها تمكنت من الدفاع عن حقوقها السياسية دفاعاً مظفراً. . . وأن كل تجارة او صناعة تؤول بربح على رعايا الدول المستعمرة هي قوة للاستعمار ووسيلة لتخليده، وضعف للعرب وإمعان في استكانتهم. . .»[393].

يتّضح من الأهداف الاقتصادية للعصبة أنها لم تقرّر إلغاء الملكية الخاصة، ولا استيلاء الدولة أو سيطرتها على جميع وسائل الإنتاج والمشاريع الاقتصادية.

ويبدو أنها أرادت الاستفادة من المذاهب الاقتصادية العالمية دون الالتزام بكامل قواعدها، وذلك بالأخذ بما ترى فيه صالحاً لاقتصاد العرب في النظام الاقتصادي الرأسمالي الذي لا يلغي المبادرة الفردية، ويسمح بقيام مشاريع خاصة تساهم في تطوير وتنمية الاقتصاد الوطني والقومي، والأخذ بما ترى فيه صالحاً أيضاً في قواعد النظام الاقتصادي الاشتراكي الذي يضع المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة، ولا يسمح بالاحتكار وهيمنة رؤوس الأموال الخاصة أو الأجنبية على الاقتصاد الوطني.

ويظهر من مجمل التوجُّهات والأهداف الاقتصادية للعصبة أنها كانت ترمي إلى تطوير الاقتصاد القومي العربي على غرار الدول الكبرى، وجعل الاقتصاد الوطني عامل ازدهار وقوّة للأمة العربية، وذلك عن طريق القيام بثورة صناعية وزراعية وفتح الأسواق العربية على بعضها وإقفالها أمام المنافسة الأجنبية للمنتوجات العربية، وتطوير البنية الاقتصادية للبلاد العربية بالاعتماد على نفسها وليس على غيرها، كي لا يقع الاقتصاد العربي في تبعية لأي دولة لما في ذلك من خطر على السيادة.

وبرأيي أن توجُّهاتها الاقتصادية تدل على موقعها الطبقي، ممثّلة البرجوازية الصغيرة الوطنية التقدمية، لأنها هدفت إلى تحسين أوضاع الفئات الشعبية وتطوير الاقتصاد القومي دون تبعية، ولم تقرّر إلغاء الملكية الصغيرة، فيما أقرّت تأميم المرافق الأساسية للدولة ومحاربة الإقطاعية.

٥ - الأهداف الاجتماعية

بحث مؤتمر العصبة الأوضاع الاجتماعية في البلاد العربية، ورأى أن الأُمة العربية تحتاج إلى نهضة اجتماعية تؤدّي إلى الرفاه وبسط العيش لسائر طبقات مجتمعها، ورفع مستواها «وحفظ خصائصها وميزاتها القومية. . . وتوطيد الروابط بين

(٣٩٣) بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي المنعقد في قرنايل في ٢٤ أغسطس ١٩٣٣، ص ١٥- ١٦.

أفرادها وتوحيد أميالهم. . .»، وأوضح أن القومية العربية هي روح النهضة التي تهدف إلى تحقيقها العصبة.

ورأى أن المرأة في المجتمع العربي هي في عددها نصف هذا المجتمع وعضو أشل فيه، وجماعة البدو نادراً ما استفادت الأمة من مؤهلاتهم كما قلَّ ما جنوه هم من خير بلادهم، وأوضاع الطبقة العاملة لا يعتنى بها، والقرية مهملة. وأوضح أن هذه الأوضاع تضعف ارتباط الفرد بوطنه وقيامه بواجبه نحو القضية العربية بسبب عدم الاهتمام في شؤونه، وقلة ما يجنيه من خير بلاده.

وبحث المؤتمر في قضية المواليد وطرائق تكثيرها، والوفيات ونسبتها، وأشار إلى أنها من المسائل المهمة في هذا العصر التي يجب الاهتمام بها. ورأى أن ازدياد موت الأطفال في البلدان العربية بنسبة كبيرة نتيجة جهل القواعد الصحّية وعدم الأخذ بها، وانتشار الأمراض التناسلية.

ولاحظ تفشّي ظواهر اجتماعية غير سليمة في المجتمع العربي ساهمت في ظهورها سلطات الانتداب، كي تؤدّي إلى ترهُّل الأمة العربية، وإلهاء مجتمعاتها في أمور تبعدهم عن العزة والكرامة والتقدم والتطور، وعن الاستعداد للتضحية في سبيل استقلال بلادهم وسيادتها. وهذه الظواهر الاجتماعية هي: الامتناع عن الزواج نظراً لسهولة الفساد الجنسي، وتعاطي الميسر - أي القمار - والمسكر في جميع المجتمعات العربية عند أهل المدن والقرى وعند الحضر والبدو، مما أدَّى إلى تهديم الأخلاق القومية وتشجيع المنكرات وأعمال الفساد فضعفت العقول وهزلت الأجسام.

ولاحظ أيضاً أن الأوضاع الاجتماعية في البلدان العربية تختلف بين قطر وآخر، فأقرَّ معالجة هذه الأوضاع في كل قطر وفق برامج خاصة تبعاً لسنن التطور الاجتماعي، شرط أن لا تخرج البرامج الاجتماعية الخاصة في كل قطر عن روحية الأهداف الاجتماعية التي أقرَّها المؤتمر، والتي يمكنني إدراجها كالتالي:

أ - «ليس من الجائز اعتناق أي مذهب من المذاهب الاجتماعية يكون من شأنه إضعاف الحس القومي أو الخروج عن التقاليد العربية الصالحة. وأن من الواجب مقاومة كل عصبية غير العصبية القومية والقضاء على العصبيات العائلية أو المذهبية أو المحلية التي يجب أن تذوب وتفنى في سبيل المصلحة القومية وأن لا يتخذ من إحداها أساساً للحركات الوطنية».

ب - «رفع مستوى المرأة الاجتماعي لتحسن القيام بواجبها الوطني الذي لا يجيد غيرها القيام به».

ج - «تحضير البدو وربط مقدراتهم بمقدرات بلادهم».

د - «العناية بالطبقة العاملة والعمل على نشر الثقافة فيها وإيصال نور العلم إليهم بكل وسيلة».

هـ - «رفع مستوى (القرية) الاجتماعي والثقافي والصحي بصفتها الأساس الذي يبنى عليه هيكل البلاد العمراني والاجتماعي».

و - «تشجيع الزواج وتسهيل سبله، وتشجيع النسل وتعليم القواعد الصحية ونشرها في سائر طبقات الأمة».

ز - «مكافحة القمار والمسكر والفجور بكل وسيلة».

ح - «العمل المستمر وبذل قصارى الجهد لبث روح الرياضة البدنية بأنواعها وتشجيع مؤسساتها ومعاضدتها معنوياً ومالياً»[٣٩٤].

ودعت العصبة إلى العلمنة الكاملة للإدارة[٣٩٥]. وفي ٢ نيسان / أبريل ١٩٣٦ أصدرت بياناً مركزياً أكّدت فيه على العلمنة[٣٩٦].

يتبيّنً من هذه الأهداف الاجتماعية أن العصبة كانت تتعارض مع كل عصبية أو التزام يضعف اللحمة القومية العربية، معتبرة أنها الإطار الوحيد الذي تنصهر فيه جميع العصبيات والانتماءات، والأخذ بها يؤدّي إلى تماسك المجتمع العربي وتقدمه بدلاً من تمزُّقه إلى مجتمعات متعارضة ومتناحرة تضعف وحدة الأمة العربية، وبالتالي قدرتها على تحقيق أهدافها والحفاظ على سيادتها، كما كانت تتعارض مع كل اتجاه يعتمد على الانتماء العصبي أو المذهبي ويأخذ منه منطلقاً لتشكيل حركات وطنية.

وأرادت تفعيل دور المرأة، ولم تميِّز بينها وبين الرجل في القدرة على المساهمة في تطوير المجتمع العربي والقيام بالواجبات الوطنية. ولفتت الأنظار إلى فئة من سكان البلاد العربية وهم البدو، مقرّة تحضيرهم من أجل رفع مستوياتهم، كونهم عرباً مثلهم مثل بقية سكان البلدان العربية، ولأنهم قادرون على العطاء، يجب أن تستفيد البلدان العربية منهم، كما يجب أن يستفيدوا هم من خيراتها كي يحسنوا القيام بواجبهم الوطني. كما أقرّت تطوير الأوضاع الثقافية والاجتماعية للطبقة العاملة معتبرة أن من حق العمال الاستفادة من ثمرة جهودهم وخير بلادهم. كذلك اهتمت

---

(٣٩٤) المصدر نفسه، ص ١٧- ١٩.

(٣٩٥) لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ص ٢٨٦.

(٣٩٦) محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥، ص ١٣٨.

بشؤون القرية وبتحسين أوضاع أبنائها، لأن رفع المستوى العام للقرية وأبنائها يؤدِّي في النهاية إلى رفع مستوى المجتمع ككل.

ولهذا أستطيع القول إنها هدفت إلى مكافحة التعصُّب الذي يضعف وحدة المجتمع العربي، وإعطاء المرأة حرِّيتها، والطبقة العاملة حقَّها، ومحاربة الكسل والخمول والجهل والفساد والاستغلال الاجتماعي. وذلك عن طريق وضع برامج اجتماعية عملية تبعث التسامح والتعاضد، وتؤدِّي إلى رفع المستوى الثقافي والصحي، وتقلِّل من نسبة الوفيات، وتنمِّي كفاءة المرأة، وتسهِّل الزواج، وتقوِّي بنية الجسم، وتحفِّز العامل والفلاح وجميع الفئات المنتجة على العطاء. ويستفيد من خير هذه النهضة الاجتماعية الجميع وخاصة الفئات الشعبية ودون أي فارق أو تمييز.

٦ - الأهداف الثقافية

رأى مؤتمر العصبة أن النهضة الثقافية والعلمية يجب أن تؤدِّي إلى إنماء قوى التفكير والإنتاج الذهني والابتكار، وبعث الروح القومية وتنميتها، وبث روح التضحية والتعاون وحسن الانتظام، وجعل المواطن العربي قوي الإرادة معتمداً على نفسه غير تواكلي. لذلك أقرَّ الأهداف الثقافية التي تحقق هذه النهضة، ويمكنني إدراجها كالتالي:

أ - «قيام برامج التعليم على أسس عملية تساعد على تدريب الطلاب على حرية البحث العلمي والاستقلال الفكري. وفسح مجال كافٍ في برامج التعليم لدرس تاريخ العرب وجغرافية بلادهم وآثارهم في العلم والفن والأدب. وصيرورة اللغة العربية وحدها لغة التعليم في شتى فروعه وإيجاد التعابير والمصطلحات العلمية والفنية وتوحيدها في البلاد».

ب - «لما كان انتشار العلم والثقافة في طبقة دون طبقة لا يؤدي إلى الغرض المقصود وهو يحرم الأمة من استعداد النوابغ من أبنائها في سائر الطبقات وجب أن يعم العلم سائرها وتسهل سبله وان لا يكون الفقر حائلاً دون ذلك».

ج - «قصر اللغات الأجنبية على البحث العلمي والامتناع عن التخاطب بها بين العرب. ومقاومة التبشير الأجنبي بأشكاله وشتى مظاهره».

تتَّضح من هذه الأهداف إرادة العصبة في تحقيق نهضة ثقافية متقدِّمة بالاعتماد على أساليب تربوية متطوِّرة، كإقرار برامج علمية على أُسس عملية، وإنشاء مراكز للأبحاث العلمية، وتدريس المناهج ليس نظرياً وحسب، إنما أيضاً بشكل تطبيقي ونقدي وبما يساعد الطالب على الإبداع الفكري وإنتاج معارف جديدة. وهذا يعني

أن لا يكتفي المجتمع العربي بالعلوم التي تأتيه من المجتمعات الأجنبية، بل عليه أن يطوّر فيها ويأتي بالجديد منها ليغدو في صفوف الأمم المتقدمة.

إن فسح مجال كاف أمام الطالب لدراسة تاريخ وآداب وآثار وفنّ العرب، يدل على أن العصبة أرادت إحياء الحضارة العربية، وإطلاع أبناء الأمة العربية على تراثهم وعظمة تاريخهم، كي لا تجرفهم حضارة الغرب الوافدة إليهم عبر الإرساليات والبعثات التبشيرية التي قدمت إلى البلاد العربية للعمل على «إضعاف شأن اللغة العربية ومزاحمتها بلغات الفرنجة... ثم تحاول بما لديها من الوسائل إفساد العقائد والمبادئ العربية... ودس السموم في تاريخ العرب المدني والديني تبغيضاً بهم وتهويناً من شأنهم وقطعاً لما بين ماضي العربي وحاضره ومستقبله من صلة»[٣٩٧]. لذلك أقرَّت مقاومة الإرساليات واتخاذ اللغة العربية لغة رسمية، فعزَّزت مكانتها لأنها أقوى روابط الأمة وعامل فعَّال في تعزيز التراث القومي العربي، ولكي تُسهِّل مسألة التحصيل العلمي.

وأكدت العصبة على حق كل مواطن عربي في العلم، رافضة حصره في فئة أو طبقة دون غيرها، أو أن يكون الفقر حائلاً دون تحصيله، فأقرَّت إلزاميته وتسهيل سبله. وهذا يدل على أنها كانت تعارض محاولات إلغاء أو إهمال التعليم الرسمي التي ظهرت مع حكومة إميل إده في لبنان عام ١٩٣٠، وتسعى إلى تعزيز هذا العلم وإنشاء مؤسَّسات تربوية وطنية في كافة البلدان العربية، كي تنشر الثقافة والعلم بين جميع المواطنين العرب، ويحقق المجتمع العربي نهضته وتطوره.

ثالثاً: تنظيم العصبة

لقد أشارت العصبة في بيان مؤتمرها التأسيسي إلى طبيعة التنظيم الذي أقرَّت إنشاءه. فانطلاقاً من أن النهضة القومية التي تهدف إلى تحقيقها يتوقَّف نجاحها على تعاون العرب، وتحتاج إلى وقت طويل وجهود مستمرة، رأت أنه لا يمكن القيام بها على أساس فردي أو زعامة شأن الحركات السابقة، بل على أساس حركة شعبية منظَّمة تنظيماً محكماً يضمن لها النشاط والاستمرار وحسن القيادة[٣٩٨]. كما جاء في بطاقة العضوية للعصبة بأنها «تعتمد في بلوغ أهدافها على التنظيم الشعبي الشامل للجنسين وتستند فيه بالدرجة الأولى إلى الشباب»[٣٩٩].

(٣٩٧) بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي المنعقد في قرنايل في ٢٤ أغسطس ١٩٣٣، ص ١٩- ٢٠.

(٣٩٨) المصدر نفسه، ص ١٠ و١٣.

(٣٩٩) انظر بطاقة العضوية لعصبة العمل القومي في ملحقات البحث من هذا الكتاب.

وبما أن الحزب أو التنظيم هو الجماعة التي انتظمت حول عقيدة معيَّنة وفق إطار تنظيمي تعمل من خلاله لنشر عقيدتها وتكوين قاعدة حزبية وجماهيرية لتحقيق أهدافها، ففي معالجتي لتنظيم العصبة سأتطرَّق إلى:

- إطارها التنظيمي
- توسُّعها التنظيمي
- مؤسَّساتها

١ - إطارها التنظيمي

اتخذت العصبة من دمشق مركزاً لها[٤٠٠]، وتألَّف إطارها التنظيمي من:

أ - الأمين العام: وهو يمثِّل العصبة والناطق الرسمي باسمها. يقوم إلى جانبه مجلسان هما: مجلس المفوَّضين ومجلس المديرين.

ب - مجلس المفوَّضين: يتألَّف من مفوَّض الداخلية، ومفوَّض المالية، ومفوَّض الدعاية[٤٠١]، ومفوَّض الشؤون العربية، ومفوَّض الشؤون الخارجية، ومفوَّض الشؤون الثقافية ومفوَّض الشؤون الاجتماعية[٤٠٢].

وتعود إلى هذا المجلس مهمَّة التعيين في المناصب الحزبية، وإعطاء الصلاحيات ومساعدة الأمين العام في مهامه.

ج - مجلس المديرين: مهمَّته تنفيذ المقرَّرات والتوصيات التي يقرُّها مجلس المفوَّضين[٤٠٣].

د - الفروع: ترتبط فروع العصبة بالمركز وهي موزَّعة في عدد من المدن السورية واللبنانية[٤٠٤]. يتكوَّن كل فرع من مجموعة نقاط ارتكاز موزَّعة في الأحياء

(٤٠٠) أحمد طربين، الوحدة العربية في تاريخ المشرق المعاصر، ١٨٠٠- ١٩٥٨ (دمشق: [د. ن.]، ١٩٧٠)، ص ٢٣٨؛ فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨- ١٩٥٥، ص ١٤٠، وبلاوني، «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣- ١٩٣٩»، ص ١٩٣.

(٤٠١) بلاوني، المصدر نفسه، ص ١٩٣.

(٤٠٢) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١٠/ ١٠/ ١٩٩٠.

(٤٠٣) بلاوني، المصدر نفسه، ص ١٩٣.

(٤٠٤) فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨- ١٩٥٥، ص ١٤٠.

السكنية والقرى. يرأس كل فرع أمين للفرع، يساعده في مهامه مجلس مصغَّر على شكل مجلس المديرية[٤٠٥]. مهمَّة الفرع الإشراف المباشر على المراكز الحزبية في المنطقة الموجودة فيها، وتنظيم هذه المراكز وتوجيهها، والقيام بالمهام والنشاطات التي تقرِّرها المراكز الأعلى.

هـ - **نقاط الإرتكاز**: تتألَّف من أعضاء العصبة في أحياء المدن والقرى. مهمَّتها العمل الدعائي لأهداف العصبة، والتحريض على سلطات الانتداب بين الجماهير، والقيام بالمهام التي يقرِّرها فرع العصبة المشرف عليها[٤٠٦]. يشرف على كل نقطة ارتكاز هيئة مصغَّرة على شكل مجلس الفرع[٤٠٧].

و- **الانتساب**: خلافاً لما ذكره بلاوني بأن مجلس المديرين هو الذي يقبل طلبات الانتساب للعصبة[٤٠٨]، يقول د. الرز: «إن الانتساب للعصبة يتم بطلب يقدِّمه الراغب في أن يكون عضواً فيها إلى أقرب مركز له، موضحاً فيه اسمه الكامل ومكان إقامته. ويخضع المنتسب الجديد إلى فترة اختبار مدَّتها ستة أشهر على الأقل، يتم فيها دراسة مدى صلابته وحسن انتظامه ومسلكه من جانب المعنيين بذلك في المركز. وبعد ذلك يُرفع طلبه مع الملاحظات التي تكوَّنت عنه إلى أمانة الداخلية في الفرع لدراسته، فإذا تمَّت الموافقة عليه، يقبل صاحب الطلب كعضو في العصبة»[٤٠٩].

ويقول الأُستاذ يوسف شعبان «أنا ورفاقي في منطقة المتن قُبلنا كأعضاء في العصبة من جانب فرعها في بيروت أواخر عام ١٩٣٣»[٤١٠].

ويبدو أن ما جاء في هذه المقابلات صحيح، أي طلبات الانتساب كانت تبت فيها الفروع وليس مجلس المديرين. إذ يذكر لونغريغ أن العصبة سعت «إلى توسيع وجودها التنظيمي عبر اللامركزية الواسعة»[٤١١]. وأشرت سابقاً إلى أن أعضاء

---

(٤٠٥) بلاوني، المصدر نفسه، ص ١٩٣- ١٩٤.

(٤٠٦) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١٠/ ١٠/ ١٩٩٠.

(٤٠٧) بلاوني، المصدر نفسه، ص ١٩٣.

(٤٠٨) المصدر نفسه، ص ١٩٣.

(٤٠٩) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١٠/ ١٠/ ١٩٩٠.

(٤١٠) مقابلة مع الأستاذ يوسف حمد شعبان في ٢٣/ ١٠/ ١٩٩٠. انتسب إلى العصبة منذ تأسيسها. وهو من قرية بتبيات التي تقع بجانب بمريم قرية علي ناصر الدين، وكان في تلك الفترة أستاذاً في مدرسة بدغان التي تقع بالقرب من صوفر. وفي عام ١٩٣٥ هاجر إلى أمريكا اللاتينية.

(٤١١) لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ص ٢٨٦.

العصبة في العراق تقدَّموا بطلب إلى الحكومة العراقية في عام ١٩٣٣ كي ينظِّموا شؤونهم بشكل رسمي فيه.

والانتساب إلى العصبة مفتوح لكل من اعتنق أهدافها. فقد جاء في بيان مؤتمرها التأسيسي: «وهذه مبادئنا وتلك أهدافنا... فكل من اعتنقها أو شاء أن يساهم في تحقيق جزء منها فنحن منه وهو منا...»[٤١٢].

وينص البند الثاني من النظام الداخلي للعصبة على أن صفة العضوية تسقط عن أي عضو يتعاون مع المستعمرين والحكومات التي تعمل لحسابهم[٤١٣].

٢- توسُّعها التنظيمي

إن أي تنظيم يسعى إلى التوسُّع على الصعيدين الجغرافي والجماهيري كي يتسنَّى له تحقيق أهدافه. فكيف كان انتشار العصبة على هذين المستويين؟

أ- على الصعيد الجغرافي

قبل توضيح انتشارها على هذا الصعيد، أرى أن د. أحمد طربين أخطأ في الإشارة إلى أن فرعاً للعصبة نشأ في لبنان عام ١٩٣٦[٤١٤] فلقد بيَّنت أن الكثير من مؤسِّسيها هم من لبنان، ومنذ نشأتها انضم إليها أعضاء عن طريق فرعها في بيروت. وتشير جريدة **الشعب** إلى أن بعض رجال العصبة توجَّهوا إلى بيروت فور انتهاء المؤتمر التأسيسي من أعماله، وبحثوا في «مشروع إنشاء مكتب للحزب»[٤١٥]. وتشير جريدة **الجامعة العربية** إلى نشاط لفرع العصبة في بيروت في عام ١٩٣٣[٤١٦] لذلك فإن العصبة منذ تأسيسها أنشأت فرعاً لها في لبنان.

ولقد انتشرت فروعها في القرى ومعظم المدن السورية[٤١٧]، وفي بعض المدن اللبنانية[٤١٨]، أبرزها في:

---

(٤١٢) بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي المنعقد في قرنايل في ٢٤ أغسطس ١٩٣٣، ص ٢٢.

(٤١٣) دندشلي، حزب البعث العربي الاشتراكي، ١٩٤٠- ١٩٦٣: مساهمة في نقد الحركات السياسية في الوطن العربي، ج ١: الايديولوجيا والتاريخ السياسي، ص ١٤.

(٤١٤) طربين، الوحدة العربية في تاريخ المشرق المعاصر، ١٨٠٠- ١٩٥٨، ص ٢٣٨.

(٤١٥) الشعب، ٥/ ٩/ ١٩٣٣، ص ٣.

(٤١٦) الجامعة العربية، ٩/ ١١/ ١٩٣٣، ص ٣.

(٤١٧) بلاوني، «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣- ١٩٣٩»، ص ١٩٤- ١٩٥.

(٤١٨) فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨- ١٩٥٥، ص ١٤٠.

دمشق، السويداء، حمص[٤١٩] (وكانت هذه المدينة الأخيرة منطقة رئيسية للعصبة)[٤٢٠]، وفي لواء الاسكندرون[٤٢١] (وكانت العصبة أكبر حزب عربي جماهيري فيه)[٤٢٢]، وفي حماه وتل كلخ (سوريا)[٤٢٣].

وفي بيروت (كان للعصبة فيها وجود هام وفاعل)[٤٢٤]، وفي بعلبك، وراشيا، ومرجعيون، والنبطية، وصور، وطرابلس وصيدا (تميَّز فرعها في هذه المدينة الأخيرة باستمرار متابعته للنشاطات التنظيمية بشكل سرّي أثناء الحرب العالمية الثانية)[٤٢٥]. وانتشرت في عدد من قرى منطقة الشوف وعاليه[٤٢٦]، وفي قرى منطقة المتن، مثل: قرنايل (كان عدد أعضاء العصبة فيها كبيراً، وتميَّز مركزها بتعدُّد نشاطاته الثقافية والاجتماعية)[٤٢٧]، بمريم، بتبيات، بتخنيه، فالوغا، الشبانية، كفرسلوان، رأس المتن، صليما[٤٢٨] والشوير[٤٢٩]، وفي قرى منطقة البترون[٤٣٠]، وفي قرى منطقة الكورة[٤٣١] (لبنان).

وكان لها وجود في منطقة عكار (لبنان)، وفي القرى المجاورة لها من دولة العلويين (سوريا). ففي ٩ تموز/يوليو ١٩٣٦، «قررت أن تعقد اجتماعاً عاماً في منزل السيد راغب مصطفى في مشتى حسن قضاء عكار. . .»، إلا أن الدرك اللبناني

---

(٤١٩) بلاوني، المصدر نفسه، ص ١٩٥- ١٩٧.

(٤٢٠) لونغريغ، **تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**، ص ٢٨٧.

(٤٢١) بلاوني، المصدر نفسه، ص ١٩٥.

(٤٢٢) ذوقان قرقوط، **تطور الحركة الوطنية في سورية، ١٩٢٠- ١٩٣٩** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٥)، ص ١٦٢.

(٤٢٣) حنا، **الحركة العمالية في سورية ولبنان، ١٩٠٠- ١٩٤٥**، ص ٢٣١.

(٤٢٤) مقابلة مع العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في ٢٤/ ٩/ ١٩٩٠، ومقابلة مع المحامي أديب خليل جاعص في ١٩/ ١٠/ ١٩٩٠.

(٤٢٥) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ٨/ ١٠/ ١٩٩٠. انتسب د. الرز إلى العصبة عن طريق فرعها في صيدا.

(٤٢٦) مقابلة مع المهندس سامي محمد عبد الباقي في ٣/ ٣/ ١٩٩٢. وهو من بلدة عين بال في الشوف، وانتسب إلى العصبة مع مطلع الاستقلال. تخرَّج مهندساً في الجامعة الأمريكية، ونال شهادة دكتوراه في الهندسة من ألمانيا ودكتوراه في الاقتصاد من جامعة لندن.

(٤٢٧) مقابلة مع السيِّدة عفاف توفيق الأعور في ٢٨/ ٩/ ١٩٩١. وهي من بلدة قرنايل، وكانت تشارك في بعض نشاطات العصبة الثقافية والاجتماعية في بلدتها.

(٤٢٨) مقابلة مع الأستاذ يوسف حمد شعبان في ٢٣/ ١٠/ ١٩٩١.

(٤٢٩) مقابلة مع المحامي أديب خليل جاعص في ١٩/ ١٠/ ١٩٩٠.

(٤٣٠) مقابلة مع المحامي وائل نقولا خير في ١١/ ٩/ ١٩٩١.

(٤٣١) مقابلة مع الأستاذ ابراهيم فهيم الخوري في ٤/ ٩/ ١٩٩١.

«قام بتفريق المجتمعين[٤٣٢] الذي كان عددهم يتجاوز الخمسين شاباً. وعندما شعر أعضاء العصبة أن ليس بامكانهم عقد الاجتماع. . . قطعوا الحدود إلى قرية الناعسية الواقعة في نطاق دولة العلويين معولين على متابعة عملهم في هذه القرية. . .»[٤٣٣].

وفتحت العصبة فرعاً لها في فلسطين[٤٣٤]، وفي شرقي الأُردن والعراق[٤٣٥]، ونمت في لبنان وسوريا والعراق بعد منتصف الثلاثينيات[٤٣٦].

ب - على الصعيد الجماهيري

سعت العصبة بنشاط وعزم لنشر أفكارها بين الجماهير[٤٣٧]، وأحرزت مستوى مرتفعاً من الدعاية والزخم[٤٣٨]، ووجدت أفكارها «صدىً واسعاً في صفوف الشباب المتمرد على واقعه من طلبة الجامعات والمدارس الثانوية في سوريا ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن والعراق»[٤٣٩]، وكانت قوية في صفوف المثقَّفين والطلاب[٤٤٠]، وجذبت إليها أعداداً كبيرة من الوسط البرجوازي الصغير المثقَّف الذي كان يطمح في استقلال بلاده وتطوُّرها ووضعها في صفوف الأُمم المتقدِّمة[٤٤١]. فكان منهم: الطبيب والمحامي والأديب والصحافي والمهندس. كما ضمَّت إليها عمالاً وفلاحين وتجاراً[٤٤٢]، وعناصر إقطاعية معارضة لسياسة الكتلة الوطنية[٤٤٣]، وتميَّزت بوجود مسيحي هام فيها[٤٤٤].

ومن أعضائها في لبنان: العلامة الشيخ عبد الله العلايلي (بيروت، كان له نشاط بارز ومؤثر)[٤٤٥] الدكتور محمد خير النويري (بيروت، ساهم في دعم

---

(٤٣٢) كان أمين السر العام للعصبة، صبري العسلي، موجوداً في هذا الاجتماع.

(٤٣٣) النهار، ١٠/٧/١٩٣٦، ص ٥.

(٤٣٤) الكيبي، حركة القوميين العرب، ص ٦٧.

(٤٣٥) محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥، ص ١٣٨.

(٤٣٦) أشتي، الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩- ١٩٧٥، ص ١٠٩.

(٤٣٧) ناصر الدين، هكذا كنا نكتب، ص ١٥٠.

(٤٣٨) لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ص ٢٨٦.

(٤٣٩) محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥، ص ١٣٨.

(٤٤٠) فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨- ١٩٥٥، ص ١٨٨.

(٤٤١) حنا، الحركة العمالية في سورية ولبنان، ١٩٠٠- ١٩٤٥، ص ٢٢٩- ٢٣٠.

(٤٤٢) ناصر الدين، هكذا كنا نكتب، ص ١٥٠.

(٤٤٣) حنا، المصدر نفسه، ص ٢٢٩.

(٤٤٤) لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ص ٢٨٧.

(٤٤٥) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١٠/١٠/١٩٩٠.

انتفاضة شعب فلسطين)، ناظم القادري (البيري، أصبح نائباً عن قضاء راشيا بعد الاستقلال)، نصري المعلوف (أصبح نائباً عن بيروت في الستّينيات)، جعفر شرف الدين (أصبح نائباً عن قضاء صور في الستّينيات)، المحامي شوقي الدندشلي وقبولي الزوق (طرابلس)، الأديبة زاهية أيوب (أنشأت مدرسة بعد الاستقلال[٤٤٦] ما تزال قائمة حتى الآن في محلة المصيطبة في بيروت)، السيّدة إميلي فارس إبراهيم (أصبحت رئيسة للمجلس النسائي اللبناني بعد الاستقلال، وشغلت أمانة سر مفوّضية الحكومة لدى إدارة حصر التبغ والتنباك، ومنحت وسام الاستحقاق اللبناني المذهب)[٤٤٧]، زهير عسيران (أصبح نقيباً للصحافة بعد الاستقلال)، الشاعر صلاح لبابيدي (أصبح مديراً لشرطة بيروت في عهد الرئيس كميل شمعون)، حسني عطية (أصبح نقيباً للمحامين في طرابلس بعد الاستقلال)، الشيخ عمر حلاق (مسؤول العصبة في صيدا)، بكري بركات (كان من قادة العصبة في لبنان واعتقلته سلطات الانتداب مع علي ناصر الدين في الأيام الأولى من الحرب العالمية الثانية)، عفيف البزري (صيدا[٤٤٨]، شارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق عام ١٩٤١[٤٤٩]، وأصبح ضابطاً في الجيش العربي السوري بعد الاستقلال)، شوكت شقير (أرصون، أصبح ضابطاً في الجيش العربي السوري بعد الاستقلال)، لطف الله الخوري، إميل حبوش، علي بزي، سامي سليم[٤٥٠]، نعيم العياش (بعورته ــ عاليه)، ملحم غرز الدين (رأس المتن، كان من قادة العصبة في لبنان)، محمد طليع (جديدة ــ الشوف، أصبح قاضياً بعد الاستقلال)[٤٥١]، عماد الصلح وفوزي الداعوق[٤٥٢] ومحمود المقدم (كان أمين سر لجنة التنظيم في فرع العصبة في بيروت من عام ١٩٣٧ إلى عام ١٩٣٩، واعتقل في العام الأخير) ومحيى الدين المشلي ومحمود سلام (بيروت)[٤٥٣]، بشير النكدي (عبيه)، أمين رويحة (حمانا)[٤٥٤]، خطار علي شروف ناصر الدين (بمريم)[٤٥٥]، جميل بركات وعبد الغني بركات وجميل فارس وكامل

---

(٤٤٦) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١٠/ ١٠/ ١٩٩٠.

(٤٤٧) زيدان، **عالمنا العربي: سورية ولبنان،** ص ٥٥٧.

(٤٤٨) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١٠/ ١٠/ ١٩٩٠.

(٤٤٩) البزري، «سورية جزيرة الحرية الخضراء،» ص ٣.

(٤٥٠) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١٠/ ١٠/ ١٩٩١.

(٤٥١) مقابلة مع المهندس سامي محمد عبد الباقي في ٣/ ٣/ ١٩٩٢.

(٤٥٢) ناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث،** ص ٤٦.

(٤٥٣) مقابلة مع الأستاذ محمود حسن المقدم في ٥/ ١٢/ ١٩٩٨. انتسب إلى العصبة عن طريق فرعها في بيروت عام ١٩٣٣.

(٤٥٤) ناصر الدين، المصدر نفسه، ص٤٦ و٥٣.

(٤٥٥) مقابلة مع الشيخ خطار علي شروف ناصر الدين في ١١/ ١٠/ ١٩٩١.

ملحم (بتخنيه)، نجيب زيدان (كفرسلوان)، يوسف حمد شعبان (بتبيات) - وهؤلاء الأعضاء من بتخنيه وكفرسلوان وبتبيات انتسبوا إلى العصبة عام ١٩٣٣[٤٥٦]، راغب مصطفى (عكار)[٤٥٧] وسامي حمدان (حاروف - النبطية)[٤٥٨].

وفي سوريا: زكي الأرسوزي (مسؤول العصبة في لواء الاسكندرون[٤٥٩]، وقائد للجبهة العربية المدافعة عن عروبته)[٤٦٠]. وحين فصل اللواء، هاجر مع تلامذته إلى حلب ومنها إلى دمشق فبغداد في عام ١٩٣٩ وسرعان ما عاد إلى دمشق حيث عاش فقيراً لا يملك قرشاً)[٤٦١]، عدنان الأتاسي (حمص)، سعيد أبو الحسن (أمين فرع العصبة في السويداء)، محسن البرازي (حماة)، زكي الجابي، أحمد الشهابي، عبد الدائم الأتاسي، عبد الكريم فياض الدندشي[٤٦٢]، وصفي البني[٤٦٣]، حلمي الأتاسي وخالد الأتاسي (هما من أعضاء مكتب العصبة، وحضرا اجتماع مشتى حسن[٤٦٤]الذي تحدَّثت عنه سابقاً)، وسامي الطيارة[٤٦٥].

وفي العراق: عبد الرزاق شبيب، صدِّيق شنشل، محمد فائق السامرائي وسليمان الصفواني[٤٦٦].

وفي المغرب: الفاطمي بن سليمان[٤٦٧].

وفي فلسطين: محمد الخليلي[٤٦٨].

٣- وسائل إعلامها ومؤسَّساتها

سعت العصبة إلى إنشاء جريدة لها لنشر أفكارها والتعبير عن مواقفها. ففور

---

(٤٥٦) مقابلة مع الأستاذ يوسف حمد شعبان في ٢٣/ ١٠/ ١٩٩١.

(٤٥٧) النهار، ١٠/ ٧/ ١٩٣٦، ص ٥.

(٤٥٨) مقابلة مع الاستاذ محمود حسن المقدم في ٥/ ١٢/ ١٩٩٨.

(٤٥٩) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١٠/ ١٠/ ١٩٩٠.

(٤٦٠) جلال السيد، حزب البعث العربي (بيروت: دار النهار للنشر، [١٩٧٣])، ص ٢٠.

(٤٦١) عبد الله حنا، الاتجاهات الفكرية في سورية ولبنان، ١٩٢٠ - ١٩٤٥ (دمشق: المطبعة التعاونية، ١٩٧٣)، ص ٤٩.

(٤٦٢) بلاوني، «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣- ١٩٣٩،» ص ١٩٤ و١٩٦-١٩٧.

(٤٦٣) حنا، الحركة العمالية في سورية ولبنان، ١٩٠٠- ١٩٤٥، ص ٢٣١.

(٤٦٤) النهار، ١٠/ ٧/ ١٩٣٦، ص ٥.

(٤٦٥) زعيتر، يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥- ١٩٣٩، ص ٨.

(٤٦٦) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١٠/ ١٠/ ١٩٩٠.

(٤٦٧) مقابلة مع المهندس سامي محمد عبد الباقي في ٣/ ٣/ ١٩٩٢.

(٤٦٨) مقابلة مع الأستاذ محمود حسن المقدم في ٥/ ١٢/ ١٩٩٨.

انتهاء مؤتمرها التأسيسي من أعماله، توجَّه بعض رجالها إلى بيروت وعقدوا اجتماعاً بحثوا فيه طرق نشر الدعاية والموقف من الصحافة[٤٦٩].

ولقد حاولت العصبة مراراً في لبنان إصدار جريدة، ولكن سلطات الانتداب منعتها من ذلك. وفي عام ١٩٣٥ أصدرت جريدة **الشرق**، لكن يظهر أن هذه الجريدة ما إن أبصرت النور حتى أقفلتها سلطات الانتداب، لأن لم يصدر منها إلا ثلاثة أعداد في شهر شباط/ فبراير من العام المشار إليه[٤٧٠].

ويذكر لونغريغ أن العصبة ثابرت في التعبير «عن وجهة نظرها عبر الاجتماعات والخطب والبيانات والمظاهرات الجماهيرية»[٤٧١]، بينما يشير د. محافظة إلى أن جريدة **الجزيرة** لصاحبها تيسير ظبيان كانت لسان حال العصبة[٤٧٢]. وتشير جريدة **الجامعة العربية** الصادرة في القدس إلى أن بيان المؤتمر التأسيسي للعصبة وصل إليها[٤٧٣].

أما مؤسَّساتها، فقد أسَّست العصبة نادي الفنون الجميلة في أنطاكيا الذي كان ستاراً لنضالها السياسي[٤٧٤].

كما أنشأت مدارس ليلية مجانية للأُميين في العديد من القرى، وفي بعض الأحياء في المدن. وكان فريق من أعضائها، شبَّان وشابات، يقوم بتعليم وتوجيه الأُميين في هذه المدارس[٤٧٥].

وكانت العصبة على قناعة بأن المحتل لن يخرج من الأراضي العربية إلا بالمقاومة الشعبية، فأسَّست تنظيماً شبه عسكري هو «حرس العروبة» الذي كان ميليشيا مكوَّنة من أعضائها ومناصريها، ومن مهامه تنظيم الاحتفالات التي كانت تقيمها العصبة[٤٧٦]. كما اعتبرت أن كل عضو فيها هو في الوقت نفسه عضو في «حرس العروبة»[٤٧٧]. ويذكر شعبان أن بعض أعضاء العصبة كانوا يقومون

---

(٤٦٩) **الشعب**، ٥/ ٩/ ١٩٣٣، ص ٣.

(٤٧٠) ناصر الدين، **هكذا كنا نكتب**، ص ١٨٦- ١٨٧.

(٤٧١) لونغريغ، **تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**، ص ٢٨٧.

(٤٧٢) محافظة، **موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥**، ص ١٣٧.

(٤٧٣) **الجامعة العربية**، ٢٤/ ٩/ ١٩٣٣، ص ٥.

(٤٧٤) زكي الأرسوزي، **المؤلفات الكاملة**، ٦ ج (دمشق: مطابع الإدارة السياسية للجيش والقوات المسلحة، ١٩٧٢- ١٩٧٦)، ج ٢، ص ٢٨٨.

(٤٧٥) ناصر الدين، **هكذا كنا نكتب**، ص ٢٦٦.

(٤٧٦) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١٠/ ١٠/ ١٩٩٠.

(٤٧٧) بلاوني، «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣- ١٩٣٩»، ص ١٩٤.

بحراسة الأماكن التي كانت تعقد فيها اجتماعات حزبية[٤٧٨].

واتخذت العصبة شعاراً لها وضعته على بطاقة عضويتها، وصدَّرت بعض الكتابات والمناشير به، وهو: لا نقول إلا الصدق ولا نعمل إلا للحق ولا نخاف إلا الله[٤٧٩]. ولقد أوضح لي د. الرز القصد من هذا الشعار قائلاً: «إن العصبة في شعارها (لا نقول إلاّ الصدق) عنت، بأن العصبويين لن يكونوا على تناقض ما بين أقوالهم ومواقفهم وأفعالهم، وعنت بـ (لا نعمل إلا للحق) بأن الوحدة والاستقلال التام وسيادة العرب على بلادهم هما حق طبيعي للأُمة العربية، وأن العصبة ستعمل لتحقيق هذه المطالب المحقَّة، وعنت بـ (لا نخاف إلا الله) بأن العصبويين سيستمرون في الكفاح والنضال لتحقيق الأهداف المذكورة، غير خائفين من البطش والاعتقال وكل أشكال القمع».

كما اتخذت علماً لها يحمل نسراً يحلّق في الفضاء حاملاً على جناحيه الوطن العربي رمزاً للوحدة العربية. وألوان العلم هي: الأبيض والأسود والأخضر والأحمر. وهذه الألوان أُخذت من قصيدة للشاعر العربي خير الدين الزركلي الذي يعبِّر في بعض أبياتها عن مجد الأمة العربية، وهذه الأبيات هي:

بيض صنائعنا سود مواقعنا
خضر مرابعنا حمر مواضينا[٤٨٠]

يتَّضح مما أشارت إليه العصبة عن وسائل عملها أنها أعطت أهمِّية للتنظيم كوسيلة أساسية لتأطير وتفعيل دور الجماهير من جهة أُولى، كما أعطت أهمِّية لطبيعة التنظيم الذي أقرَّت إنشاءه من جهة ثانية.

فلقد هدفت إلى تحقيق الاستقلال التام والوحدة العربية، لكن تحقيق هذه الأهداف يحتاج، حسب ما أشارت إليه العصبة، إلى القيام بنهضة تمنع دوام الانحلال القومي، وتؤدِّي إلى إحياء الشعور المشترك للمصالح الوطنية والقومية للجماهير العربية وتآلفها ورصّ صفوفها على قاعدة البرنامج الذي أقرَّته. ولأن هذه الأهداف والنهضة لا يمكن تحقيقها من جانب حركة تقوم على أساس زعامة محلِّية شأن الحركات التي سبقتها، إنما بالاعتماد على الشعب لأنه باق خالداً يستطيع إتمام عمل مؤمن به، لهذا اهتمَّت بالتنظيم وطبيعته. فأقرَّت بناء تنظيمها على أساس شعبي،

---

(٤٧٨) مقابلة مع الأستاذ يوسف حمد شعبان في ٢٣/ ١٠/ ١٩٩١.

(٤٧٩) انظر بطاقة العضوية لعصبة العمل القومي في الملاحق من هذا الكتاب.

(٤٨٠) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١٠/ ١٠/ ١٩٩٠.

وركَّزت على عنصر الشباب من الجنسين لأن الشباب ينحو إلى التحرُّر والتقدم، ولأن المستقبل لهم، رابطة في ذلك بين أهدافها والتنظيم الذي أقرَّت إنشاءه.

وأنشأت تنظيمها على أُسس تراتبية أعلاها الأمانة العامة ومجلس المفوَّضين، وأدناها نقاط الارتكاز. والملاحظ أن إطارها التنظيمي، من القمَّة إلى القاعدة، يرتكز على مجالس. فمجلس المفوَّضين ينفِّذ قراراته، ولتوصياته مجلس أيضاً هو مجلس المديرين. والفرع يشرف عليه أمين عام وبجانبه مجلس مصغَّر على شكل مجلس المديرين، يساعد أمين الفرع في مهامه. ونقاط الارتكاز يشرف عليها هيئة مصغَّرة على شكل مجلس الفرع. وذلك يدل على أنها أنشأت تنظيمها على مرتكزات تسمح بتمثيل ديمقراطي مباشر(٤٨١) لجميع الفئات الاجتماعية في صفوفها، وطعَّمت تنظيمها بنمط غربي هو الأمانة العامة.

إن إسناد مهمة التعيين في المناصب الحزبية وإعطاء الصلاحيات إلى مجلس المفوَّضين، يدل على أن العصبة ابتعدت عن الأوتوقراطية، أي أنها رفضت سلطة الفرد وبالتالي لم تعط صلاحيات واسعة للأمين العام. كما أن إسقاط عضوية أحد أعضائها لأنه تعاون مع مؤسَّسة رسمية في ظل سلطات الانتداب، يدل على أنها لم تكن تقبل في صفوفها من يخالف مبادئها. وطردها لإثنين من مؤسِّسيها، أحدهما أمينها العام، دون أن يؤثِّر ذلك على أوضاعها التنظيمية ودورها، كما سيتبينَّ هذا الشيء في الفصل التالي، يدل على أن تنظيمها كان متماسكاً.

إن فتح باب الانتساب إلى العصبة لكل عربي اعتنق أهدافها يدل على أن قاعدة تنظيمها كانت تتسع لتشمل كل مناضل عربي اقتنع بأهدافها، من أي قطر أو فئة اجتماعية أو مذهب كان، ساعية من أجل إشراك جميع العناصر الوطنية في مقاومة المستعمرين، لأن لجميع هذه العناصر، من أي فئة أو منطقة كانوا، مصلحة في التحرر والاستقلال.

ويستنتج أن فروعها كان لها صلاحيات تنظيمية محدَّدة، لأنها اعتمدت اللامركزية الواسعة من أجل توسيع انتشارها، ولأن قبول طلبات الانتساب والبث فيها كان يتم من جانب الفروع.

وبغض النظر عمَّا إذا كانت العصبة قد تمكَّنت من إصدار جريدة لها في هذا

(٤٨١) يقول العفيف الأخضر أن صيغة المجالس في التنظيم الحزبي تعبِّر عن الديمقراطية المباشرة القائمة على الانتخاب وقابلية العزل وعدم الاحتراف الثوري. انظر: أشتي، **الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩- ١٩٧٥**، ص ٣٧٥.

القطر أو ذاك، أو لم تتمكّن من إصدار جريدة في أي قطر ـ لأن في لبنان، كما أوضحت، لم تتمكن من إصدار جريدة، ولم أعرف إذا لم تتمكّن أيضاً في غير بلدان من إصدار جريدة أو عكس ذلك ـ فإن بحثها في طرق نشر الدعاية والموقف من الصحافة، ومحاولة تأسيس جريدة لها، وإرسال بيان مؤتمرها التأسيسي إلى جريدة الجامعة العربية في القدس، يدل ذلك على أنها أعطت أهمية للصحافة لما لها من تأثير قوي في توعية وتوجيه الرأي العام من جهة أولى، وكوسيلة تساعد في تنظيم أو التفاف الجماهير حول أهداف معينة من جهة ثانية.

ولقد أسّست العصبة نادياً للفنون الجميلة، واتخذت منه مركزاً غير علني لنشاطها في سبيل تحقيق أهدافها، كما أنشأت مدارس ليلية لتوجيه وتعليم الأميين، وهذا يدل على أنها أرفقت إطارها التنظيمي بمؤسّسات عملت من خلالها على توعية الجماهير ورصّ صفوفها حول برنامجها. وإذا أضفت إلى ذلك، اهتمامها بالصحافة، والاجتماعات الحزبية التي كانت تعقدها، والخطب التي كان أعضاؤها يلقونها، والبيانات التي كانت تصدرها، من أجل توعية الجماهير والتعبير عن وجهة نظرها، يمكنني بعد ذلك القول إن العصبة جهدت لتوعية الجماهير وتنظيمها عبر وسائل كثيرة، انطلاقاً من قناعتها بأن التنظيم الشعبي وتحقيق نهضة قومية هما من الوسائل المهمة لتحقيق أهدافها.

إن تأسيس العصبة «حرس العروبة» كتنظيم شبه عسكري لقناعتها بأن المحتل لن يخرج من الأرض العربية إلا بالمقاومة الشعبية، واعتبار كل أعضائها أعضاءً فيه، وضم عناصر مناصرة لها إليه، يدل على أنها كانت تسعى جادة إلى إنشاء تنظيم شعبي مقاوم، استعداداً للقيام بكفاح مسلّح ضد المستعمرين من أجل تحقيق الأماني القومية العربية.

ولم تكن العصبة تقليدية، فلقد دخلت مرحلة التجديد فيما يخص نشأة الأحزاب، لأنها لم تنشأ على يد زعيم، ولا على يد فاعليات تقليدية اجتمعت وصاغت شعارات عامة وأعلنت أنها أسّست حزباً كما كانت تقوم عليه الحركات السابقة. إنما انبثقت عن مؤتمر تأسيسي له رئيس ونائب رئيس وسكرتير ومفوض إعلامي، دام خمسة أيام، وانتهت أعماله ببيان مكتوب يوضح أسباب تأسيسها وأهدافها ووسائل عملها، أي كان لمؤتمرها هيئة إدارية تنسّق أعماله، مما يدل على أنها منذ انطلاقتها اعتمدت التنظيم وليس العفوية والارتجال.

بعد أن أوضحت كيف تأسّست العصبة وأهدافها ووسائلها، سأوضح هل أنها في نشأتها تميّزت عن غيرها من الأحزاب؟ وهل دلّت على شيء ما؟

رابعاً: تميُّز نشأة العصبة

يتفق العديد من المراجع على أن نشأة العصبة كانت لها دلائل هامة وميِّزات تختلف عن بقيَّة الأحزاب في تلك الحقبة. فمحمد حرب فرزات يعتبر العصبة أوَّل منْ قدَّم برنامجاً قومياً عربياً، ويقول: «كانت الهيئات السياسية التي تأسست في تاريخ الحياة الحزبية في سوريا حتى عام ١٩٣٢ تكتفي بنشر برنامج مختصر أو مفصل، يتفق عليه المجتمعون دون أن يضعوا أسساً أو مفاهيم عامة له. فلقد قدمت تلك الأحزاب للشعب برامج سياسية، أما عصبة العمل القومي فقد قدمت برنامجاً قومياً عربياً»[٤٨٢].

والدكتور حسان حلاق يتخذها مثالاً للاتجاهات اللاطائفية، ويقول: «إن الظاهرة السياسية الأكثر انتشاراً ووضوحاً في مجال التيارات السياسية اللاطائفية هي عصبة العمل القومي»[٤٨٣].

وفي معرض آرائه بالأحزاب التي ظهرت في سوريا في تلك المدة، يقول لونغريغ: «. . . لا بد من الإشارة إلى عنصر لم تستوعبه الكتلة[*] في يوم من الأيام غير أنه يشكل أحد الميزات البارزة لهذه الفترة. هذا العنصر هو عصبة العمل القومي»[٤٨٤].

ويشير باسل الكبيسي إلى أن العصبة منظَّمة من نوع جديد في الوطن العربي، تميَّزت عن غيرها من الأحزاب بأنها «قدمت برنامجاً شاملاً للعمل القومي في المشرق العربي ومصر والأجزاء الأخرى من الوطن العربي»، وبرنامجها ممكن تطبيقه. وكانت المنظَّمة الوحيدة التي لم تعترف بشرعية الحدود التي اختطَّها الاستعمار[٤٨٥].

أما الدكتور أحمد طربين، فإنه يتخذ من نشأتها دليلاً على تفوُّق النزعة الاتحادية على النزعة الإقليمية، ويعتبرها أوَّل من حاول تأسيس الجهاد على أُسس مدروسة، وهو يقول: «وفي الحق أن غلبة النزعة الاتحادية في سوريا وبروزها على النزعة الإقليمية لا يحتاج إلى دليل. . . وإنما نكتفي بأن نشير إلى ظهور عصبة العمل القومي

---

(٤٨٢) فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨-١٩٥٥، ص ١٣٨.

(٤٨٣) حسان حلاق، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، ١٩١٣- ١٩٤٣: من جمعية بيروت الاصلاحية إلى الميثاق الوطني (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٥)، ص ١٤٨.

(*) المقصود: الكتلة الوطنية في سوريا.

(٤٨٤) لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ص ٢٨٦.

(٤٨٥) الكبيسي، حركة القوميين العرب، ص ٦٧.

عام (١٩٣٣) وإلى أهدافها المرسومة لسيادة العرب واستقلالهم ووحدتهم الشاملة، ولعلها كانت أول محاولة لإرساء أسس تنظيم حزبي لا على الشعور والعاطفة فحسب، وإنما على نظريات مدروسة منسّقة ترمي إلى القضاء على النعرات الإقليمية في الأقطار العربية. . .»[٤٨٦].

والدكتور محمد شيًا يرى أن الكثير من الحركات والأحزاب التي سبقت نشأة العصبة أو التي أتت بعدها، طرحت الفكرة القومية العربية الاستقلالية المفضية إلى الدولة العربية الواحدة، لكن العصبة في نشأتها تميَّزت عن غيرها من الأحزاب والحركات بأنها «ميّزت وللمرة الأولى، وعلى نحو واضح وكامل، بين القومية والدين، أو تحديداً بين العروبة والإسلام. فالقومية غير الدين، والدين غير القومية». وميزتها الثانية «. . . طلاقها المطلق مع المستعمر، طلاق يبدأ برفض أي مركز أو وظيفة أو تعاون مع المستعمر لينتهي في أشكال المقاومة كافة وصولاً إلى القتال»، وبأنها «شكّلت في مطلع الثلاثينيات رافعة العمل القومي الأساسية في لبنان كما في كثير من أقطار المشرق العربي»[٤٨٧].

وسهير سلطي التل ترى أيضاً أهمية مميزة في تعريف علي ناصر الدين للقومية، وفي شرحه لمعنى الوعي القومي، والذي جاء فيه: «معنى الوعي القومي، الشعور اليقظ القوي في نفس كل فرد من أفراد الأمة، بأنه جزء من كل، هو مجموعة أمته و قومه وبأن عليه واجباً نحو هذا الكل. . .، في مختلف ميادين الحياة وشتى مقوماتها. وأن هذا القوم سواء أكان في المشرق أو في المغرب، في الشمال أم في الجنوب، هو قوم واحد لا تجعل منه الأرض المجزأة إلى أقطار متعددة أقواماً مختلفين، ونعني بالقوم، غير الأسرة طبعاً، وغير العائلة والعشيرة والقبيلة والشعب، نعني بالقوم مجموعة الأمة، ونفهم بأكثرية هذا القوم عندنا في الوطن العربي الكبير جماعات الفلاحين والعمال والصانعين». وبناء على هذا الشرح وتعريفه للقومية الذي سبق أن ذكرته، تقول التل: «واللافت للنظر في هذا التعريف عدم الخلط بين القومية، كشعور وروابط، وبين الأمة، كعوامل ومكونات». و«أنه يحاول إضفاء بعد اقتصادي اجتماعي عليه، وذلك بذكر أغلبية الوطن العربي المكونة من العاملين في حقوق مختلفة»[٤٨٨].

---

(٤٨٦) طربين، الوحدة العربية في تاريخ المشرق المعاصر، ١٨٠٠-١٩٥٨، ص ٢٣١.

(٤٨٧) محمد شيا، علي ناصر الدين: صفحات من الفكر القومي العربي، قدم له سامي مكارم (بيروت: دار صادر، ١٩٩٣)، ص ٢٢، ٢٤ و٣٥.

(٤٨٨) سهير سلطي التل، حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية، سلسلة الثقافة القومية؛ ٣١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٦)، ص ٦٩-٧٠.

ومحمد كامل ضاهر يشير إلى ميزة أخرى هامة لها، فيقول: «وعلى الرغم من عدائها المطلق للاستعمار الغربي فإن هذا العداء لم يدفع رجالات العصبة إلى مقاطعة الغرب والانكفاء إلى الماضي وتراثه للتقوقع فيه كما فعلت الحركات السياسية الإسلامية، بل ميزت بين ما هو استعماري وسياسي واقتصادي في تجربة الغرب الحضارية، وبين ما هو علمي وثقافي وتكنولوجي في هذه التجربة، ودعت إلى الاستفادة منها...»(٤٨٩).

كما نوّهت جرائد تلك الفترة بنشأتها. فجريدة **صوت الأحرار** اعتبرت مؤتمر العصبة بأنه مؤتمر عربي استقلالي «بكل ما في كلمة استقلال من عقيدة وإلحاح وجهاد وصراحة»(٤٩٠).

وكتبت جريدة **الشعب** تقول: «وقد كان لظهورها في ميدان العمل المنتج الوقع الحسن في نفوس هذه الأمة وصفقت لهذه العصبة القوية في رجالها الذين توفرت فيهم كافة الشروط التي تؤهلهم لأن يكونوا في مقدمة الجماعات العاملة في الميدان السياسي القائم على المصلحة العامة والنفع العام. ولا يجدنا القارئ مبالغين إذا قلنا إن البلاد السورية ومن ورائها المناطق المجاورة وضعت ثقتها التامة في هذه الهيئة الصالحة التي نعتد بوجودها ونفتخر برجالها وجلهم من أنبه الشباب وأوفرهم ذكاء وأوسعهم علماً وأكثرهم تفوقاً واختصاصاً في علم السياسة والاقتدار فلا تفوتهم بادرة دون أن يعرفوا كنهها والمراد منها ولا يألون جهداً في متابعة العمل في ميدان الجهاد القومي»(٤٩١).

إن ما أشارت إليه المراجع عن تميُّز نشأة العصبة، إضافة إلى ما سبق وأوضحته عن تكوينها، دلَّ على أن فكرة إنشاء دولة عربية موحَّدة على أسس قومية كانت ما تزال مطلباً وطنياً قومياً عربياً، وأن الروح الاستقلالية كانت تنبض بحرارة في صدور الوطنيين رغم التجزئة والقمع والإحباطات التي حدثت في تلك المدة، وأن في الشعب العربي من هو قادر على بناء دولة وتطوير أوضاعها على أُسس علمية موضوعية وبما يؤدِّي إلى تقدُّم مجتمعها وازدهارها، دون تمييز أو انتقاص من حقوق أحد من أبنائها، ودون حماية أو إرشاد.

وتميَّزت في تكوينها اللاطائفي واللاقطري، الذي دلَّ على أن العمل الوطني في

---

(٤٨٩) محمد كامل ضاهر، **الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر** (بيروت: دار البيروني، ١٩٩٤).

(٤٩٠) **صوت الاحرار**: ٣/٩/١٩٣٣، و٤/٩/١٩٣٣، ص ١.

(٤٩١) **الشعب**، ٣١/٨/١٩٣٣، ص ١.

سبيل تحقيق الأماني الوطنية والقومية لم يكن حكراً على طائفة أو مذهب. ومطلب الاستقلال هو مطلب شعبي وطني لا طائفي. والقومية العربية لا تفرّق بين الأقاليم والأقطار والمناطق والطوائف والمذاهب، إنما تجمع بينها لتحقّق كبريات آمالها السياسية والاجتماعية الوطنية.

كما تميّزت بالمنهج الذي اعتمدته، الرافض لأي شكل من أشكال التعاطي والتعاون مع سلطات الانتداب، من أجل عزلهم وعدم إعطاء صفة شرعية لدورهم، ولتزكية العمل في سبيل القضية العربية. وكانت العصبة أوّل الأحزاب العربية التي تخلّت عن العفوية والتقليد في الجهاد الوطني والقومي العربي وأطلقته على أسس ثابتة. وأوّل منْ ساوى بين الاستعمار وفاعل الإجرام، لان الاستعمار غايته استعباد وقهر واستغلال الشعوب، وإبعادها عن الحضارة والتقدُّم وعما كانت قد حقّقته في هذا المضمار، وإغراقها في غياهب الجهل والفقر والتخلُّف. وهذه كلُّها أُمور تجعل الشعوب تعيش حياة مبتورة وشبه معدومة. ولهذا فالذي يجاهد من أجل الاستقلال كالذي يدافع عن حقّه في الحياة، وفي أن يعيش حياة كريمة وحرّة وهنيئة وسعيدة. فعمل كهذا هو حق طبيعي للإنسان، معذور التصرف فيه ومشكور عليه، ولا يستطيع أحد أن ينكره عليه. وبذلك تكون العصبة أوّل حزب عربي أعطى العمل في سبيل التحرُّر والاستقلال بعداً إنسانياً حقوقياً مشجِّعاً للجماهير للإقدام عليه، وفي الوقت ذاته معيباً ومشيناً للذين يعيقون أو يمنعون القيام به. وهي أوّل منْ طرح علمنة الدولة في البلاد العربية بفم ملآن، مميِّزة بين الدين والقومية دون أي التباس، وعلى قاعدة عدم التنكُّر للأديان وشعائرها وحرية ممارستها والاعتقاد بها، إنما تجاوز للطائفية والمذهبية في العمل الوطني وفي بناء الدولة وتقدُّم مجتمعها، على أن لا يفهم من العلمانية هيمنة أو نفوذ الأكثرية على الأقلية وتذرعاً بها، لأن هكذا مفهوم يؤدّي إلى هضم للحقوق وانطواء للأقلّيات. وهذا ما لم تكن تقصده أو تريده العصبة، إنما بالتساوي في الحقوق والواجبات والتفاعل الإيجابي بين جميع الفئات على مختلف المستويات وعلى قاعدة القومية العربية.

وإذا كانت العصبة ليست أوّل منْ لحظ الفوارق بين البلدان العربية، إلا أنها أوّل منْ أقرّ برنامجاً يراعي ما هو خاص في كل بلد منها حين توحيدها، وذلك لحيثيّات موضوعية تعود إلى الظروف التي مرَّت بها البلاد العربية، والتي أدّت إلى ظهور ما يميِّز بلدانها عن بعضها رغم ما هو عام أو مشترك بينها. ولهذا أقرّت توحيدها مع مراعاة تميُّز وتطوُّر كل بلد واستعداده للوحدة، من أجل أن لا تتعارض المصلحة القومية العليا مع المصلحة الوطنية الخاصة في كل بلد. واشترطت أن لا يخرج البرنامج الخاص بهذا القطر أو ذاك عن جوهر البرنامج القومي العام، وأن لا

تؤدّي هذه المراعاة بأي بلد إلى أن يعيق استقلال ووحدة غيره من البلدان المستعدّة لها، كي لا تطغى المصالح الخاصة بالأقطار على المصلحة القومية العليا، وتصبح البلاد العربية بدون قضية قومية.

ووفق ذلك تكون العصبة قد تميّزت عن غيرها بنظرتها الواقعية للبلاد العربية التي تلحظ العام والخاص فيها، وتراعي ما هو خاص في كل بلد منها، بحسب ظروفه وعلى قاعدة ما سبق وذكرته، لما في ذلك من مصلحة لجميع بلدانها حين تحقيق الوحدة.

وهي أيضاً أوّل تنظيم ميّز بين الجامعة العربية من جهة، والجامعة الإسلامية والقضية الشرقية من جهة أخرى. فرأت أن الجامعة الإسلامية ليست قضية عربية لأن ليس المسلمون العرب وحدهم معنيين بإنشاء هذه الجامعة وأهدافها، إنما جميع المسلمين في كافة أنحاء العالم. والجامعة العربية ليست قضية إسلامية، لأن هناك الكثير من شعوب العالم التي تدين بالإسلام ولكل شعب من هذه الشعوب قضيته الوطنية والقومية الخاصة به، والتي تختلف عن القضية العربية. فالجامعة العربية هي جزء من القضية العربية التي هي قضية سياسية قومية، الكثير من أبناء البلاد العربية، من مختلف الطوائف والمذاهب، يعملون لتحقيقها لأنها قضيتهم القومية. كما أن إعطاء القضية العربية بُعداً دينياً ما، سيؤدّي إلى خدمة أهداف الاستعمار، لأن في هذا المنحى لها ستعتبر هذه الطائفة أو تلك غير معنية بها، مما يعيق الجهاد في سبيلها ولن تجد تأييداً واسعاً لها على المستوى العالمي.

والقضية الشرقية هي مسألة متعدّدة القضايا لا علاقة قومية للقضية العربية بها. فللعرب لغة وثقافة وعادات وتقاليد وأمانٍ تختلف عن حضارة وأماني غيرهم من شعوب وأُمم الشرق. وفي بلاد الشرق دول مستقلة وسيّدة وموحّدة وليس لها قضية تناضل من أجلها مثل الأمة العربية، والبلاد العربية أقرب جغرافياً إلى الغرب وأكثر تأثُراً به من الشرق. ولهذا رأت العصبة أن العرب وحدهم معنيون بقضيتهم وبإرسالها في العالم كقضية مستقلة وإحدى قضاياه الكبرى.

إن قيام العصبة بتمييز القضية العربية عن غيرها من المسائل والقضايا وطرحها كقضية مستقلة، يدل على أنه كانت تجري محاولات في تلك الحقبة لتمييع القضية العربية وإفراغها من مضمونها، كي يصبح العرب بدون قضية قومية، أو على الأقل لتفريق صفوفهم وعرقلة جهادهم في سبيلها.

كما أن انعقاد المؤتمر التأسيسي للعصبة على الأرض العربية وليس بعيداً عنها، في جبل لبنان وبشكل سرّي، رغم الظروف الأمنية غير المؤاتية لعقد هكذا مؤتمر

خطير[٤٩٢]، دلّ على حرص المؤتمرين على إنجاح انعقاده وإنهائه بتأسيس العصبة كإطار منظّم للجهاد على الصعيد القومي العربي، وأنهم كانوا مصمّمين على البقاء إلى جانب شعبهم وفي طليعة المجاهدين، كي يكون لهم دور فاعل في الأحداث والنشاطات السياسية على الساحة العربية.

ولعلّ أوضاع المؤسّسين وما جاء في بيان المؤتمر التأسيسي أمور تدعم ما أشرت إليه. فالمؤسّسون، حسب ما يتبينّ من ترجمتي لعدد غير قليل منهم، ومجيء غير اللبنانيين منهم إلى لبنان، فإن جميعهم كانت أوضاعهم المادية تسمح لهم بالذهاب إلى خارج البلاد العربية لعقد مؤتمرهم التأسيسي. أما البيان، فقد جاء فيه: «إما أن الخصم شديد وإما أنه عنيد فالأمم إن شاءت أشد وأعند... ولن يمل العرب الكفاح في سبيل ذلك ما تعاقبت الأجيال وحسبهم أن يحرموا خصمهم الاستقرار»[٤٩٣].

لقد دلّ جميع ما أوضحته على تحوُّل في حركة التحرُّر العربية بظهور اتجاه جديد فيها ممثَّلاً بالعصبة، ساعية إلى رأب الصدع بين العرب، ووضع القضية العربية في إطارها الصحيح، وإيقاظ الأمة العربية من سباتها وبعثها من جديد استناداً إلى تراثها القومي، وبالانسجام مع المفاهيم العصرية التي تخدم قضيتها توصُّلاً إلى الأهداف الميمونة.

وهكذا فإن العصبة في نشأتها أرست السبق في هذا وذاك من المسائل الوطنية والقومية، فكان لها الفضل في توضيح وبلورة الفكرة القومية العربية، وردَّت الاعتبار والنشاط لحركة التحرُّر العربية في تلك الآونة، وأصبحت سنداً أو مرجعاً لإثبات حقيقة بعض الأوضاع والمسائل العربية.

خامساً: مناقشة

لقد نشأت العصبة في ظل ظروف تميَّزت بتراجع حركة التحرُّر على الساحة العربية، وظهور توازنات بين الدول المتنافسة على المستوى الدولي. وعلى قاعدة دراستها للظروف العربية في مختلف جوانبها، انطلقت جادة لبعث القضية العربية، واستنهاض الجهاد في سبيلها بعد أن اعتراه التلبد والشلل، مستفيدة من التجارب السابقة لها ومعرفتها في مضمار النضال، ومن الظروف العالمية المساعدة على التحرُّر في بعض جوانبها.

(٤٩٢) صوت الاحرار: ٣/ ٩/ ١٩٣٣، و٤/ ٩/ ١٩٣٣، ص ١.

(٤٩٣) بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي المنعقد في قرنايل في ٢٤ أغسطس ١٩٣٣، ص ٨.

ورأت في دراستها لظروف البلاد العربية أنها تتميّز بتخلّف وتفكُّك على الصعيد الاجتماعي، وتراجع في الإنتاج على الصعيد الاقتصادي، وظلال في المعيار الوطني وانحدار في الأهداف القومية على الصعيد السياسي، وشلل في الحركة الوطنية على الصعيد النضالي. واعتبرت أن للاستعمار ووسائله دوراً أساسياً في ما وصلت إليه أوضاع البلاد العربية، وفي نمو الحركة الصهيونية، وفي قيام حكومات مؤتمرة بأوامر سلطاته وتعمل لخدمة أغراضه. وعلى أثر تلك التطوُّرات، ظهرت تدريجياً مصالح خاصة على أكثر من صعيد في كل قطر، وانقسامات في الصف العربي أضعفت قوّته، وسهّلت على المستعمرين تنفيذ سياساتهم الاستعمارية، وأفضت جميع تلك الأوضاع والتطوُّرات وانشغال العرب في سياسات محلّية إلى تفكُّك القضية العربية إلى أجزاء، كالقضية السورية وأحوال شبه الجزيرة العربية ومسألة فلسطين وغيرها.

ورأت أن الانتداب هو استعمار حديث تاجر في طبيعته، يختلف عن الاستعمار القديم في الشكل ويتقاطع معه في الجوهر، والغاية منه استعمار البلاد العربية بحجة الإرشاد لمنع تحرُّرها وتوحُّدها، واستغلال ثرواتها، وتشويه معالمها الحضارية، وإخضاعها نهائياً وأبداً للمستعمرين، واتخاذها موقعاً استراتيجياً لهم لاستعمار مناطق أُخرى في العالم وحماية طرق مواصلاتهم. ولهذا فإن مهادنة الانتداب أملاً في تحقيق المطالب الوطنية أو القومية لن تؤدّي إلى المرجو منها، إنما إلى الإذعان له، لأن سلطاته ستستغل المهادنة لها وتعمل وفق نهجها الاستعماري لتثبيت قدم المستعمرين وتحقيق أهدافهم.

وبعد دراستها للظروف العامة في البلاد العربية، حدّدت أهدافها ووسائلها استناداً إلى تطلّعات العرب في تحقيق أمانيهم الوطنية والقومية على مختلف الصُعد.

وكان من البديهي أن تكون أُولى أهدافها تحقيق الاستقلال التام والوحدة العربية الشاملة، لأنها تمثل التيار القومي العربي الرافض للانتداب وما نتج عنه، لكن الملاحظ أنها أقرّت أن تحقيق أي هدف منهما هو شرط لتحقيق الآخر، وشرحت ما تعنيه بالسيادة والاستقلال. فهل فعلت ذلك لتقدّم برهاناً على حق البلدان العربية في استقلالها وأهمية تحقيق وحدتها فقط؟

إن التمعُّن بما شرحته يظهر أن ما دفع بها إلى هذا الاشتراط والشرح ليس الحق المذكور وأهمية الوحدة وحسب، إنما المنحى السياسي للهيئات الوطنية الفاعلة في تلك الفترة دفع بها أيضاً إلى التشديد على تحقيق الاستقلال والوحدة العربية كما عنت بهما.

فبالعودة إلى تلك الظروف، يتبيّنُ أن الكثير من الفاعليات والأحزاب الاستقلالية أو الوحدوية، كان عملها من أجل الاستقلال أو الوحدة يتم على قاعدة

مراعاة مصالح المستعمرين، أو المهادنة لهم، أو عقد المعاهدات معهم التي تضمن تحقيق هذه الأهداف، وذلك في ظل ظروف تسمح للمستعمرين بفرض شروطهم التي لا تؤدّي إلى تحقيق أي هدف بشكل تام أو ناجز، هذا إن استجابوا لهذا المطلب الوطني أو ذاك.

ولهذا فالعصبة في تشديدها على تحقيق الاستقلال والسيادة وفق مفهومها لهما، ردَّت بالرفض لأي استقلال غير تام أو يعيق تحقيق الأهداف القومية. وفي ربطها بين الوحدة والاستقلال الناجز، ردَّت بالرفض لأي شكل من أشكال الوحدة تحفظ للمستعمرين امتيازات أو حقوقاً ولا تؤدِّي إلى الاستقلال والسيادة المطلقين. ووفق هذا المفهوم للاستقلال والسيادة والوحدة العربية، تكون قد أعادت طرح هذه الأهداف بحزم ودون أي انتقاص في ما يعنيه الظفر بهم.

أما على صعيد الأهداف الأُخرى، فلقد سعت إلى تطبيق سياسة اقتصادية قومية في البلاد العربية، مستفيدة من المذاهب الاقتصادية العالمية بما يخدم مصلحة العرب الاقتصادية، ويبقي اقتصاد الدولة العربية مستقلاً غير تابع لاقتصاد أي دولة أجنبية، وعلى أن تؤدِّي هذه السياسة الاقتصادية إلى ثورة صناعية وزراعية تغمر الأُمة العربية بالخير والازدهار. وهدفت أيضاً إلى تحسين جذري في جميع الأوضاع الاجتماعية للفئات الشعبية، والقيام بنهضة ثقافية علمية تبعث الماضي العربي بتراثه القومي المجيد، وتؤدِّي إلى إنتاج معارف علمية جديدة، وتعزيز الروابط القومية، وتنمية الشخصية العربية.

وربطت بين أهدافها العليا والأهداف الأُخرى لها لأسباب سبق أن أوضحتها. وفي ربطها بين أهدافها، مع مراعاتها للظروف الخاصة بكل بلد عربي ومدى استعداده أو تقبُّله للبرنامج القومي العام، تكون قد لحظت الشروط الأساسية لقيام دولة عربية موحَّدة حسب الأماني والمشاعر الشعبية الوطنية والقومية، دولة قادرة على الاستمرار لا تنخرها تناقضات داخلية حادة تؤدِّي إلى تفكُّكها واندثارها قبل أن يتصلَّب عودها، أو أمام أوّل تحدٍّ لها.

وحسب ما حدَّدت العصبة حدود البلاد العربية، ومجمل أهدافها، فإنها هدفت إلى إنشاء دولة عربية كبرى موحَّدة، مستقلة وسيِّدة وعلمانية وديمقراطية ومنتجة ومزدهرة وقوية ومنفتحة على الحضارة العالمية، لحمتها القومية العربية، ومبادئها الكفاءة والعدالة والتساوي في الحقوق والواجبات، تعمل على محو التخلف ووصل ما انقطع بين الماضي والحاضر العربي، واستنهاض الأمة العربية كي تصبح في مستوى الأُمم المتقدِّمة دون تبعية لأي دولة.

إلا أن هذا الهدف الاستراتيجي لها بإنشاء دولة عربية عصرية كما أوضحت، كان من غير الممكن إنجازه قبل أن تحقّق أهدافها الأوّلية بالاستقلال المطلق والوحدة العربية، إضافة إلى إفشال مشروع الحركة الصهيونية في فلسطين.

ولذلك ربطت العصبة بين أهدافها العليا والوسائل التي يجب أن تعتمدها لتحقيقها. فأعطت أهمّية للتنظيم ولطبيعته، مقرّة إنشاء تنظيم شعبي يستطيع القيام بأعباء العمل الوطني والكفاح في سبيل تحقيق هذه الأهداف، معتمدة الكثير من الوسائل حسب ما تتطلّبه تلك الظروف من مهام وأعمال تؤدّي إلى إعطاء زخم للعمل الوطني والقومي، وتزكيته ورفده من أجل مقاومة المستعمرين ونيل الأهداف والأماني المنشودة، مشدّدة على ضرورة التزام أعضائها في سوريا بنهج نضالي واضح الغايات وحازم الخطوات في مواجهة سلطات الانتداب، نظراً لما كانت معرَّضة له القضية السورية من أخطار محدقة بها، تهدّد وحدة أراضي سوريا وكيانها الوطني وامتدادها القومي، ولما لسوريا من أهمية في المساعدة على تحقيق أهداف القضية العربية.

وربطت أيضاً بين أهدافها وشعارها وعلمها، فلأن الاستقلال والسيادة هما حق للأُمم، رفعت شعاراً بأنها لا تعمل إلا للحق، واستلهمت من التراث القومي العربي رمزاً للوحدة العربية، فرفعت علماً يعبِّر عن مجد الأُمة العربية ووحدة بلادها.

وتطرّقت العصبة إلى مسائل هامة تتعلق بالنوازع والبوادر الاجتماعية السياسية في المجتمعات، وذلك في مقاربتها للظواهر الاجتماعية البارزة في المجتمع العربي، فلحظتها كعوامل ذات تأثيرات كبيرة في الواقع السياسي السائد وآفاقه الوطنية. فبيَّنت العوامل المساعدة والمحفِّزة للعمل الوطني، داعية العرب للتعلق بها والإحاطة فيها، لأنها تقوّي التضامن الاجتماعي السياسي في مواجهة المحتل. كما بيَّنت عوامل الضعف في المجتمع العربي، والتي بادر المستعمرون إلى تزكيتها، أو خلق المزيد منها وتعميمها في شتى الأقطار العربية، من أجل تفكيك وهدم القيم والعلاقات والروابط الاجتماعية والسياسية، لكن ليس بهدف استبدالها بالأفضل منها وفق سيرورة التطور الاجتماعي، المبني على تطور في الإنتاج وعلاقات الإنتاج الاجتماعية وتقدم الوعي والثقافة والنظام العام، إنما بهدف إفساد المجتمع العربي وخلخلت وصائله، وحلحلت تماسكه، وتشويه مقوِّماته، وتفتيت مكوِّناته، وتفسيخ تقاربه، ونزع ركائزه، واستبعاد وحدته. وذلك كي يسهل على المحتلين تحقيق مآربهم السياسية وغاياتهم النفعية الأُخرى.

وردّت العصبة على تلك الخطط والتوجهات للمستعمرين بفضحها وإظهار

عوامل القوة الكامنة في البلاد العربية، والتي تجعلها أكثر قدرة من غيرها على الانبعاث والتحرُّر إن استفاقت شعوبها ونهضت في سبيل ذلك. كما ردَّت على أساليب عمل المستعمرين بإشهار المقاطعة التامة لهم، وإعلان المعارضة الحازمة لخططهم، وعلى المهادنة لسلطاتهم بإيقاظ الروح الوطنية ومقاومتهم، واقفة على طرف نقيض لسياسة المساومة والتفرقة التي اعتمدتها بعض الهيئات والزعامات، معبِّرة عن أصالة الروح الوطنية والقومية، وإمكانية العرب في النهوض والانبعاث لبناء كيانهم القومي، واضعة البنود الأساسية والخطوط العريضة لبرنامج قومي عربي، للعمل وفقه أثناء الانتداب بما ينسجم مع الأهداف الأوَّلية للقضية العربية وإبقائها قضية واحدة ملتهبة، مع إمكانية العمل وفق جوهره أثناء استقلال أي بلد عربي أو جميع البلدان العربية بعد إجراء تعديلات عليه حسب التغيرات المستجدَّة والظروف التي ستعقب الاستقلال. وذلك من أجل إنشاء دولة عربية كما أوضحت.

واستندت في تأسيسها لبرنامجها، أو لمشروع إنشاء دولة عربية موحَّدة، على دراسة لماضي وحاضر البلاد العربية في ذلك الحين، وحاجاتها المستقبلية، والأُسس التي يجب أن تُبنى عليها. فقطعت مع الماضي والحاضر حين يجب القطع، وكمَّلت بهما حين يجب الاستمرار، في سبيل مستقبل ليس منقطعاً عن الماضي، ولا سلفياً في شكله وجوهره، ولا مرتهناً للقادم.

فقطعت مع الماضي اللاعقلاني والعفوي وكافة أنواع وأشكال تخلُّفه وعواملها وأسبابها، واستمرت معه في سلطانه وحضارته القومية العربية التي ساهمت في تقدُّم حضارة ونهضة بعض شعوب ودول العالم. وقطعت مع الحاضر الذي يؤسِّس على الوافد ويقطع كلياً مع الماضي، واستمرت معه في علاقاته مع الماضي المشرق، وفي ما حمله من معارف علمية جديدة متقدِّمة وجوانب حضارية جيِّدة سبقت أُمم العالم فيها الأُمة العربية.

فلإنشاء دولة لا بد من إنشاء أسس لها. فإن أُسِّست على الماضي بجميع جوانبه دون أن تلحظ أو تأخذ بالحاضر المتقدِّم، وبما ينسجم مع روح العصر وحاجاتها للتطور، تكون دولة سلفية، أو على الأقل دولة غير عصرية وغير قادرة على النهوض كي تصبح في مصاف الدول المتقدِّمة. وإن أُسِّست على الوافد قاطعة كلياً مع الماضي، تكون دولة متغرِّبة يعتريها التناقض بين الحديث الفوقي والقديم التحتي، أو على الأقل ستكون دائماً متأثِّرة بالوافد وعرضة لمتغيِّراته وغير قادرة على تحقيق شخصية مستقلة لها.

أما إذا أُسّست على أسس عميقة في صلابتها، متجذرة في تراثها، متفاعلة إيجابياً مع الحضارة العالمية، وعلى قاعدة الربط بين الماضي العميق الأصيل والحديث الخيِّر، وبين الفوقي والتحتي، فتكون دولة عصرية قادرة على بعث التراث القومي العربي، واستنهاض الأُمة العربية من سباتها وتطويرها باتجاه تحقُّق فيه السبق، والحفاظ على هوية مستقلة لها، والمساهمة بفاعلية في الحضارة العالمية لتحقيق الخير والازدهار لها ولغيرها من الأُمم. وهذا ما كانت تهدف إليه العصبة.

الفصل الثالث

دور العصبة

قبل أن أتطرَّق إلى دور العصبة سأوضِّح طريقة عرضي له، كما سأُبيِّن أبرز التطوُّرات السياسية التي عايشتها العصبة حتى عام ١٩٣٩ في سوريا ولبنان إضافة إلى فلسطين، نظراً لعلاقة مواقفها في لبنان وسوريا بالأحداث التي شهدتها الساحة الفلسطينية خلال تلك المدة.

فطريقة عرضي لدورها ستكون وفق تتابع تاريخي له منذ أن تأسَّست حتى عام ١٩٣٩، لأن نشاطها توقَّف في العام المذكور، ثم حدثت تغيُّرات في أوضاعها التنظيمية، وذلك لأسباب سأوضِّحها في حينها.

أما أبرز التطوُّرات السياسية في البلدان المذكورة آنفاً فهي:

١- توقيع حكومة حقي العظم في دمشق على معاهدة مع المفوَّض السامي، بونسو، في نيسان/أبريل ١٩٣٣[١]، تنص على إشراف فرنسا لمدة ٤٠ عاماً على تنظيم شؤون الدرك والجيش ودوائر الحكومة، وتمثيل سوريا في الشؤون الخارجية، وبقاء الانتداب عليها إلى أن تقبل في عصبة الأُمم[٢]، ولا تتضمَّن الاعتراف بالوحدة السورية[٣].

٢- عُقدت في الثلاثينيات عدَّة مؤتمرات وحدوية، منها: مؤتمر دمشق الذي عقد في منزل فارس الخوري في ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٣[٤]، ومؤتمر الساحل الذي عقد في بيروت في منزل سليم علي سلام في ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٣[٥] وكان أهمُّها وآخرها مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة عام ١٩٣٦

(١) محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات، ٦ ج في ٤ (صيدا: المطبعة العصرية، ١٩٥٠-١٩٥١)، ص ٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٧.

(٣) سعيد مراد، الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤ - ١٩٤٦، دراسات الفكر العربي، ٣ مج (بيروت: معهد الانماء العربي، [١٩٨٦])، ص ٢١٧.

(٤) مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦، تقديم ودراسة حسان علي حلاق (بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨٣)، ص ٢٣.

(٥) مراد، المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

الذي عقد في بيروت[٦].

٣- استمرار فرنسا وبريطانيا في سياسة التجزئة، حيث أقدمت سلطات الانتداب الفرنسي على تشجيع الحركات الانفصالية في سوريا[٧] وبمساعدة بريطانيا تآمرت فرنسا مع تركيا في عام ١٩٣٧ على سلخ لواء الاسكندرون عن سوريا[٨]، ثم ضمَّته تركيا إليها عام ١٩٣٨[٩] وفي ٧ تموز/يوليو ١٩٣٧ أعلن المندوب السامي البريطاني في فلسطين، آرثر واكهوب، تقرير اللجنة الملكية بتقسيم فلسطين وإقامة الدولة اليهودية على جزء واسع من أراضيها[١٠].

٤- في منتصف الثلاثينيات تدهورت الأوضاع الاقتصادية وساءت الحالة الإدارية في لبنان وسوريا. فعمَّت فيهما الإضرابات وأقفلت الأسواق في ٢ أيار/مايو ١٩٣٥ في بيروت ودمشق احتجاجاً على ذلك[١١]. وعارض البطريرك أنطوان عريضة مشروع المفوَّض السامي، دي مارتيل، الذي منح احتكار التبغ إلى شركة فرنسية في ٣٠/ ١/ ١٩٣٥، ودعم انتفاضة بنت جبيل التي امتدَّت إلى جميع أنحاء الجنوب اللبناني في عام ١٩٣٦[١٢] وفي أوَّل نيسان/أبريل ١٩٣٦، قمعت الحكومة اللبنانية هذه الانتفاضة بعد أن تداخلت القضيَّتان الوطنية والاجتماعية، أي الوحدة السورية ومشروع احتكار زراعة التبغ[١٣].

٥ - ذكرت سابقاً أن في عام ١٩٣٦ أُبرمت معاهدتان سورية - فرنسية ولبنانية - فرنسية، وأن فرنسا لم تصادق عليهما ولم تبصرا النور.

٦- بعد منتصف الثلاثينيات نما تيَّار التسوية الذي تألَّف من القوى الإسلامية التي أجَّلت المطالبة بالوحدة، والقوى المسيحية التي رفضت أن يبقى لبنان خاضعاً

---

(٦) مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦ : مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦، ص ٣٤.

(٧) دروزة، حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات، ص ٥٦- ٥٧ و٦٥.

(٨) عادل أرسلان، مذكرات الأمير عادل أرسلان، ١٩٣٤- ١٩٥٣، تحقيق يوسف إيبش، ٣ ج (بيروت: الدار التقدمية، ١٩٨٣)، ص ١٦٥.

(٩) يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٨٣)، ص ٢٨٤.

(١٠) أكرم زعيتر، يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥- ١٩٣٩، سلسلة الدراسات؛ ٥٥ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٠)، ص ٢٩٤- ٢٩٥ و٣٣٨.

(١١) عادل الصلح، حزب الاستقلال الجمهوري: من المقاومة الوطنية أيام الانتداب الفرنسي (بيروت: دار الطليعة، [١٩٧٠])، ص ١١٦.

(١٢) مراد، الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤- ١٩٤٦، ص ٢٣١ و٣٣٢.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٨.

للانتداب، فالتقى الطرفان على قاعدة لبنان المستقل[١٤].

٧- ازدياد عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين وارتفاع عددهم من ٩٥٥٣ عام ١٩٣٢[١٥] إلى ٦٢٠٠٠ عام ١٩٣٥[١٦] وفي هذا العام الأخير أصبحوا يملكون فيها ٦٧٠٠٠ دونم[١٧]. وفي ١٥ أيار/ مايو ١٩٣٦ بدأت الثورة على سلطات الانتداب في فلسطين، وتوقفت في ١٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٣٦ بقرار صدر عن اللجنة العربية بعد استشارتها لمندوبي اللجان القومية، وموافقتهم على تلبية نداء الملوك والأمراء العرب الذين تعهَّدوا بالعمل من أجلها. وفي ٢٦ أيلول/ سبتمبر ١٩٣٧ أُطلقت النار على حاكم لواء الجليل الإنكليزي، المستر أندروز، فقتل هو وحارسه. وعلى أثر ذلك، شنَّت سلطات الانتداب حملة اعتقالات واسعة طالت رجال الحركة الوطنية وقضاة الشرع في فلسطين، وحلَّت اللجنة العربية العليا واللجان القومية وأبعدتهم إلى سيشل، فأضربت البلاد، ثم بدأت الثورة بتدمير المخافر العسكرية والبوليسية وتفجير أنابيب البترول وتقطيع أسلاك التليفون ونسف الجسور والقطارات والسكك الحديدية، وتوزع رجال المقاومة في جميع أنحاء فلسطين. واستمرت الثورة حتى آخر عام ١٩٣٨[١٨].

٨- اندلاع الحرب العالمية الثانية في أيلول/ سبتمبر ١٩٣٩[١٩] ومع بدايتها أمر المفوَّض السامي، غبريال بيو، بملاحقة بعض الأحزاب في لبنان وسوريا واعتقال قياداتها[٢٠]. وفي ٢٢ حزيران/ يونيو ١٩٤٠ سيطرت ألمانيا النازية على فرنسا[٢١]، فتشكَّلت حكومة في هذه الدولة الأخيرة هي حكومة فيشي بقيادة الماريشال بيتان الموالية لألمانيا[٢٢]. وكان لهذا الحدث انعكاسات مهمة على الساحتين اللبنانية

(١٤) فارس أشتي، الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩ - ١٩٧٥، ٣ مج (المختارة، لبنان: الدار التقدمية، ١٩٨٩)، ص ١١٨.

(١٥) فائق حمدي طهبوب، الحركة العمالية والنقابية في فلسطين، ١٩٢٠ - ١٩٤٨ (الكويت: شركة كاظمة، ١٩٨٢)، ص ٩٣.

(١٦) أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية ([القاهرة]: دار المعارف، ١٩٥٥)، ص ٩٥.

(١٧) المصدر نفسه، ص ٩٥.

(١٨) المصدر نفسه، ص ١٠٠، ١٠٣- ١٠٤، ١١٩ و١٢٣- ١٢٤.

(١٩) مراد، الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤- ١٩٤٦، ص ٢٨٦.

(٢٠) ستيفن همسلي لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ترجمة بيار عقل (بيروت: دار الحقيقة، ١٩٧٨)، ص ٣٦٦- ٣٦٧.

(٢١) حسان حلاق، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، ١٩١٣- ١٩٤٣: من جمعية بيروت الإصلاحية إلى الميثاق الوطني (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٥)، ص ١٩٠.

(٢٢) سامي الصلح، أحتكم إلى التاريخ، سجل الوقائع وجمعها سليم واكيم (بيروت: دار النهار، ١٩٧٠)، ص ٤٧.

والسورية، حيث عيَّنت حكومة فيشي الجنرال دانتز مفوَّضاً سامياً بدلاً من بيو، وأصبح هذان البلدان تابعين للحكومة الفرنسية الموالية لألمانيا. وعلى أثر خروج قوات هذه الحكومة من لبنان وسوريا، أعلن الجنرال كاترو[٢٣] استقلال سوريا رسمياً في ٢٧ أيلول/ سبتمبر ١٩٤١، واستقلال لبنان في ٢٦ تشرين الثاني/ نوفمبر من العام نفسه[٢٤]، لكن هذا الاستقلال لم يصبح واقعاً فعلياً إلا في أواخر عام ١٩٤٣، حين زال الانتداب وأصبح كل من لبنان وسوريا دولة مستقلة[٢٥].

وبعد أن أوضحت أبرز التطوُّرات التي عايشتها العصبة في لبنان وسوريا وفلسطين، سأتطرَّق الآن إلى دورها، ثم سأُناقشه وفق التقسيم التالي:

أوَّلاً: دور العصبة حتى عام ١٩٣٩

١ - مواقفها ونشاطاتها

لم تتأخر العصبة في التفاعل مع الأوضاع السياسية، فسرعان ما كان لها مواقفها وتأثيرها فيها.

أ - مواقفها ونشاطاتها عام ١٩٣٣

(١) موقفها من الحركة الآشورية في العراق

حاول الآشوريون في العراق إثارة الفتن بهدف الانفصال، لكن حكومة العراق نكَّلت بهم[٢٦].

أيَّدت العصبة القضاء على هذه الحركة، وعلى كل فتنة تمس سيادة العراق، في رسالة بعثها باسمها عبد الرزاق الدندشي من مركزها في دمشق إلى الملك فيصل الأوَّل بتاريخ ٣١ آب/ أغسطس ١٩٣٣، وجاء فيها: «يا صاحب الجلالة الملك فيصل الأول. بحث المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي القضية التيسارية[*] وتبين له يد المستعمرين في إيقاظ فتنتها وإقدامهم بذلك على خرق حرمة العهود، فقرر أن

---

(٢٣) ممثل الجنرال شارل ديغول الذي كان يتزعم حكومة فرنسا الحرة المعادية لألمانيا والمتَّخذة من لندن مركزاً لنشاطاتها.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ٤٧.

(٢٥) أمين السباعي، الأحزاب اللبنانية في مواجهة ١٩٧٠ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٠)، ص ٧٣.

(٢٦) دروزة، حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات، ص ٥٥- ٥٦.

(*) الحركة الآشورية.

يعلن تأييده للجيش الباسل وتضامنه مع عرب العراق في موقفهم الحازم المشرف للقضاء على كل فتنة يراد بها مس سيادة العراق وتحدي استقلاله، وأن يحيي في نواة الجيش العربي الأكبر بطولته وأن يدعو العرب الخلّص لتأييد شوكته»[٢٧].

(٢) نشاطها عقب وفاة ملك العراق

توفّي ملك العراق، فيصل الأوّل، في ١٠ أيلول/ سبتمبر ١٩٣٣[٢٨]، فنشطت العصبة في احتفالات التكريم التي أقيمت للملك الراحل وفاءً له كقائد للحركة الوحدوية العربية، معلنة عن التزامها بالنهج الوحدوي الذي مثّله، وتأييدها لابنه الملك غازي الأوّل الذي خلفه على عرش العراق.

فبالإضافة إلى ما ذكرته أثناء تعريفي بمؤسّسيها عن مشاركة عدد منهم بالمناسبات التي أقيمت لتكريم الملك الراحل، فإن مركزها في دمشق أوفد الدكتور عبد الكريم العائدي كممثّل للعصبة في تشييعه. وفي بغداد اجتمع العائدي مع الملك غازي الأوّل الذي استقبله «بوجه باش وصدر رحب وأعرب عن اهتمامه بالبلاد السورية وسائر البلدان العربية ولم يضن جلالته على ممثل عصبة العمل القومي بالنصائح الغالية وبعبارات التشجيع وشحذ الهمة للنهوض بالبلاد الى أسمى المراكز»[٢٩].

كما خطب الدكتور سعيد بك الجابي في فندق تايكرس في بغداد أمام الوفود العربية المشاركة في التعزية، معلناً عن التزام العصبة بالسياسة الوحدوية التي انتهجها الملك الراحل[٣٠]. ووضعت العصبة إكليلاً على ضريح الملك، وكان الإكليل الوحيد الذي قُدِّم باسم سوريا[٣١].

وفي سوريا عمل رجالها لعقد «اجتماع شعبي كبير في دمشق لتأييد سياسة الملك فيصل التي كانت تهدف الى توحيد سوريا والعراق ولتأييد الملك غازي الأول للسير على خطى والده»[٣٢].

وفي لبنان خطب علي ناصر الدين في المسجد العمري في بيروت قائلاً: «إن

(٢٧) الشعب (دمشق)، ٦/٩/١٩٣٣، ص ٢.
(٢٨) نجيب الريس، نضال (دمشق: مطبعة القبس، ١٩٣٤)، ص ١٠٢.
(٢٩) الشعب، ٢١/٩/١٩٣٣، ص ٢.
(٣٠) الجامعة العربية (القدس)، ٢٥/٩/١٩٣٣، ص ٢.
(٣١) الشعب، ٢١/٩/١٩٣٣، ص ٢.
(٣٢) الجامعة العربية، ٢٤/٩/١٩٣٣، ص ٣.

موته فاجعة قصمت الظهور وأسرت في نفوس العرب رعشة. مات فيصل لكن العرب لا يموتون. هو بنفسه أمة كاملة»[٣٣]. كما خطب في حفلة التأبين التي أُقيمت للملك الراحل في الأشرفية[٣٤].

ورداً على مشاركتها البارزة في الاحتفالات، وتأييدها للسياسة الوحدوية للملك الراحل، تلقَّت العصبة كتاباً من سكرتير طلاب العرب في باريس «يؤيد فيه باسم طلاب أوروبا موقف العصبة ويؤيدها في أعمالها ومنهاجها السياسي»[٣٥]. وتلقَّت أيضاً كتاباً من النادي العربي في العراق يطلب فيه من العصبة «توحيد كلمة الشباب العربي للعمل المشترك في سبيل وحدة العراق وسوريا»[٣٦].

يتَّضح مما تقدَّم أن العصبة كانت ضد أي محاولة انفصال في البلدان العربية وتؤيِّد التصدِّي للقائمين بها. وذلك على اعتبار أن هكذا أعمال لا مبرِّرات قومية لها. إضافة إلى أنها تشجِّع أصحاب المآرب السياسية غير الوطنية على تكرار مثل هذه الأفعال التي تؤدِّي إلى انقسامات وخلافات وشرذمة في الصف العربي لن يستفيد منها غير المستعمرين. وكانت أيضاً تسعى إلى توحيد العمل السياسي العربي الهادف إلى تحقيق الاستقلال والاتحاد. وأنها في هذه الأهداف التي أقرَّتها، والنهج الذي سارت عليه لتحقيقها، أصبحت موضع أملٍ وثقة لطلاب الاستقلال التام والوحدة العربية، وتلقى تشجيعاً لخطاها من جانب هيئات عربية هامة.

(٣) موقفها من المعاهدة التي وقَّعتها حكومة حقي العظم

عارضت العصبة هذه المعاهدة[٣٧] ودعت إلى حل المجلس النيابي في سوريا لعدم شرعيته باعتباره آلة بيد المستعمرين، وأن كل ما يصدر عنه لا يقيِّد الأمة بشيء، كما دعت إلى مقاطعة الحكومة واعتبرتها أشد خطراً من الاستعمار لأنها تنفِّذ أغراضه.

وكان لموقفها المعارض أثر كبير في الحكومة دفع بوزيريْ الكتلة الوطنية، جميل مردم ومظهر إرسلان، إلى تقديم استقالتيهما[٣٨].

(٣٣) الجامعة العربية، ١٨/ ٩/ ١٩٣٣، ص ٣.

(٣٤) الجامعة العربية، ٢٧/ ٩/ ١٩٣٣، ص ٣.

(٣٥) الجامعة العربية، ٢٤/ ٩/ ١٩٣٣، ص ٣.

(٣٦) الجامعة العربية، ٥/ ١٠/ ١٩٣٣، ص ٤.

(٣٧) أوضحت في بداية هذا الفصل تاريخ هذه المعاهدة ومضمونها. والملاحظ أنها وُقِّعت قبل انعقاد المؤتمر التأسيسي للعصبة بأربعة أشهر.

(٣٨) مصطفى بلاوني، «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣-١٩٣٩،» دراسات تاريخية (لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق) السنة ٧، العددان ٢٣- ٢٤ (أيلول/ سبتمبر- كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦)، ص ١٩٤.

وسقطت المعاهدة المذكورة نتيجة لرفض المجلس النيابي والشعب السوري لها[٣٩].

وهذا يدل على أن العصبة منذ تأسيسها كانت فاعلة ومؤثِّرة في الأوضاع السياسية.

(٤) مشاركتها في المؤتمرات الوحدوية

في ١٤/ ١١/ عقدت القوى الوحدوية مؤتمراً في دمشق في منزل فارس الخوري، حضره مندوبون عن المدن الساحلية للمطالبة بالوحدة السورية[٤٠].

حضرت العصبة هذا المؤتمر، ولما انتهى دعت الوفود إلى مؤتمر وحدوي عام آخر. وعقد المؤتمر في منزل أبو درويش سويد، وترأسه يوسف حيدر ممثِّل بعلبك، وكانت أهم مقرَّراته التمسك بمطلب الوحدة السورية[٤١].

وفي ١٦/ ١١/ عقدت الهيئات الوحدوية مؤتمراً في بيروت في منزل سليم علي سلام بناءً على دعوته، تمثَّلت فيه المناطق التالية: طرابلس، عكار، صيدا، صور وجبل عامل. وعرف بمؤتمر الساحل[٤٢].

وحضر المؤتمر من أعضاء العصبة علي ناصر الدين وصلاح الدين بيهم[٤٣]، وانتهت أعماله بالمطالب التالية:

أ - وحدة البلاد السورية الشاملة وإنشاء حكومة وطنية على أساس السيادة القومية تمثل البلاد تمثيلاً صحيحاً وتديرها على رغبات أهل البلاد.

ب - تسليم إدارة الجمارك العامة إلى هذه الحكومة الوطنية.

ج - السماح للمبعدين السياسيين بالعودة إلى بلادهم للإشتراك بمقدراتها إشتراكاً فعلياً[٤٤].

د - أهالي الساحل والأقضية الأربعة يدفعون ٨٢ بالمئة من واردات الخزينة، في

---

(٣٩) دروزة، حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات، ص ٤٨.

(٤٠) مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦، ص ٢٣.

(٤١) مراد، الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤- ١٩٤٦، ص ٢٢٠.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

(٤٣) مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦، ص ٤٤ و٦٤.

(٤٤) مراد، المصدر نفسه، ص ٢٢٣.

حين يصرف منها ٨٠ بالمئة على جبل لبنان. والمناصب العالية في يد أبناء لبنان القديم وهذا ما يتعارض مع الدستور[٤٥].

كما رفض المؤتمرون الانضمام إلى جبل لبنان. وفي نهاية المؤتمر رفعوا مذكرة بهذه المطالب إلى المفوَّض السامي الكونت دي مارتيل[٤٦].

(٥) احتفال مدرسة القلعة

بعد مؤتمر الساحل دعت العصبة إلى احتفال سياسي في مدرسة القلعة[*]، حضرته جماهير من مختلف قرى المتن والمناطق المجاورة، بالإضافة إلى وفود سياسية من بيروت والجنوب والبقاع. وخطب في الاحتفال علي ناصر الدين مطالباً بالاستقلال والوحدة العربية، وهاجم الفرنسيين في قصيدة شعرية، هذه بعض أبياتها:

يا شباب العرب	هذا يوم رد الغاصبين
فاركبوا الحرب شداداً	واصطلوها باسلين
اخلعوا ثوب الهواني	ما خلقت للهوان
واسمعوا صوت الزمان	واستجيبوا للزمان
يا فرنسا لا تمادي	في اضطهاد المخلصين
إن أحرار البلاد	لن يكونوا خائنين
يا فرنسا لا تغالي	وتقولي الفتح طاب
سوف تأتيك ليالي	نورها لمع الحراب[٤٧]

لقد شاركت العصبة في مؤتمر دمشق، وعلى أثر انتهاء أعماله دعت إلى مؤتمر وحدوي عام، وعقد المؤتمر. وذلك يدل على سعيها لاشراك جميع الهيئات الوحدوية، من مختلف المناطق، في المطالبة بالوحدة السورية، كي تكون المطالبة بها معبِّرة عن موقف واحد يعكس إرادة شعبية وطنية واسعة.

---

(٤٥) مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦، ص ٢٤.

(٤٦) المصدر نفسه، ص ٢٤.

(*) القلعة: إحدى قرى المتن، تقع ما بين حمانا وفالوغا. والمدرسة كانت للشيخ محمد سلمان المصري.

(٤٧) مقابلة مع الأستاذ يوسف حمد شعبان في ٢٣/ ١٠/ ١٩٩١.

كما أن اشتراكها في مؤتمر دمشق، وعقد مؤتمر وحدوي عام بدعوة منها، ثم اشتراكها في مؤتمر الساحل، والتي جميعها طالبت بالوحدة السورية، يدل على أنها كانت ناشطة من أجل تحقيق هذه الوحدة.

وبعد مؤتمر الساحل أقامت العصبة احتفالاً سياسياً طالبت فيه بالوحدة العربية، ونادت شباب العرب محفزة الروح النضالية فيهم ضد الفرنسيين. وذلك يدل على أنها كانت تطالب بالوحدة العربية إلى جانب مطالبتها بالوحدة السورية، مميّزة في ذلك موقفها من مسألة الوحدة عن غيرها من الهيئات والقوى الوحدوية السورية، لأنها كانت تعتبر عملها من أجل تحقيق الوحدة السورية جزءاً لا ينفصل عن عملها في سبيل الوحدة العربية، نظراً لارتباط القضية السورية بالقضية العربية، وأنها كانت تدعو إلى عدم مهادنة المحتلّين والاستعداد لمقارعتهم من أجل تحقيق الأماني القومية العربية.

(٦) موقفها من الهجرة اليهودية

عقدت العصبة اجتماعاً بحثت فيه مسألة الهجرة اليهودية إلى فلسطين. وفي نهاية الاجتماع، أصدرت بيان احتجاج على هذه الهجرة باللغة الإنكليزية وأرسلته إلى عصبة الأمم بواسطة وزارة الخارجية البريطانية، كما وزّعت نسخاً عنه على كافة ممثّلي الدول في سوريا ليرفعوه إلى حكوماتهم، ونص البيان على:

أ - «نرجو اتخاذ التدابير السريعة لمنع دخول الصهيونيين الألمان وغير الألمان لفلسطين نزولاً عند حكم العدل وانصافاً للعرب الذين لا يمنعهم من بلوغ حالة اليأس غير آخر آمالهم بعدل هذه المؤسسة الدولية».

ب - «ان صورة هذه العريضة قدمت بشكل احتجاج الى ممثلي الدول ليتكرموا برفعها الى حكوماتهم مشفوعة برجائنا تأييد هذا المطلب العادل كسباً لعطف العرب وابقاء على حسن ظنهم بنبل مبادئ المدنية الأوروبية وشرف قواعدها الدولية، وبالوقت نفسه حرصاً على دوام عطف العرب الإنساني على اليهود وغيرهم من العناصر التي تضطهدهم باقي الأمم»(٤٨).

ووجّه مركز العصبة في بيروت نداءً إلى الأهلين للتبرع لشهداء فلسطين ومنكوبيها(٤٩).

---

(٤٨) الجامعة العربية، ٢٠/١٠/١٩٣٣، ص ٤.

(٤٩) الجامعة العربية، ٩/١١/١٩٣٣، ص ٣.

لقد أوضحت العصبة أمام الرأي العام الدولي معارضتها للهجرة اليهودية إلى فلسطين، وللتسهيلات التي تقدِّمها سلطات الانتداب لها، ولنشاط الحركة الصهيونية فيها، مميِّزة بين هذه الحركة والشعب اليهودي، مؤكِّدة أن العرب ليسوا على خلاف مع اليهود، بل هم على تعارض مع وعد بلفور الذي يهدف إلى إخضاع جزء من الأراضي العربية في فلسطين للحركة الصهيونية العالمية، وإنشاء كيان يهودي فيها، وإشغال العرب في صراع مع اليهود ليسوا هم في وارده.

ب - مواقفها ونشاطاتها عام ١٩٣٥

(١) تأييدها لموقف بطريرك الطائفة المارونية

أرسل غبطة البطريرك إلى وزارة الخارجية الفرنسية برقية تضمَّنت شكوى من الحالة التي أصبح عليها لبنان بفعل السلطات القائمة فيه، ويحتج فيها بنوع خاص على نظام المونوبول الذي أقرَّت السلطات الفرنسية العمل به في لبنان[٥٠].

أيَّدت العصبة موقف غبطة البطريرك وعطفه على أبناء البلاد، وعبَّرت عن موقفها هذا في جريدتها التي لم تبصر النور إلا قليلاً الشرق.

ففي شباط/فبراير كتب علي ناصر الدين في الجريدة المذكورة قائلاً: «تقول الأنباء التي لدينا، أن غبطة البطريرك الماروني وصل نهار السبت الماضي الى حد أنه احتج، على وضع الحاضر من أساسه... فينبغي إذاً، أن نعتقد بأن هناك، من المبررات، القوية الخطيرة، للاحتجاج على الوضع الحاضر من أساسه، ما يتقدم به غبطة بطريرك الموارنة، الى رجال السياسة الفرنسيين بيمينه، والى الذين يلجأون اليه من أبناء البلاد، في شدائد سياسية، بشماله، وهو معذور التصرف، طاهر الذيل، مرفوع الرأس»[٥١].

وشاركت في المظاهرات التي حصلت في بيروت احتجاجاً على تردِّي الأوضاع المعيشية وفقدان القمح[٥٢].

(٢) نشاطها في ذكرى وعد بلفور

نشط أعضاء العصبة في فلسطين في الذكرى الثامنة عشرة لوعد بلفور في ٢ تشرين الثاني/نوفمبر، فعمل أكرم زعيتر وواصف كمال على عقد اجتماعات شعبية

---

(٥٠) لقد أشرت في بداية هذا الفصل إلى أن المفوَّض السامي منح شركة فرنسية احتكار التبغ في لبنان. كما عمَّت الإضرابات في لبنان وسوريا احتجاجاً على تردِّي الأوضاع الاقتصادية.

(٥١) علي ناصر الدين، هكذا كنا نكتب (بيروت: مطبعة الاتحاد، [١٩٥٢])، ص ١٨٧-١٨٨.

(٥٢) مقابلة مع الشيخ خطار علي شروف ناصر الدين في ١١/١٠/١٩٩١.

في المناطق الفلسطينية للتعبير عن رفض الجماهير الفلسطينية لهذا الوعد. وحضرا الاجتماع الكبير في نابلس، وفيه انتخب أكرم زعيتر كناطق باسم اللجنة التحضيرية للمهرجان الذي سيقام بهذه المناسبة[٥٣].

وعقدت العصبة اجتماعاً مركزياً لها في دمشق لتنظيم مظاهرات في هذه الذكرى، إلا أن السلطات الفرنسية منعتها من ذلك، لكنها أبرقت إلى اجتماع نابلس معربة عن تضامنها مع فلسطين، وجاء في برقيتها: «عصبة العمل القومي المجتمعة اليوم في دمشق احتجاجاً على وعد بلفور المشؤوم تشاطركم الألم والسخط. الحكومة الفرنسية منعتنا من القيام بمظاهرات لأجل فلسطين»[٥٤].

ج - مواقفها ونشاطاتها عام ١٩٣٦

(١) مشاركتها في مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة

في ١٠ آذار/ مارس عقد المؤتمر المذكور في بيروت في منزل سليم علي سلام[٥٥] الذي ترأس المؤتمر. وأسباب عقده كانت للبحث في مصير المناطق التي ضُمَّت إلى جبل لبنان، ولاتخاذ موقف قبل سفر وفد سوريا إلى فرنسا لمفاوضة الحكومة الفرنسية في شأن البلاد السورية، ورفع مذكّرة بذلك إلى المفوّض السامي، الكونت دي مارتيل، قبل سفره إلى فرنسا لينقلها إلى وزارة الخارجية الفرنسية وعصبة الأُمم[٥٦].

لعبت العصبة دوراً في عقد هذا المؤتمر وصياغة أعماله. فلقد شاركت في الدعوة إليه بشخص مسؤولها في لبنان علي ناصر الدين، وأحد قادتها صلاح الدين بيهم[٥٧].

وحضر المؤتمر أربعة من مؤسّسي العصبة، هم: علي ناصر الدين، وصلاح الدين بيهم الذي انتخب نائباً للرئيس وسكرتيراً للمؤتمر، وقسطنطين يني، وعزت قريطم[٥٨].

وتمثّلت فيه: طرابلس (الشيخ عبد الحميد كرامي)، صيدا وصور (الشيخ أحمد عارف الزين)، عكار (شوقي شريف الدندشي)، زحلة (المحامي فوزي بردويل)، النبطية (الشيخ سليمان ضاهر). وحضره أيضاً: يوسف يزبك (ممثّل الموارنة

(٥٣) زعيتر، يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥- ١٩٣٩، ص ٩.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٩.

(٥٥) من وجهاء بيروت، تولّى رئاسة جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية عام ١٩٠٩، وانتخب عام ١٩١٤ نائباً عن ولاية بيروت في مجلس المبعوثان. انظر: مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦، ص ٤٣- ٤٤.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٢٤، ٤٣ و٧٠.

(٥٧) مقابلة مع العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في ٢٤/ ٩/ ١٩٩٠.

(٥٨) المصدر نفسه، ص٢٧، ٤٤ و٦٤.

الوحدويين)، الشاعر صلاح لبكي ومأمون أياس ونعمة ثابت (الأوّل نائب رئيس الحزب السوري القومي الاجتماعي، والآخران من الأعضاء البارزين في الحزب المذكور)، محمد جميل بيهم (رئيس اتحاد الشبيبة الاسلامية)، الشيخ أحمد رضا، حسن القاضي، عبد اللطيف بيسار، أمين خضر، عادل عسيران، شفيق لطفي، كاظم الصلح، أحمد الداعوق، محمد علي بيهم، ابراهيم خرما، تقي الدين الصلح، محمد شقير، زكريا النصولي، أنطوان ثابت، جميل كوسا وحوالى سبعين شخصية أخرى.

وفي بداية الاجتماع أوضح رئيس المؤتمر أن مذكَّرة بشأن الوحدة السورية أُعدت سيتلوها علي ناصر الدين[٥٩]. وبعد تلاوة المذكَّرة شهد المؤتمر مناقشات واقتراحات، سأذكر منها المداخلات التي ردَّت عليها العصبة:

- أيَّد يوسف يزبك الوحدة السورية، لكنه أشار إلى عدم فائدتها في ظل سيطرة الفرنسيين وفقدان السيادة الشعبية.

- علي ناصر الدين عقَّب على يزبك موضحاً بأن طلب الاستقلال يجب أن يكون لسوريا والمناطق المنسلخة عنها.

- اعترض أحمد عارف الزين على ما ورد في المذكَّرة من ذكر لنواب جبل لبنان على اعتبار أن القوى الوحدوية لم تعترف يوماً في هذه النيابة في لبنان الكبير.

- علي ناصر الدين ردَّ على الزين موضحاً أن المقصود من ذكر نواب جبل لبنان الإعلان أنهم لا يمثِّلون الأراضي المنسلخة عن سوريا.

- تكلم صلاح لبكي قائلاً إن خمسة عشر الف فتى من فتيان لبنان يطلبون الوحدة السورية، ومعتبراً لبنان قطعة من سوريا.

- علي ناصر الدين: ردَّ على لبكي موضحاً أن ليس من شأن هذا المؤتمر الموقَّر تقرير ذلك، وهو إنما عقد ليعبِّر عن رغبات أبناء الأراضي المنسلخة فقط.

- انتقد فوزي بردويل المطالبة بفصل لبنان عن سوريا، وأوضح أن الشباب اللبناني المثقَّف يرى مصلحة لبنان في الوحدة السورية ثم الوحدة العربية، وأعلن أن الشباب الزحلي الحر أرسل وفداً إلى الكتلة الوطنية في دمشق مؤيداً طلب الاستقلال والوحدة السورية.

- ردَّ يزبك على بردويل معتبراً تخصيص هذا المؤتمر لبحث الوحدة السورية في

---

(٥٩) المصدر نفسه، ص ٢٧- ٢٨، ٤٤- ٤٨، ٥٢، ٥٥ و٥٨.

هذه الظروف يبلبل الأفكار، لأنه يهمل الكثيرين بل جميع اللبنانيين الذين يماشون طلب السيادة القومية والاستقلال الصحيح، والذين ما زالوا حتى اليوم غير مقتنعين بفوائد الوحدة الشاملة. لذلك من الأفضل البحث في تعزيز الاستقلال والحرية التامين دون الإلحاح على الوحدة[٦٠].

– علي ناصر الدين ردَّ على الاقتراحات السابقة قائلاً: «إن كلام الاستاذ يزبك فيه الكثير من الجوهر فليس من شك في أن هناك تطوراً في العواطف وفي طريقة التفكير... نحن الذين ما يهمنا من الأمر الا ان نبعث الفكرة العربية في نفوس ابناء الاقطار والاقاليم العربية جميعاً وأن نفنى في القومية العربية التي لا قومية لنا سواها... انا رجل عربي لبناني من لبنان الصحيح ويوسف يزبك كذلك، والمؤتمر عقده السادة الذين يعتبرون نفوسهم سوريين سلخوا عن سوريا لا لبنانيين فهم يستطيعون أن يطلبوا الوحدة والاستقلال لسوريا لا للبنان... وقد نرى هذا الذي يرونه ونقول به ونعمل له... واذا كان أبناء لبنان الصحيح انفسهم اقتنعوا بضرورة الوحدة وأيقنوا بأنها انما هي أمنية وطنية كما هي فعلاً وليست دينية... فليتقدموا بالشكل الذي يرونه مناسباً بطلب هذه الوحدة... عن غير طريق هذا المؤتمر الذي لا يستطيع ان يدَّعي ولا هو يدعي انه يمثل غير الساحل والأقضية الأربعة... على أني اعتقد إن تقبل لبنان الصحيح لفكرة الوحدة السورية رغم أنه متمم لها جغرافياً، يقتضي له شيئاً من الوقت بعد، فلندع الايام تعمل عملها والتطور يسير في مجراه...».

– محمد جميل بيهم ردَّ على مسألة التطوُّر التي تطرَّق إليها ناصرالدين قائلاً:

«....، وأنا ارى لقاء تطور الزمن، أن تتطور كيفية المطالبة بالوحدة فيجب اذاً أن نشترك مع اللبنانيين في طلب الوحدة وأن يكون طلبنا لها بالاتفاق والتفاهم معهم... فأقترح أن تتألف لجنة لبحث الأمر مع اللبنانيين ولتوحيد الطلب».

– علي ناصر الدين ردَّ على بيهم قائلاً: «لعل خير طريقة هي أن يكون الشباب اللبناني في هذا المؤتمر رسل فكر الوحدة في لبنان فنكون قد راعينا الموقف والشعور والتطور...»[٦١].

– صلاح لبكي يتكلم قائلاً: «نحن كلنا فصلنا عن سوريا وليس انتم وحدكم ايها السادة... فاذا كان أبناء الاقضية المنسلخة يطلبون الرجوع الى سوريا فأبناء لبنان

---

(٦٠) المصدر نفسه، ص ٢٨، ٤٥- ٤٨ و٥٠.

(٦١) المصدر نفسه، ص ٥٠- ٥٢.

هم أيضاً يطلبون الرجوع الى أمهم. .. إن لبنان هو جزء من سوريا. ..».

- علي ناصر الدين ردَّ على لبكي قائلاً: «يدهشني هذا القول من الاستاذ صلاح لبكي ليس لأني لا أرغب في الوحدة فأنا. .. من دعاة الوحدة العربية. .. ولكن المسألة مسألة تاريخ وواقع، أيجهل الأستاذ لبكي أن لبنان الصحيح كان له امتيازات خاصة ووضع دولي خاص وانه لم ينسلخ عن سوريا كما يقول انسلاخ الساحل والأقضية الاربعة».

- الشيخ سليمان ضاهر يقترح أن ينضم ممثّلون عن المناطق المسلوخة إلى الوفد السوري المفاوض لكي تكون البلاد ممثَّلة تمثيلاً صحيحاً. أو إذا كان لبنان بوضعه الحالي سيعقد معاهدة مع فرنسا، يجب الاشتراك مع اللبنانيين في المفاوضات.

- مأمون أياس وعبد الحميد كرامي يطالبون بالوحدة السورية الشاملة.

ونظراً لإصرار طلاب الوحدة السورية الشاملة على طلبهم، يطلب يوسف يزبك أن يضاف على طلب الوحدة السورية الشاملة أن سوريا وحدة جغرافية من الاتحاد العربي. فترتفع أصوات في المؤتمر تطالب بطرح اقتراح كرامي على التصويت.

- علي ناصر الدين يعترض على الطلب الأخير قائلاً: «لا. .. لا. .. اقتراح الاستاذ كرامي مربوط باقتراح الاستاذ يزبك أي أن سوريا العربية هي جزء متمم لبلاد العرب قومياً وجغرافياً وتاريخياً واقتصادياً وينبغي أن يكون كذلك سياسياً».

- أمين خضر أيَّد اقتراح ناصر الدين.

- مأمون أياس يرد على ناصر الدين قائلاً: «ان سوريا عربية ولا يمكن أن تكون أرمنية (تصفيق)».

- علي ناصر الدين يرد قائلاً: «يسرني أن نسجّل عليكم هذا الرجوع الى الصواب على أن يكون حقيقياً (تصفيق)»[٦٢].

- رئيس المؤتمر، سليم علي سلام، أيَّد الوحدة السورية، لكنه قال: «. .. إن لبنان القديم كان له امتيازات خاصة. إننا نتمنى أن يقتنع اخواننا اللبنانيون بضرورة الوحدة. .. إما أن نطلب ذلك نحن فليس هذا من الرأي ولا من المصلحة في شيء، لنترك ذلك لهم. ..».

ثم رفع الجلسة لاستراحة مدتها عشر دقائق. وأثناء ذلك كانت لجنة من المؤتمرين

---

(٦٢) المصدر نفسه، ص ٥٤- ٥٥ و٥٨- ٦١.

تُجري بعض التعديلات على ما جاء في المذكَّرة التي تُليت في أوَّل الاجتماع. ولما انتهت مدَّة الاستراحة طلب الرئيس استئناف الجلسة والاستماع إلى نص الصيغة الأخيرة للمذكَّرة التي سيتلوها الأستاذ علي ناصر الدين.

وبعد تلاوة المذكَّرة اقترح عمر بيهم طرحها للتصويت، فوافقت الأكثرية على اقتراحه، وطلب الرئيس التصويت برفع الأيدي، ثم أعلن أن الأكثرية الغالبة قبلت المذكَّرة.

وبعد التصويت أراد كاظم الصلح أن يعبِّر عن رأيه في المناقشات التي دارت في المؤتمر وفي ما جاء في المذكَّرة فلم يسمح له، حيث أوضح رئيس المؤتمر أن طلب الكلام لإبداء الرأي في المناقشات والمقترحات كان يجب أن يتم قبل التصويت على المذكَّرة.

وأهم ما تضمَّنته المذكَّرة: التأكيد على جميع مطالب المؤتمرات الوحدوية السابقة، ومنها مؤتمر الساحل لعام ١٩٣٣، وفي مقدمة هذه المطالب السيادة والحرية التامّتان والوحدة الشاملة، وكل حل لا تجاب له هذه المطالب المشروعة لا يكون نصيبه إلا الفشل. ورُفعت المذكَّرة إلى المفوَّض السامي مشفوعة برجاء من المؤتمرين لينقل نسخة عنها إلى وزارة الخارجية الفرنسية وعصبة الأمم[٦٣].

ووقَّع عليها سليم علي سلام، صلاح عثمان بيهم، عبد الحميد كرامي، علي ناصر الدين، الشيخ أحمد عارف الزين، الشيخ أحمد رضا، الشيخ سلمان ضاهر، صلاح لبكي، شوقي الدندشي، فوزي بردويل، يوسف يزبك، محمد جميل بيهم، حسن القاضي، مأمون أياس، أمين خضر، عمر بيهم، عبد اللطيف بيسار.

ولم يوقِّع عليها: كاظم الصلح، عادل عسيران وشفيق لطفي[٦٤].

يتَّضح من هذه المناقشات التي دارت في المؤتمر أن عمل العصبة فيه لم يقتصر على تأييد المطالبة بالوحدة السورية فقط، إنما حثَّت المؤتمرين على أن يطالبوا بالاستقلال التام لسورية، وعلى أن توجَّه الجهود لبعث الفكرة العربية.

ورفضت أن يدَّعي المؤتمر أنه ممثِّل لجبل لبنان، لأنه عقد من أجل أن يرفع مطالب أبناء الساحل والأقضية الأربعة فقط من جهة أُولى، ولأن أبناء جبل لبنان غير ممثِّلين فيه من جهة ثانية. كما كانت ترى أن هذه المنطقة (جبل لبنان) لها خصوصية

---

(٦٣) المصدر نفسه، ص ٣٠، ٦١- ٦٤ و٦٩- ٧٠.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ٦٤ و٧٠.

تاريخية تختلف عن غيرها من المناطق، ولم تنسلخ عن سوريا، ووحدتها معها يجب أن تأتي المطالبة بها على يد أبنائها، رافضة المطالبة بالوحدة السورية الشاملة لجبل لبنان إلا على قاعدة المطالبة بالوحدة العربية، والإقرار بالخصائص القومية والمصالح المشتركة للشعب العربي.

ويتبيّن أنها في موقفها الرافض لطلب إدراج جبل لبنان في المذكّرة ضمن الوحدة السورية، توافقت مع موقف رئيس المؤتمر ويوسف يزبك والشيخ سليمان ضاهر، الذين لم يوافقوا على الطلب المذكور. وفي ذلك تعارضت مع عبد الحميد كرامي ومحمد جميل بيهم وأحمد عارف الزين وفوزي بردويل والحزب السوري القومي الاجتماعي.

وتوافقت مع يوسف يزبك في طلب الوحدة السورية الشاملة إذا أقرّ المجتمعون بأن سوريا جزء متمّم للبلاد العربية ووحدة من الاتحاد العربي، وفي المطالبة بالاستقلال التام.

وتوافقت مع الأكثرية في طلب الوحدة السورية لأنها كانت من المؤيِّدين لها. وفي هذا الموقف تعارضت مع كاظم الصلح ورفاقه الذين لم يوقّعوا على المذكّرة.

لكن يظهر أن كاظم الصلح كان على توافق إلى حد ما مع العصبة، لأن الصلح أصدر بعد المؤتمر كرّاس «مشكلة الاتصال والانفصال في لبنان» عبّر فيه عن موقفه من المؤتمر وأسباب عدم توقيعه على المذكرة الصادرة عنه، قائلاً: «... انني اتفاقاً مع خطتي المسلكية الناشئة عن عقيدتي الوطنية لم أوافق على أن يخاطب فخامة المفوض ممثل فرنسا كصاحب صلاحية في عملية قومية صرفة... وقد كاشفت بذلك سماحة السيد عبد الحميد كرامي وصديقي الاستاذ علي ناصر الدين الذي يفهم خطتي المسلكية تمام الفهم لأنه يعتنقها أيضاً...»(٦٥) كما طالب في الكرّاس بمراعاة وضع المسيحيّين وبتأجيل المطالبة بالوحدة(٦٦)، داعياً المفكرين للاجتماع والخروج ببرنامج عمل يخرج الوطنية اللبنانية الانفصالية والوطنية الوحدوية من عالم الابهام والتناحر للتخلص من الانتداب(٦٧).

وبرأيي أن رفض العصبة في المؤتمر المطالبة بانضمام جبل لبنان للوحدة السورية، ومطالبتها بمراعاة موقف وشعور أهله، ومطالبة المذكّرة التي صدرت عن

---

(٦٥) المصدر نفسه، ص ٧٧- ٧٨.

(٦٦) أشتي، الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩- ١٩٧٥، ص ١١٢.

(٦٧) مراد، الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤- ١٩٤٦، ص ٢٥١.

المؤتمر، والتي كان للعصبة دور في صياغتها، من المفوَّض السامي أن ينقلها معه إلى وزارة الخارجية الفرنسية وعصبة الأمم(٦٨)، شكَّلوا نقاط التقاء ما بين العصبة وكاظم الصلح الذي طالب بمراعاة وضع المسيحيِّين، وبأن لا يخاطب المفوَّض السامي كصاحب صلاحية في مسألة قومية.

ويشير د. سعيد مراد إلى أن أربعة تيَّارات تمثَّلت في هذا المؤتمر، هي:

– التيَّار التقليدي الذي يطالب بانضمام الساحل والأقضية الأربعة إلى سوريا منذ عام ١٩٢٠، وهو يتألَّف من: سليم سلام، عبد الحميد كرامي، محمد جميل بيهم وأحمد عارف الزين.

– وفد الحزب السوري القومي الذي طالب بالوحدة السورية ومن ضمنها جبل لبنان، لأن السوريِّين أُمة تامة وفق مبادئ الحزب.

– تيَّار عربي يدعو للوحدة السورية باعتبارها خطوة نحو الوحدة العربية، ويتألَّف من «حزب الثمانية» وفقاً لتعبير يوسف يزبك(٦٩)، وهم: صلاح بيهم، علي ناصر الدين، أحمد الداعوق، محمد علي بيهم، عزت قريطم، قسطنطين يني، ابراهيم خرما ويوسف يزبك.

– التيَّار الاستقلالي اللبناني الذي وقف ضد الانتداب ولم يوافق على إثارة الوحدة السورية، وتمثَّل بكاظم الصلح، عادل عسيران وشفيق لطفي، الذين لم يوافقوا على مقرَّرات المؤتمر(٧٠).

يتَّضح مما تقدَّم أن الذين شكَّلوا مع العصبة تيَّاراً عروبياً في المؤتمر هم: أحمد الداعوق، محمد علي بيهم، ابراهيم خرما(٧١) ويوسف يزبك، على اعتبار الأربعة الآخرين هم من مؤسِّسي العصبة.

ويستنتج من ذلك أن مواقف العصبة في المؤتمر كانت مدعومة من الموارنة الوحدويين وعدد من الفاعليات البيروتية المؤيِّدين للوحدة العربية، وأنها أمام القوى

(٦٨) أشرت سابقاً إلى أن العصبة في احتجاجها على الهجرة اليهودية رفعت مذكَّرة بذلك إلى عصبة الأمم. وسيتبيَّن لاحقاً أن مذكَّراتها كانت ترفعها دائماً إلى عصبة الأمم.

(٦٩) هذه المعلومات أخذها الدكتور سعيد مراد من مقابلة شخصية مع يوسف يزبك.

(٧٠) مراد، المصدر نفسه، ص ٢٣٩ -٢٤٠.

(٧١) الداعوق وبيهم وخرما هم من الفاعليات البيروتية، ومن المناضلين القوميِّين العرب الذين شاركوا في المقاومة ضد الانتداب. ولهم صور مشتركة مع عزت قريطم وعلي ناصر الدين وصلاح بيهم موجودة في منزل السيِّدة ناديا عادل الطويل.

الأُخرى شكَّلت اتجاهاً ضاغطاً في المؤتمر لجهة تأييد طلب الوحدة السورية كما كانت تراها، أو تأييد طلب الوحدة العربية الشاملة إذ أصرّ طلاب الوحدة السورية الشاملة على موقفهم.

(٢) موقفها من الإجراءات القمعية للثورة في فلسطين، ودعمها لها احتجاجاً على أعمال العنف التي قامت بها سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين أثناء الثورة الشعبية ضدها، أرسلت العصبة في أوائل تموز/يوليو برقية من مركزها في دمشق إلى المندوب السامي في فلسطين، موقَّعة من أمين سرها العام صبري العسلي، أدانت فيها السياسة البريطانية في فلسطين والإجراءات القمعية التي قامت بها سلطات الانتداب فيها. ونصَّت برقيتها على الآتي: «استمرار فلسطين البائسة خمسة وسبعين يوماً على مقاومة السياسة البريطانية المشبعة تعذيباً وتنكيلاً دليل على قوة إيمانها بحقها وشدة تجني السياسة البريطانية على جهادها السلمي الذي أرادته بريطانيا ثورة دامية. فعصبة العمل القومي في سوريا تجد في تنكر السياسة البريطانية للعرب قضاء مبرماً على سمعة بريطانيا في الشرق وحافزاً للعرب جميعاً على مناهضة العنف بالعنف. العرب جميعاً ينظرون بقلق الى مصير فلسطين طالبين رفع الأذى عنها وإنصافها. نرجو رفع احتجاجنا الى وزارتكم والى جمعية الأمم»[٧٢].

وقد أشرت في الفصل الثاني إلى أن بعض مؤسِّسيها، مثل: علي ناصر الدين، الشيخ قسطنطين يني، شفيق سليمان وأكرم زعيتر كانوا مشاركين في هذه الثورة.

وفي منتصف أيلول/سبتمبر شكَّل فرعها في لبنان لجنة لإعانة المنكوبين في فلسطين من جرَّاء الثورة، وترأسها محمد خير نويري وكان قسطنطين يني أمين سرها[٧٣].

(٣) مشاركتها في تشييع النعماني

أشرت في بداية هذا الفصل إلى أن الأوضاع الاقتصادية تدهورت في هذا العام وعمَّت المظاهرات الجنوب اللبناني بعد تداخل القضيَّتين الوطنية والاجتماعية.

وفي منتصف تموز/يوليو قمعت السلطات اللبنانية مظاهرة صيدا، فقتل محمد مرعي النعماني من المدينة المذكورة. وعلى أثر ذلك، أقامت الهيئات السياسية والشعبية فيها حفل تشييع للنعماني، حضره صلاح الدين بيهم، فؤاد النكدي وعلي

---

(٧٢) النهار: ٥/٧/١٩٣٦، و٦/٧/١٩٣٦، ص ٣.

(٧٣) النهار، ١٦/٩/١٩٣٦، ص ٣.

ناصر الدين الذي خطب فيها(٧٤).

إن مشاركة ثلاثة من مؤسّسي العصبة في هذا الحفل التشييعي، وإلقاء أحدهم خطبة فيه، يدل على دور بارز لها في الحركة الشعبية في الجنوب اللبناني المعارضة لسلطات الانتداب والمحتجّة على الأوضاع المعيشية.

(٤) موقفها من المعاهدة السورية ــ الفرنسية

أثناء تولّي الجبهة الشعبية للحكومة الفرنسية بقيادة الاشتراكي ليون بلوم(٧٥)، وفي عهد رئيس الجمهورية السورية محمد علي العابد وحكومة عطا الأيوبي(٧٦)، بدأت المفاوضات السورية الفرنسية في باريس في ٢٢ آذار، وانتهت في ٩ أيلول/ سبتمبر بتوقيع المعاهدة السورية ــ الفرنسية(٧٧). وكان الوفد السوري يتألّف من ثمانية أعضاء، أربعة منهم يمثّلون الحكومة السورية وهم: الوزيران مصطفى الشهابي وإدمون حمصي، وأُمناء سر الوفد نعيم الإنطاكي وإدمون رباط. والأربعة الآخرون يمثّلون الكتلة الوطنية وهم: هاشم الأتاسي (رئيس الكتلة)، فارس الخوري، جميل مردم وسعد الله الجابري(٧٨).

واعترف السوريون بهذه المعاهدة بالواقع اللبناني وبأن لبنان وسوريا دولتان منفصلتان(٧٩)، كما أنها سدّت الطريق على الوحدة السورية(٨٠).

عارضت العصبة هذه المعاهدة(٨١) معارضة شديدة(٨٢)، وعقدت مؤتمراً قطرياً في ٨ تشرين الأول/ أكتوبر أصدرت على أثره بياناً أوضحت فيه موقفها منها

---

(٧٤) النهار، ١٥/ ٧/ ١٩٣٦، ص ٤.

(٧٥) مراد، الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤- ١٩٤٦، ص ٢٦١، و باسم الجسر، ميثاق ١٩٤٣: لماذا كان؟ وهل سقط؟، مراجع الاستقلال (بيروت دار النهار للنشر، ١٩٧٨)، ص ٦٢.

(٧٦) حسن الحكيم، مذكراتي: صفحات من تاريخ سوريا الحديث، ١٩٢٠ - ١٩٥٨، ٢ ج (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٥- ١٩٦٦)، ج ٢، ص ١٦٨ و١٧١.

(٧٧) مراد، المصدر نفسه، ص ٢٥٧ و٢٦٠.

(٧٨) الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، ص ٢٤٩.

(٧٩) مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦، ص ٦ و٣٧.

(٨٠) مراد، الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤- ١٩٤٦، ص ٢٩٧.

(٨١) تجدر الإشارة إلى أن هذه المعاهدة ألغت دولة الدروز ودولة العلويين ودولة حلب، وأصبحوا جميعهم ضمن الدولة السورية.

(٨٢) محمد حرب فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨- ١٩٥٥ (دمشق: دار الرواد، ١٩٥٥)، ص ١٨٨.

وأسباب معارضتها لها. وجاء في البيان: «على الرغم مما يميز المعاهدة من تعابير المساواة التامة بين الفريقين المتعاقدين وتنازل الفريق الفرنسي عن حقوق كان يدعيها فإنها تنتقص السيادة وتخرج عن منطوق المصالح الضرورية . . . فعصبة العمل القومي، التي تقدر جهود العاملين في الحقل الوطني في داخل البلاد وخارجها ما زالت على قناعتها بأن الاستقلال لا تؤمنه العهود والبنود، بل تؤمنه ميزات الشعب وكفاءته وحسن استعداده لمجالدة الحوادث وصراع الحياة».

كما حدَّد البيان أسباب رفض العصبة للمعاهدة وذلك لعدم موافقتها على البنود التالية:

أ - إعطاء الفرنسيّين حق إبقاء جيش غير محدَّد في جبل الدروز وبلاد العلويين لمدة خمس سنوات (المادة الخامسة من الاتفاق العسكري في المعاهدة).

ب - إلزام الحكومة السورية أن تضع تحت تصرف الفرنسيِّين جميع المواقع والأمكنة اللازمة لاحتياجات القوى الفرنسية، وإعطاؤها الميزات والمناعات التي يتمتعون بها حالياً، والمبنية على نظرية خارج حدود الدولة، وبرجوع المعلِّمين والاختصاصيِّين الفرنسيِّين إلى رئيس البعثة العسكرية دون تحديد سلطات هذا الرئيس ومصدر النفوذ عليه (المادة السادسة من المعاهدة).

ج - ربط النقد السوري بالعملة الفرنسية (المراسلة التاسعة).

د - تطلب المعاهدة من سوريا التقيُّد بالامتيازات والاتِّفاقات والحقوق المكتسبة الممنوحة باسمها ولحسابها لمنفعة الأشخاص الماديِّين والمعنويِّين الفرنسيِّين (المراسلة الثامنة).

هـ - تطلب المعاهدة المحافظة على مؤسَّسات التعليم والإسعاف والخير الأجنبية، ولبعثات التنقيب الأثرية حقَّ الانتفاع من النظام الحالي (المراسلة الثامنة).

و - تعيين نظام خاص في الإدارة والمال لجبل الدروز (المراسلة السادسة)[٨٣].

وتمثَّلت معارضتها لهذه المعاهدة بالمظاهرات التي قامت بها وشجَّعت عليها، وبث الأفكار التي تهدف إلى زيادة الكره للانتداب والمتعاملين معه من الكتلة الوطنية وغيرها، معتبرة المعاهدة لا تؤمِّن الاستقلال والحرية لسوريا[٨٤]. وكان لمعارضتها

(٨٣) عبد الله حنا، الحركة العمالية في سورية ولبنان، ١٩٠٠- ١٩٤٥ (دمشق: دار دمشق، ١٩٧٣)، ص ٣٠٠.

(٨٤) فرزات، المصدر نفسه، ص ١٨٨.

الشديدة لها أثر، حيث تمكّنت من أن تُكوّن تيّاراً داخل «الكتلة الوطنية» معارضاً للمعاهدة[٨٥].

ويشير د. عبد الله حنا إلى انقسام القوى السياسية لثلاثة أقسام بعد توقيع المعاهدة، هي:

١- الرجعية الداخلية الراغبة في بقاء الحكم الإمبريالي الفرنسي المباشر للمحافظة على مواقعها.

٢- الشهبندريون الذين كانوا على استعداد للسير على خط الكتلة الوطنية لو وصلوا إلى كراسي الحكم.

٣- العناصر الوطنية الشابة الحالمة في الاستقلال التام الناجز والمتمثّلة في العناصر المثقّفة ولا سيما عصبة العمل القومي[٨٦].

ويشير د. قرقوط إلى أن منير العجلاني، أحد أعضاء الكتلة الوطنية البارزين، عارض بشدّة في المجلس النيابي سياسة الكتلة الوطنية بعد منتصف عام ١٩٣٦، وكاد رجال الكتلة يفقدون أعصابهم منه نتيجة لمعارضته الشديدة لهم[٨٧].

ويشير وليد المعلم إلى أن الحزب الشيوعي أيّد المعاهدة في رسالة أرسلها خالد بكداش إلى سكرتير الكتلة الوطنية عفيف الصلح، بينما عارضها الحزب السوري القومي، الجبهة العربية، والهيئة الشعبية بزعامة عبد الرحمن الشهبندر الذي انضم إليه زكي الخطيب ومنير العجلاني، اللذين كانا من أعضاء الكتلة الوطنية وانفصلا عنها بعد توقيعهما للمعاهدة المذكورة[٨٨].

وقد دافع عدد من أعضاء الكتلة الوطنية عن هذه المعاهدة، ففايز الخوري قال إنها «معجزة القرن العشرين»، وجميل مردم قال إنها «عروسة الشرق»[٨٩].

إن عقد العصبة مؤتمراً قطرياً مخصّصاً للبحث في المعاهدة يدل على اهتمامها بها

---

(٨٥) علي محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥، مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية؛ ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥)، ص ١٣٧.

(٨٦) حنا، الحركة العمالية في سورية ولبنان، ١٩٠٠- ١٩٤٥، ص ٣١٠.

(٨٧) ذوقان قرقوط، تطور الحركة الوطنية في سورية، ١٩٢٠- ١٩٣٩ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٥)، ص ١٧٨.

(٨٨) وليد المعلم، سورية، ١٩١٦- ١٩٤٦: الطريق إلى الحرية (دمشق: دار طلاس، ١٩٨٨)، ص ٢٨٤.

(٨٩) المصدر نفسه، ص ٢٨٤.

كحدث سياسي بارز في تلك الآونة، نظراً لما تضمَّنته من بنود تعطي امتيازات للفرنسيين سيترتب عليها التزامات قانونية تضعف حجة سوريا في عملها لتحقيق الاستقلال والسيادة التامين، وتقيِّد رعايتها لمصالحها الاقتصادية وشؤونها العامة، وتلزمها باتفاقيات لم يكن لها دور في توقيعها وليس لها مصلحة فيها. وهذه البنود تشكِّل عهداً تقرُّ به، لأوَّل مرَّة، هيئات وطنية بارزة وفاعلة على الساحة السورية، وتقف عائقاً أمام تحقيق الأهداف الوطنية والقومية، وذلك حسب دراسة العصبة للمعاهدة.

وبناءً على هذه الدراسة رأت أن المعاهدة تتعارض مع الاستقلال الصحيح والأماني القومية، مؤكِّدة مواقفها السابقة بالاستمرار في المقاومة إلى أن تتحقَّق الأهداف المذكورة. ولهذا انطلقت في معارضة شديدة لها على قاعدة رفضها لأي عهد أو عقد يعيق العمل في سبيل الأماني الوطنية والقومية العربية، أو يكون فيه صالح ما للمستعمرين.

ويبدو أن في مؤتمرها القطري اتخذت قرارات تصعيدية حاسمة تجاه النهج التعاقدي والمؤيِّدين له، لأنها طردت صبري العسلي وأحمد الشرباتي من صفوفها على أثر قبولهما بالمعاهدة[٩٠]، وصعَّدت معارضتها لإسقاط النهج المذكور بزعامة الكتلة الوطنية كما سيتبيَّن ذلك لاحقاً.

والواضح أن القوى المعارضة للمعاهدة كانت أكثر من القوى المؤيِّدة لها. والعصبة كانت تمثِّل الجهة الأكثر فاعلية في هذه المعارضة، لأنها زادت من كره الجماهير للانتداب وللنهج المتعاون معه، ولأنها مثَّلت الاتجاه الأكثر حزماً في تحقيق الاستقلال التام.

(٥) موقفها من المعاهدة اللبنانية ــ الفرنسية

أثناء تولِّي إميل إده رئاسة الجمهورية اللبنانية، بدأت في ١٥ تشرين الأول/أكتوبر المفاوضات بين الجانب اللبناني[٩١] والجانب الفرنسي[٩٢]، وانتهت في ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر بتوقيع المعاهدة اللبنانية ــ الفرنسية. ووقَّع عليها الرئيس إميل

(٩٠) بلاوني، «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣- ١٩٣٩»، ص ١٩٥ و١٩٨.

(٩١) تألَّف من: رئيس الجمهورية، إميل إده، وبشارة الخوري (عن الموارنة)، عبد الله بيهم وخالد شهاب ومحمد عبد الرزاق (عن السنة)، حكمت جنبلاط (عن الدروز)، نجيب عسيران (عن الشيعة)، بترو طراد (عن الأرثوذكس)، غبريال خباز (عن الكاثوليك) وهرام لبلكيان (عن الأقلِّيات).

(٩٢) مراد، الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤- ١٩٤٦، ص ٦٦.

إده عن الجانب اللبناني، والمفوَّض السامي، دي مارتيل، عن الجانب الفرنسي[٩٣].

وقد تحدَّدت مدَّتها بخمس وعشرين سنة. وتضمَّنت اعتراف فرنسا باستقلال لبنان ومساعدته للانضمام إلى عصبة الأمم كدولة مستقلة، وبحقها في إبقاء جنود لها في لبنان، وتمثيله في الشؤون الخارجية والعسكرية. وأُلحقت بها الرسائل المتبادلة بين رئيس الجمهورية، إميل إده، والمفوَّض السامي، ومن ضمنها رسائل ٦ و ٦ مكرَّر الخاصة بالمساواة بين الطوائف[٩٤].

عارضت العصبة هذه المعاهدة لأنها أعطت امتيازات لفرنسا في لبنان، ولم تنص على انتهاء الانتداب. وشارك أعضاؤها في المظاهرات التي حصلت في بيروت احتجاجاً على توقيعها، ورفعوا شعارات تطالب بالوحدة العربية ورحيل سلطات الانتداب وبالاستقلال التام دون أي شرط[٩٥].

د - مواقفها ونشاطاتها عام ١٩٣٧

(١) موقفها من قضية لواء الاسكندرون

مع بداية هذا العام ظهرت مخطَّطات فرنسية ـ تركية تهدف إلى انتزاع لواء الاسكندرون من سوريا. وعلى أثر ذلك أعلن فرع العصبة في اللواء أن العصبة ستدافع دفاعاً مستبسلاً عن وحدة البلاد ومصالح الشعب الحيوية[٩٦].

وفي ١٢ كانون الثاني/يناير نظَّمت العصبة في أنطاكية مظاهرة كبيرة نادت بعروبة اللواء[٩٧]، مشى فيها عشرون ألفاً من العرب أمام لجنة الخبراء الدولية[٩٨] التي وصلت إليه لدراسة أوضاعه من قِبل عصبة الأمم[٩٩].

وعارضت تشكيل الوفد السوري إلى عصبة الأُمم في جنيف لبحث قضية اللواء، الذي تألَّف من: عبد الرحمن الكيالي (أحد قادة الكتلة الوطنية) وحسن جبارة

---

(٩٣) حلاق، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، ١٩١٣- ١٩٤٣: من جمعية بيروت الإصلاحية إلى الميثاق الوطني، ص ١٧٠.

(٩٤) المصدر نفسه، ص ١٧٠، والصلح، أحتكم إلى التاريخ، ص ٤٧.

(٩٥) مقابلة مع الشيخ خطار علي شروف ناصر الدين في ١١/ ١٠/ ١٩٩١.

(٩٦) بلاوني، «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣- ١٩٣٩»، ص ١٩٥ و١٩٨.

(٩٧) فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨- ١٩٥٥، ص ١٨٩.

(٩٨) تألَّفت اللجنة من: كارون (هولندي)، هانزهولشتاد (نروجي) وشارل فون فاتنفيل (سويسري).

(٩٩) بلاوني، المصدر نفسه، ص ١٩٥ و١٩٨.

(مدير مالية اللواء)[100]، لأنها لم تثق في أعضائه، مطالبة باستبدالهما بشكري القوتلي وزكي الأرسوزي[101]، لكن لم يستجب لطلبها، وسافر الوفد السوري (الكيالي وجبارة) إلى جنيف ووقّع على اتفاقية جنيف في ٢٣ كانون الثاني/ يناير التي منحت تركيا امتيازات في اللواء.

عارضت العصبة هذه الاتفاقية وقادت مظاهرات احتجاج في مختلف المدن السورية[102].

وفي ٢٦ كانون الثاني/ يناير، أصدرت لجنتها المركزية في دمشق بياناً كشفت فيه المخطّطات المقترحة لفصل اللواء، ونظّمت مظاهرة كبيرة فيها احتجاجاً على ذلك[103].

وفي هذا البيان طالبت بعقد دورة استثنائية للمجلس النيابي في سوريا لمعالجة الموقف، وطلبت من الحكومة السورية التراجع عن معاهدة عام ١٩٣٦ إذا كان ثمنها سيكون ابتلاع أرض جديدة من الوطن[104]، وعلى المجلس النيابي التراجع عن تصديقها[105].

واعتبرت تصديق «الاتفاقية الخاصة باللواء من الحكومة السورية خيانة وطنية تتحمل تبعته»[106].

وفي ١٥ شباط/ فبراير، أرسلت إلى عصبة الأُمم عريضة موقّعة من العرب والأرمن الذين يمثّلون أكثرية سكان اللواء ترفض فيها اتفاقية جنيف، وتطالب ببقائه ضمن الدولة السورية وبالإبقاء على التشريع السوري فيه، وباعتماد اللغة العربية وحدها كلغة رسمية للّواء[107]

وعندما أعلنت السلطات الفرنسية نظام الانتخاب في اللواء، المشروط بحق

---

(١٠٠) المصدر نفسه، ص ١٩٥.

(١٠١) القوتلي هو أحد القادة البارزين في الكتلة الوطنية. وأشرت في الفصل الثاني إلى أن الأرسوزي كان أمين فرع العصبة في اللواء. انظر: فرزات، المصدر نفسه، ص ١٨٩.

(١٠٢) بلاوني، المصدر نفسه، ص ١٩٦.

(١٠٣) فرزات، المصدر نفسه، ص ١٨٩.

(١٠٤) بلاوني، المصدر نفسه، ص ١٩٦.

(١٠٥) فرزات، المصدر نفسه، ص ١٨٨.

(١٠٦) بلاوني، المصدر نفسه، ص ١٩٦.

(١٠٧) فرزات، المصدر نفسه، ص ١٨٩- ١٩٠.

الانتخاب للذين يعرفون القراءة والكتابة فقط من سكانه، عملت العصبة على تعليم الأميِّين منهم[١٠٨].

ولما جرت الانتخابات اشتركت فيها، لكنها تعرَّضت لضغط شديد من سلطات الانتداب والأتراك والكتلة الوطنية التي رشَّحت مرشَّحين[١٠٩] موالين لسلطات الانتداب لمنافسة العصبة. وأمام ذلك الوضع الضاغط انسحبت العصبة من الانتخابات، ونشرت بياناً أوضحت فيه أنها انسحبت لكي لا تعطي النواب الخونة سلاحاً شرعياً يحاربون فيه تحت قبَّة برلمان الوحدة السورية واستقلال الوطن السوري[١١٠].

ومع بدء تنفيذ اتفاقية جنيف في ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر، أصدرت العصبة بياناً استنكرت فيه الموقف الصامت للعرب تجاه اللواء، ودعت الأمة العربية للاتحاد والتضامن لاستعادة الحقوق المسلوبة من أرض الوطن[١١١]. وألقت مسؤولية مصير اللواء على سياسة التعاقد التي انتهجتها الكتلة الوطنية، وعلى الحكومة السورية التي لم تنوِّر الرأي العام بالحقائق وإيهامه بأن البلاد أصبحت مستقلة، واصفة موقفها بالاستسلامي ومعارضته بشدة. وفي الوقت ذاته، قادت مظاهرات احتجاج كبيرة حيث كانت هذه المظاهرات التي حرَّكتها العصبة هي وحدها التي أشعرت عصبة الأمم في جنيف برفض السوريين للاتفاق. وقد أدَّى ذلك إلى اعتقال عدد كبير من أعضائها في لواء الاسكندرون، وإلى وقوع اصطدامات دامية بين العصبة والأتراك. ومثَّلت وحدها، في لواء الاسكندرون، الجانب العربي الشعبي ضد مؤامرات الفرنسيين والأتراك وسكوت حكومة الكتلة الوطنية[١١٢].

وفي ٤ تموز/ يوليو ١٩٣٨، حصل اتفاق سرِّي بين حكومة فرنسا وتركيا اعترفت فيه فرنسا بفصل لواء الاسكندرون عن سوريا واستقلاله، فأصبح يعرف منذ ذلك الوقت بدولة هاتاي، ثم ضمَّت تركيا هذه الدولة إليها في ٢٠ أيلول/ سبتمبر ١٩٣٨ بموجب قرار صادر عن عصبة الأمم[١١٣].

---

(١٠٨) المصدر نفسه، ص ١٩٠.

(١٠٩) فاز مرشحو الكتلة الوطنية في الانتخابات، وظهرت خيانتهم فيما بعد بانسحابهم من مجلس النواب السوري وانضمامهم إلى دولة هاتاي ثم إلى مجلس النواب التركي.

(١١٠) المصدر نفسه، ص ١٩٠.

(١١١) بلاوني، المصدر نفسه، ص ١٩٦.

(١١٢) فرزات، المصدر نفسه، ص ١٩٠.

(١١٣) الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، ص ٢٨٣- ٢٨٤.

وعندما ضمَّت تركيا اللواء، ترك زكي الأرسوزي ورفاقه تلك المنطقة وتوجَّه إلى حلب، ثم إلى دمشق ومنها إلى بغداد عام ١٩٣٩[١١٤].

ويظهر أن العصبة صعَّدت معارضتها للكتلة الوطنية بعد توقيع الكتلة معاهدة مع فرنسا عام ١٩٣٦ وضم تركيا اللواء إليها، لأن لونغريغ يشير إلى أن العصبة وإن لم تتمكن من الوصول إلى الحكم «غير أنها كانت دائماً قادرة على الضغط للقيام بأعمال متصلة»، ويرفق ذلك قائلاً إنها «لعبت دوراً بارزاً في الاسكندرون في ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨» خالقة «المزيد من المتاعب لحكومة الكتلة الوطنية»، ومهرجاناتها كانت تنتهي بعراك بين تنظيمها العسكري وتنظيم «القمصان الحديدية»[١١٥] العسكري أيضاً التابع لحركة الشباب الوطني المدعومة من الكتلة الوطنية[١١٦].

لقد وقفت العصبة تحذِّر من التآمر الفرنسي والأطماع التركية في سوريا منذ أن ظهرت محاولات لسلخ اللواء، مبرهنة أمام لجنة الخبراء الدولية أن أكثرية سكانه يرفضون التآمر على أرضهم وعروبتها والانفصال عن وطنهم.

وعدم ثقتها بوفد حكومة الكتلة الوطنية كان في محلِّه، لأنه لم يتمكن من كبح التآمر الفرنسي والأطماع التركية، ووقَّع على معاهدة ضمنت امتيازاً لتركيا في اللواء ومهَّدت الطريق لها لضمِّه.

وحاولت أن تمنع وقوع ذلك بفضح خطط المتآمرين، وقيادة المظاهرات ورفع الاحتجاجات، وتعليم الأميِّين كي يحق لهم الانتخاب دون أن تتمكَّن من تحقيق غايتها، لكنها كانت في الموقع القيادي لحركة المعارضة التي تصاعدت في مختلف المناطق السورية احتجاجاً على سلخ اللواء وسياسة الكتلة الوطنية وحكومتها، مكوِّنة حالة جماهيرية ضاغطة على نهج التفريط بالحقوق الوطنية.

(٢) موقفها من خطاب المطران مبارك

في نيسان/ أبريل، خطب سيادة المطران إغناطيوس مبارك في الكنيس اليهودي في بيروت حاملاً على العرب مسلمين ومسيحيين، ومتقرِّباً من الصهيونيين، داعياً

---

(١١٤) عبد الله حنا، **الاتجاهات الفكرية في سورية ولبنان، ١٩٢٠ - ١٩٤٥** (دمشق: المطبعة التعاونية، ١٩٧٣)، ص ٤٩.

(١١٥) تأسَّست فرقة القمصان الحديدية بتوجيه من الكتلة الوطنية أثناء مفاوضة وفدها في باريس بهدف تكوين نواة للجيش السوري الوطني. وأقامت أوَّل مهرجان لها في ٢١ أيار/ مايو ١٩٣٦. وكان أمين عامها منير العجلاني، لكن منير العجلاني انسحب من الكتلة الوطنية بعد توقيعها معاهدة ١٩٣٦. انظر: المعلم، **سورية، ١٩١٦-١٩٤٦: الطريق إلى الحرية**، ص ٢٧٤ و٢٨٤.

(١١٦) لونغريغ، **تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**، ص ٢٨٦-٢٨٧.

باسم بطريرك الطائفة المارونية إلى الترحيب باليهود في لبنان[١١٧].

عارضت العصبة خطاب المطران مبارك واستنكرته على صفحات الجرائد قائلة: «فعصبة العمل القومي التي تعتبر الأقطار العربية جميعها وطناً واحداً، وأهل هذه الأقطار أمة عربية واحدة، ما يعنيها دين أو مذهب أمام دين العروبة العام الشامل الصحيح، تستنكر مواقف صاحب السيادة المطران مبارك، وأقواله، استنكاراً شديداً وتحتج عليه للرأي العام العربي والحكومات العربية قاطبة...». وطالبت رجال الدين في الطائفة المارونية وفي مقدّمتهم غبطة البطريرك الجليل أن يضعوا حداً لمثل هذه المواقف «العابثة بكرامة الوطن وكرامة الأشخاص». وطلبت من الحكومة اللبنانية إصدار بيان تشجب فيه مواقف المطران مبارك وتمنع رجال الدين على مختلف عقائدهم من الاشتغال في السياسة وعدم التدخل فيها «لا من قريب ولا من بعيد»[١١٨].

يتبيّن من هذا الموقف للعصبة أنها كانت تؤيّد اتخاذ إجراءات تمنع بحزم رجال الدين الذين يعملون على تأييد الحركة الصهيونية من تكرار مثل هذه المواقف، لأن القيام بعمل كهذا من جانب مقامات رفيعة يؤدّي إلى تشجيع لهذه الحركة وإضعاف للحمة القومية العربية والدفاع عن فلسطين. كما يدل موقفها على معارضتها بشدّة لاشتغال أو تدخُّل رجال الدين، من مختلف الطوائف، في الشؤون السياسية، كي لا يأخذ العمل بالسياسة منحى طائفياً يؤدّي إلى انقسامات مذهبية تضعف الصف الوطني في مواجهة الاحتلال.

(٣) مشاركتها في مؤتمر بلودان المخصَّص لدعم فلسطين

أشرت سابقاً إلى أنه في ٧ تموز/يوليو أُعلن عن قرار تقسيم فلسطين وأصبحت الأوضاع فيها على عتبة ثورة جديدة، فدعت لجنة الدفاع عنها في سوريا، التي كان يرأسها نبيه العظمة، إلى مؤتمر في ٨/٩/ لبحث القضية الفلسطينية. وعقد المؤتمر في موعده في بلودان في دمشق، وأوضح أسباب عقده أمين سر لجنة الدفاع، فؤاد خليل مفرج، قائلاً: «ليبحث في قضية فلسطين العربية وليضع الأساليب ويتخذ التدابير الفعّالة التي من شأنها أن تساعد العرب في ذلك الجزء العزيز من الوطن العربي الكبير للوصول إلى الظفر في صراعهم العنيف المتواصل مع القوى الاستعمارية من بريطانية وصهيونية»[١١٩]، وللتأكيد على

---

(١١٧) ناصر الدين، هكذا كنا نكتب، ص ٢٤٩.

(١١٨) المصدر نفسه، ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(١١٩) زعيتر، يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥- ١٩٣٩، ص ٣١٦- ٣١٧.

ارتباط مصلحة العرب عامة بما كان يجري في فلسطين(١٢٠).

وحضر المؤتمر الوفود العربية التالية: وفد العراق (تمثَّل في ناجي السويدي رئيس وزراء العراق سابقاً، انتخب رئيساً للمؤتمر)، وفد مصر (تمثَّل في محمد علي علوبة باشا عضو مجلس الشيوخ المصري ووزير المعارف والأوقاف سابقاً، انتخب نائباً للرئيس)، وفد فلسطين (تمثَّل في عزة دروزة، انتخب أمين السر العام)، وفد لبنان (تمثَّل في رياض الصلح، انتخب مقرِّراً)، وفد شرقي الأردن (تمثَّل في صبحي أبو غنيمة)، وتمثَّلت سوريا بنائب دمشق صبري العسلي (انتخب مساعداً لأمين السر)(١٢١).

وحضره أيضاً عدد كبير من الشخصيات العربية المناضلة بلغ عددهم ٤٠ شخصاً، بدون أعضاء العصبة، منهم: الأمير شكيب إرسلان (انتخب نائباً ثانياً للرئيس)، المطران إغناطيوس حريكة (وهو مطران حماة للروم الأرثوذكس، انتخب نائباً ثالثاً للرئيس)(١٢٢)، عبد العزيز القصاب (انتخب رئيساً للَّجنة السياسية)، عمر الداعوق (انتخب رئيساً للَّجنة الاقتصادية والمالية)، فخر البارودي (انتخب رئيساً للجنة الدعاية)، جبران تويني (انتخب أميـن سر اللجنة السياسية)، منير العجلاني (انتخـب مقرراً للَّجنة السياسية)، فؤاد سابـا (انتخب أمين سر اللجنة الاقتصادية والمالية)، عزيز الهاشم ووديع البستاني ونزيه مؤيد العظم ومحمد جميل بيهم من الذين حضروا أعمال لجنة الدعاية(١٢٣).

ولقد لعبت العصبة دوراً فيه، فهي:

أ - شاركت في الدعوة إليه(١٢٤).

ب - ساعدت رئيس لجنة الدفاع عن فلسطين في تنظيمه وإنجاحه(١٢٥).

ج - تمثَّلت فيه بقوة وساهمت في صنع القرارات التي اتخذها(١٢٦).

---

(١٢٠) ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ١٧٩٨ - ١٩٣٩، [ترجمه إلى العربية كريم عزقول] (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٦٨)، ص ٣٤٩.

(١٢١) زعيتر، المصدر نفسه، ص ٣١٧- ٣١٨.

(١٢٢) المصدر نفسه، ص ٣١٧.

(١٢٣) المصدر نفسه، ص ٣٢١- ٣٢٣.

(١٢٤) مقابلة مع العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في ٢٤/ ٩/ ١٩٩٠.

(١٢٥) المصدر نفسه، ص ٣١٥.

(١٢٦) بلاوني، «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣- ١٩٣٩»، ص ١٩٦.

وتمثّلت العصبة في هذا المؤتمر بـ: فريد زين الدين (انتخب مقرراً للّجنة الاقتصادية والمالية)، أكرم زعيتر (انتخب عضواً في لجنة الدعاية)، علي ناصر الدين ونصري المعلوف وقسطنطين يني وصلاح لبابيدي وعلي البزي وثابت العزاوي وأحمد الشهابي (شاركوا في أعمال لجنة الدعاية)[١٢٧]، عبد الكريم العائدي، نقولا خير، أبو الهدى اليافي، زكي الأرسوزي، عبد الدائم الأتاسي، عرفان الجلاد، عبد الكريم فياض الدندشي، شفيق سليمان، واصف كمال، عبد القادر الميداني وزكي الجابي حضروا المؤتمر أيضاً[١٢٨].

أما مقرّراته، فكانت تشكيل اللجان الثلاث التي سبق ذكرها، إضافة إلى:

١- أن فلسطين جزء لا ينفصل عن أجزاء الوطن العربي.

٢- رفض ومقاومة تقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية فيها.

٣- الإصرار على طلب إلغاء الانتداب ووعد بلفور وعقد معاهدة مع بريطانيا تضمن للشعب العربي الفلسطيني استقلاله وسيادته، وأن تكون حكومة دستورية للأقلّيات فيها ما للأكثريات من الحقوق وفق المبادئ الدستورية العامة.

٤- تأييد طلب وقف الهجرة اليهودية عاجلاً وإصدار تشريع يمنع انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود.

٥- يعلن المؤتمر أن استمرار الصداقة بين الشعب البريطاني والعربي متوقّف على تحقيق المطالب السابقة، وأن إصرار إنكلترا على سياستها في فلسطين يرغم العرب أجمع على اتخاذ اتجاهات جديدة. كما أن الائتلاف بين العرب واليهود لا يتم إلا على هذه الأسس.

٦- إرسال هذه القرارات إلى عصبة الأُمم وغيرها من المراكز ذات الشأن[١٢٩].

ووافق المؤتمر على جميع ما جاء في تقريريّ لجنة الدعاية ولجنة المالية من مقترحات، وعلى إحالتها على اللجنة التنفيذية للمؤتمر للعمل على إنفاذها، والتي

---

(١٢٧) شارك في أعمال هذه اللجنة أيضاً: وديع البستاني، بهجت الأثري، عزيز الهاشم، محمد جميل بيهم، علي عبيد، نجيب الصايغ، إبراهيم الواعظ، عيسى العيسى، نزيه مؤيد العظم، حسن الأمين، محمد السراج، الشيخ أحمد رضا، عارف الزين، عبد الحسين الشيخ سعيد، توفيق الجوهري، سليمان المسوتي، نظمي الشهال، أكرم سلطان، عارف غريب، د. كمال زويده، أحمد المحمصاني، منير الريس، يوسف هيكل، رامز شوقي. انظر: زعيتر، المصدر نفسه، ص ٣٢١- ٣٢٢.

(١٢٨) المصدر نفسه، ص ٣٢٥، وبلاوني، المصدر نفسه، ص ١٩٦.

(١٢٩) زعيتر، المصدر نفسه، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

كانت تتألّف من اللجنة العربية العليا في فلسطين[١٣٠]، ومندوب عن كل بلد عربي.

وأيّد اقتراح أكرم زعيتر الداعي إلى حث الحكومات العربية لعقد مؤتمر خاص بشأن القضية الفلسطينية كما فعلت شعوبها، ووافق على العمل من أجل بلوغه[١٣١].

لا شك في أن الحضور الكثيف للعصبة الذي بلغ ٢٠ عضواً من لبنان وفلسطين وسوريا والعراق من أصل ٦٦ عضواً مشاركاً في المؤتمر، أي ما يقارب ثلث الحضور، قد أثّر في مقرّاراته واللجان التي تشكّلت فيه. ولذلك تمثّلت في اللجنتين اللتين شكّلهما المؤتمر، وانتخب فريد زين الدين مقرراً للّجنة الاقتصادية، وأكرم زعيتر عضواً في لجنة الدعاية.

أما بالنسبة لقرارات المؤتمر، فالقرار الثالث يؤكّد على حق الأقلّيات بالتمتُّع بنفس حقوق الأكثرية، وهذا ما كانت العصبة قد أكّدته في بيان مؤتمرها التأسيسي الذي جاء فيه: «. . . لا فرق في الحقوق والوجائب بين مواطن ومواطن أياً كان مذهبه أو منبته أو لغته. . .».

والقرار الرابع يطالب بإصدار تشريع يمنع انتقال الأراضي إلى اليهود، وقد أوضحت العصبة في البيان ذاته أن إحدى وسائل عملها في محاربة الصهيونية هي تحريم بيع الأرض لهم. كما يطلب هذا القرار من عصبة الأمم تأييد طلب وقف الهجرة اليهودية عاجلاً، وكانت العصبة في عام ١٩٣٣ قد أبرقت إلى عصبة الأمم تطلب منها «اتخاذ التدابير السريعة لمنع دخول الصهيونيين. . . لفلسطين».

والقرار الخامس فيه تحذير لبريطانيا إن استمرّت في سياستها المنحازة للحركة الصهيونية سيؤدّي ذلك إلى قطع أواصر الصداقة بين الشعب العربي والبريطاني، واتخاذ مواقف واتجاهات جديدة، وكانت العصبة في عام ١٩٣٦ قد أرسلت برقية إلى وزارة الخارجية البريطانية جاء فيها: «فعصبة العمل القومي في سوريا تجد في تنكر السياسة البريطانية للعرب قضاءً مبرماً على سمعة بريطانيا في الشرق وحافزاً للعرب جميعاً على مناهضة العنف بالعنف. . .».

كما أن تمثُّل العصبة بثمانية أعضاء في لجنة الدعاية، هم: علي ناصر الدين، قسطنطين يني، علي بزي، صلاح لبابيدي، أحمد الشهابي، ثابت العزاوي، نصري

(١٣٠) تألّفت هذه اللجنة في أواخر نيسان/ ابريل ١٩٣٦ برئاسة الحاج أمين الحسيني. انظر: دروزة، حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات، ص ١١٨.

(١٣١) زعيتر، المصدر نفسه، ص ٣٢٤.

المعلوف، أكرم زعيتر[١٣٢]، وذلك من أصل ٣٢ عضواً مشاركاً في أعمالها، أي ما يقارب ثلث الأعضاء، يدل على مشاركة فاعلة للعصبة في مقرَّرات هذه اللجنة وفي الدعوة للقضية الفلسطينية.

(٤) مشاركتها في مؤتمر الشباب القوميّين العرب

أثناء عقد مؤتمر بلودان، اتفق عدد من المناضلين القوميِّين العرب من العراق وشرقي الأُردن وسوريا وفلسطين ولبنان على عقد مؤتمر للشباب العربي القومي[١٣٣].

وعقد المؤتمر، وبلغ عدد المشاركين فيه ٥٤ شخصاً من البلدان المذكورة، بالإضافة إلى وفد من طرابلس الغرب ممثَّلاً في كامل العياد وبكري قدورة.

ولقد ساعدت العصبة في تحقيق هذا الاجتماع للشباب العربي وأعدَّت مكاناً لعقد المؤتمر في أحد مقاهي الزبداني.

وشارك معظم أعضائها الذين حضروا مؤتمر بلودان في مؤتمر الشباب الذي اختار لإدارة جلسته يونس السبعاوي، ولأمانة السر أكرم زعيتر وكاظم الصلح.

وأقرَّ المؤتمر: «ضرورة عقد مؤتمر عربي يمثل شباب العرب القوميين في كافة الأقطار العربية بما فيها مصر والسودان والمغرب للقيام بواجبهم نحو القضية العربية وتحقيق أهدافها».

واتُّفق على أن يعقد مثل هذا المؤتمر في إحدى العواصم الأوروبية حيث يتوفر الجو الحُر بعد أن يستكمل الإعداد له.

ثم انتخب المؤتمر لجنة تحضيرية أكثريَّتها من المقيمين في دمشق، بالإضافة إلى أكرم زعيتر وفريد زين الدين وكاظم الصلح وواصف كمال وعرفان الجلاد الذي انتخب أميناً للصندوق[١٣٤].

إن وقائع عقد هذا المؤتمر مماثلة إلى حد ما لوقائع عقد المؤتمر العربي في القدس الذي انبثق عن المؤتمر الإسلامي فيها، وكان علي ناصر الدين وصلاح الدين بيْهم من العاملين لعقده والمشاركين فيه.

---

(١٣٢) تجدر الإشارة إلى أن أكرم زعيتر ونصري المعلوف كانا في عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ يدعوان للقضية الفلسطينية في أمريكا اللاتينية. انظر: علي ناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، أخرجته لجنة إحياء ذكرى المجاهد علي ناصر الدين (بيروت: [د. ن.]، ١٩٨٠)، ص ٩.

(١٣٣) زعيتر، المصدر نفسه، ص ٣٢٣.

(١٣٤) المصدر نفسه، ص ٣٢٥- ٣٢٦.

لذلك فإن قيام العصبة في تحضير مكان لعقد مؤتمر للشباب القوميين العرب، ومشاركتها بفاعلية فيه، وقرار المؤتمر الذي أتى متفقاً مع نهجها، ووقائع عقده الشبيهة بوقائع عقد المؤتمر العربي في القدس، يدل على أنها كانت محرّكة لهذه الخطوة في ذلك الحضور العربي الكبير في مؤتمر بلودان، المتمثّل بوفود من عدّة بلدان عربية في آسيا وأفريقيا، لإعطاء دفع للعمل القومي العربي في سبيل القضية العربية.

هـ - مواقفها ونشاطاتها عام ١٩٣٨

(١) دعمها للثورة في فلسطين ومشاركتها فيها

أشرت في بداية هذا الفصل إلى أن الثورة الفلسطينية اندلعت من جديد في أيلول/ سبتمبر ١٩٣٧، واستمرت حتى آخر عام ١٩٣٨.

ولقد كان للعصبة دور فيها. فعدد من أعضائها كانوا مكلّفين بنقل السلاح من العراق إلى الثورة في فلسطين، وكان المحامي شفيق سليمان يتولىّ الإشراف على ذلك[١٣٥].

وفي أواخر عام ١٩٣٧، قام بعض أصدقاء العصبة في لبنان بتمثيل رواية في بلدة الشوير خصّصوا ريعها لمساعدة المنكوبين من جرّاء الثورة، وقام أعضاء العصبة بجمع التبرّعات، فأرسلت التبرّعات وريع الحفلة إلى قسطنطين يني بصفته مسؤولاً عن لجنة إعانة المنكوبين في فلسطين، وكان في ذلك الوقت فيها مشاركاً في الثورة عام ١٩٣٨[١٣٦].

ويقول محمود حسن المقدم إن العصبة أرسلته مع مجموعة من رفاقه إلى المجاهد سليم شمّا أحد الزعماء المجاهدين من عكا في فلسطين أواخر عام ١٩٣٧، كي يوصلهم إلى مقر اللجنة العربية العليا لدعم الثوار. وهناك اشتركوا في المعارك التي اندلعت ضد الصهاينة والمستعمرين في طولكرم ونابلس بقيادة المجاهد عمر الخويري، ثم انتقلوا إلى القدس واشتركوا في الأعمال الحربية التي اندلعت فيها ضد المحتلين. وأصيب هو نفسه بجروح خفيفة في هذه المعارك، واستمر ورفاقه في دعم الثوار حتى نهاية صيف عام ١٩٣٨ حيث عادوا إلى لبنان بطلب من العصبة[١٣٧].

---

(١٣٥) بلاوني، «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣- ١٩٣٩»، ص ١٩٦.

(١٣٦) أوضحت خلال تعريفي بقسطنطين يني أنه ردَّ من فلسطين على التبرعات التي أرسلت له بكتاب عنوانه: يوم فلسطين في لبنان. انظر: مقابلة مع المحامي أديب خليل مجاعص في ١٩/ ١٠/ ١٩٩٠.

(١٣٧) مقابلة مع الأستاذ محمود حسن المقدم في ٥/ ١٢/ ١٩٩٨.

وذكرت خلال تعريفي بعلي ناصر الدين وأكرم زعيتر أن ناصر الدين شارك في هذه الثورة، وزعيتر كان في مصر يعمل على غير صعيد من أجل تأييد ودعم جهاد شعب فلسطين في دفاعه عن وحدة بلاده وسيادتها.

(٢) موافقتها على لبنان بحدوده الحاضرة

على أثر تغيير العصبة لموقفها من الوحدة السورية[١٣٨]، أعلنت عن موافقتها على لبنان كقطر عربي وليس كجزء من قطر على قاعدة العمل من أجل تحريره من الأجنبي. وأعرب علي ناصر الدين عن هذا الموقف قائلاً: «... تبين للعصبة بعد تجارب عديدة ودروس وأبحاث أن فكرة معينة تتعلق بلبنان، الذي كان القوميون العرب العارفون المخلصون في كل مكان، يرون فيه إقليماً من أقاليم ديار الشام، تستحق أن تدرس. وأن هذه الفكرة قد تجمع اللبنانيين على صعيد واحد، وتتجه بهم الإتجاه الصحيح.

وقد أوحى للعصبة بهذه الفكرة عوامل عديدة كان في مقدمتها التطور الذي بدأ يظهر في تفكير بعض اللبنانيين بشأن قومية أهل لبنان وعروبته، فقد طغت يومذاك إلى حد ما، في أقلام الكتاب وعلى ألسنة بعض الناس عبارة: لبنان وطن عربي مستقل. وكان هؤلاء أنفسهم إلى عهد غير بعيد من ذلك اليوم يتنكرون لكل ما هو عربي، ... ويستقبلون الغرب بوجوههم وعقولهم وعواطفهم بلا احتياط. أما الفكرة فهي مماشاة القائلين بكيان لبنان في قولهم واعتباره قطراً عربياً قائماً بنفسه وليس جزءاً من قطر، على أن يجارينا المتنكرين للعرب وللعروبة في العمل لتحرير لبنان من الأجنبي، واستقلاله على أساس أن أهله عرب وليسوا فينيقيين ولا من بقايا الشعوب المنقرضة على سواحل هذا البحر الأبيض، ولتوجيهه وجهة الشرق العربي وتقريبه من الأقطار العربية الشقيقة. وقد اقتنع رجال العصبة بصواب فكرتهم فنشروها ودعوا إليها غير مبالين بالمقاومة»[١٣٩].

يتبيَّن من هذا الموقف للعصبة أنها أصبحت في بداية عام ١٩٣٨ متخلِّية عن العمل من أجل الوحدة السورية، ومقرَّة بلبنان كما هو عليه، ومستعدَّة للالتقاء مع الهيئات غير الوحدوية إنما المعارضة للانتداب، وذلك على قاعدة العمل من أجل استقلال لبنان التام وتقاربه مع الأقطار العربية على أساس القومية العربية.

---

(١٣٨) لقد غيَّرت العصبة موقفها من الوحدة السورية في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٣٧. وسأوضح ذلك خلال مناقشتي لدورها.

(١٣٩) أحمد طربين، **الوحدة العربية في تاريخ المشرق المعاصر، ١٨٠٠- ١٩٥٨** (دمشق: [د. ن.]، ١٩٧٠)، ص ٢٣٨.

(٣) مشاركتها في الاجتماعات التي انتهت بصيغة وفاقية حول الوضع اللبناني

ما بين ١٠ آذار/مارس و ٦ أيار/مايو عقد فريق من اللبنانيين عدّة اجتماعات في منزل يوسف السودا، رئيس الجبهة الوطنية، للتباحث في الأوضاع السياسية. وانتهت اجتماعاتهم بإصدار بيان حمل قواسمَ مشتركة تعبِّر عن صيغة وفاقية وطنية حول الوضع اللبناني، اتفق عليها المجتمعون وطالبوا بتحقيقها، وأدّت في ما بعد إلى الميثاق الوطني(١٤٠). وتضمَّن البيان:

أوّلاً: استقلال لبنان في حدوده الراهنة وكيانه الجمهوري وحكومته الوطنية.

ثانياً: تعزيز علاقات لبنان بالدول العربية المجاورة، تمهيداً لعقد تحالف يضمن للبنان ولهذه البلاد الاستقلال التام والإنماء الاقتصادي والكرامة الوطنية، على أن يبقى كل في إطار كيانه الخاص.

ثالثاً: تأمين المساواة بين اللبنانيين على أساس العدالة والكفاءة لا على أساس طائفي.

رابعاً: توحيد الثقافة الوطنية وذلك بتعميم التعليم الابتدائي المجاني والإلزامي، ووضع برنامج تعليم تسعى الحكومة لتطبيقه في كل المؤسَّسات التعليمية.

خامساً: اللغة العربية هي اللغة الرسمية الوحيدة.

سادساً: تأمين حرية الصحافة والاجتماعات والجمعيات والأحزاب السياسية.

سابعاً: إلغاء كل الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة وتطبيق مساواة الجميع أمام العدالة.

ثامناً: تنمية الاقتصاد وتشجيع الصناعة الوطنية وحماية الآثار التاريخية.

تاسعاً: الاهتمام بالمهاجرين والعاطلين عن العمل والشباب والعمال والفلاحين والتجار والموظفين وقوى الأمن(١٤١).

ووقَّع على البيان: سليم إدريس و د. نسيب بربير ورفيق براج وصلاح بيْهم وسليم سنو وأحمد الشامي وتقي الدين الصلح وعبد القادر طبّارة وعفيف الطيبي (سنّة)، د. الياس بعقليني ويوسف الحويك وجميل الخازن و د. الياس خوري وحبيب كيروز وقيصر الجميِّل وتوفيق يوسف عواد (موارنة)، د. توفيق رزق ونجيب الصايغ

---

(١٤٠) الجسر، ميثاق ١٩٤٣: لماذا كان؟ وهل سقط؟، ص ٧٥ و٨٥.

(١٤١) المصدر نفسه، ص ٨٦.

ونصري المعلوف (روم كاثوليك)، د. حبيب ربيز وميشال عقل (روم أرثوذكس)، ملحم غرز الدين (درزي)، عبد الله الحاج وعادل عسيران وزهير عسيران (شيعة)[١٤٢].

فبذلك يكون أربعة من أعضاء العصبة موقّعين على بيان الوفاق الوطني، هم: صلاح بيْهم، نصري المعلوف، ملحم غرز الدين وزهير عسيران.

ويظهر من توقيع أربعة من أعضاء العصبة على هذا البيان، إضافة إلى ما جاء فيه، وفي الرسالة التي أرسلها يوسف السودا إلى صديق له، وما كتبته جريدة **اليوم**، أنه كان للعصبة دور بارز في هذا الوفاق الوطني.

فالبند الثاني من البيان يطالب بتعزيز علاقات لبنان بالدول العربية المجاورة تمهيداً لعقد تحالف يضمن له ولهذه البلاد الاستقلال التام. وفيه تطابق مع مطالبة العصبة بالاستقلال التام للبلدان العربية، ومع ما أعلنته عشية هذه الاجتماعات بشأن علاقات لبنان»... ولتوجيه وجهة الشرق العربي وتقريبه من الأقطار العربية الشقيقة».

كما أن البنود الأُخرى التي تطالب بتنمية الاقتصاد الوطني وأن تكون اللغة العربية اللغة الرسمية الوحيدة، وتعميم التعليم، والاهتمام بالعمال والفلاحين، وإلغاء كل الامتيازات الأجنبية، والأخذ بمبدأ الكفاءة، جميعها تتطابق مع أهداف العصبة التي أوضحتها في الفصل الثاني، وتدل على رفض الموقّعين على البيان للمعاهدة اللبنانية ــ الفرنسية عام ١٩٣٦.

أما رسالة يوسف السودا التي أرسلها إلى صديق له في عام ١٩٣٩، فيقول فيها: «... لم نتمكن، رغم كل الجهود، إقناع إخواننا المسلمين للعمل من أجل الكيان اللبناني، غير أننا لم نيأس، وهكذا بعد سنتين من الاجتماعات والمناقشات توصلنا إلى الاتفاق على هذا «الميثاق الوطني» فلأول مرة في التاريخ يناضل المسلمون والمسيحيون سياسياً في جانب واحد تحت رمز الأرز وفي إطار الكيان اللبناني. لقد توصلنا إلى هذه النتيجة بفضل نفر من الوجهاء المسلمين منهم الدكتور سليم إدريس وكاظم وتقي الدين الصلح وأنيس نجا وعمر منيمنة وصلاح بيهم»[١٤٣].

فهذه الرسالة تظهر صلاح بيْهم كمشارك في الاجتماعات التي أدّت إلى صيغة مشتركة للنضال من أجل استقلال لبنان، وتؤكّد أن هذه الاجتماعات بدأت قبل

---

(١٤٢) المصدر نفسه، ص ٧٥.

(١٤٣) المصدر نفسه، ص ٨٤.

سنتين، أي في عام ١٩٣٧، وهو التاريخ الذي أعلنت فيه العصبة عن تعديل خطّة نضالها، وأقرّت العمل على أساس الكيان الجغرافي الحاضر للبنان، متخلّية عن مطالب الوحدة السورية دون أن تتخلّى عن الوحدة العربية.

إن ما جاء في الرسالة، بالإضافة إلى ما قاله علي ناصر الدين في عام ١٩٣٨ عن بعض أسباب تعديل العصبة لخطّة نضالها: «وأن هذه الفكرة[١٤٤] قد تجمع اللبنانيين على صعيد واحد، . . .» يدلّ على أن العصبة قد بدأت من أواخر عام ١٩٣٧ تشارك في هذه الاجتماعات التي انتهت بالإعلان عن الميثاق الوطني في لبنان.

وأشرت سابقاً إلى أن كاظم الصلح دعا بعد مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة في عام ١٩٣٦ إلى توافق الاتجاه الوطني الانفصالي مع الاتجاه الوطني الوحدوي لتحقيق الاستقلال للبنان، لكن هذا الاتفاق الوطني لم يظهر إلا بعد تعديل العصبة لخطّة نضالها ومشاركتها في الاجتماعات التي انتهت بالإعلان عنه.

أما جريدة **اليوم** فقد كتبت تقول عن تعديل العصبة لخطّة نضالها: «الأستاذ علي ناصر الدين في نظرنا وفي نظر الكثير من الناس الكاتب العربي الجريء ذو العقيدة الثابتة النزيه في مقاصده، النظيف في جهاده».

«وللأستاذ ناصر الدين رأي محترم ليس هنا فقط، بل في جميع الأقطار العربية، التي تعتز بجهاده المخلص في سبيل القضية العربية الكبرى، فإذا تحدث عن اتجاه فإن لهذا الاتجاه قيمته وأنصاره».

«ولأول مرة، فيما نعتقد، يكتب الأستاذ ناصر الدين مقالاً عن كيان لبنان، في نطاق القومية العربية، وهو كما قلنا اتجاه جديد له وزنه وله اهميته»[١٤٥].

وذكرت سابقاً أن رسالة يوسف السودا أشارت إلى «. . . فلأول مرة في التاريخ يناضل المسلمون والمسيحيون سياسياً في جانب واحد تحت رمز الأرز وفي إطار الكيان اللبناني».

وبعد أن أوضحت ما أشارت إليه جريدة **اليوم** ورسالة يوسف السودا، يمكنني القول إن العمل من أجل استقلال لبنان كما هو عليه، والذي ظهر في أوائل الثلاثينيات مع حزب الاستقلال الجمهوري، وفي منتصفها مع الكتلة الدستورية، وفي أوائل عام ١٩٣٦ مع تيّار كاظم الصلح والجبهة الوطنية، أصبح له تأثير سياسي

(١٤٤) لقد أوضحت سابقاً ما عنته العصبة في هذه الفكرة.
(١٤٥) ناصر الدين، هكذا كنا نكتب، ص ١٢٧.

أكبر وأفعل بعد تغيير العصبة خطّة نضالها. لأن العصبة كانت أبرز القوى اللاطائفية، ومنتشرة في جميع المناطق اللبنانية، وقادرة دائماً على القيام بأعمال متّصلة، والأكثر حزماً في مواجهة الاستعمار، ورأيها له وزن محلياً وعربياً.

ولقد حمل البيان تواقيع أعضاء من الجبهة الوطنية، مثل: د. الياس بعقليني، د. الياس خوري و د. توفيق رزق. ومن التيّار الاستقلالي الذي مثّله كاظم الصلح، مثل: تقي الدين الصلح وعادل عسيران. وهناك ما يدل على تقارب العصبة مع هذه القوى. فكاظم الصلح وإن طالب بتأجيل المطالبة بالوحدة لكنه طالب بالعمل من أجل تحقيق استقلال لبنان. وأشرت سابقاً إلى أنه أوضح في كرّاسه «مشكلة الاتصال والانفصال في لبنان» بأنه وعلي ناصر الدين يعتنقان الخطّة المسلكية نفسها.

والجبهة الوطنية، كما أوضحت في الفصل الأول، لم يكن مؤسسوها من طائفة واحدة، وقد هدفت إلى استقلال لبنان وإدخاله في جمعية الأمم وإقامة علاقة جيدة مع سوريا.

كما أن أحد مؤسّسي هذه الجبهة هو النائب ميشال زكور، والنائب ميشال زكور هو الذي أعطى الترخيص إلى «عصبة تكريم الشهداء» عندما كان وزيراً للداخلية عام ١٩٣٦، وكان يتعاون مع هذه العصبة[(١٤٦)]، وهذه العصبة أكثرية أعضائها هم من مؤسّسي عصبة العمل القومي (اللبنانيون) وتولّوا مسؤوليتها طوال تلك الفترة[(١٤٧)]. وعلي ناصر الدين أشاد بمواقف الوزير ميشال زكور قائلاً: «وأذكر للتاريخ، ونزولاً على شرعة الإنصاف، أن رجلاً واحداً من اللبنانيون بعد أن صار «رسمياً»: وزيراً للداخلية، قرف من تلك اللعبة أو البدعة الفرنسية، واحتقرها، وفهمنا، وجاهد فعلاً في إقناع السلطة، أن تعود عن تلك المهزلة الحقيرة المفضوحة، . . . ونجح».

«ومالي وللوزراء والوزارات، فليس لهذا أية قيمة. وإنما القيمة في الرجولة ــ فلأقُل: ذلك الرجل، هو المرحوم ميشال زكور»[(١٤٨)].

---

(١٤٦) ناصر الدين، صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث، ص ١٧.

(١٤٧) انظر ترجمة المؤسّسين في الفصل الثاني من هذا الكتاب. كما أن أعضاء عصبة العمل القومي استمروا يتولّون مهام عصبة تكريم الشهداء حتى عام ١٩٧٥، حيث اندلعت الحرب الأهلية ولم يعد بامكان العصبة القيام بالاحتفالات. انظر: مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١٠/ ١٠/ ١٩٩٠. وهو آخر أمين عام لعصبة تكريم الشهداء حين إعداد هذا البحث.

(١٤٨) قسطنطين يني، صفحة من التاريخ القومي العربي الحديث، أخرجته اللجنة التي أحيت ذكرى قسطنطين يني في قاعة دار الكتب اللبنانية (بناية المجلس النيابي) (بيروت: [د. ن.]، ١٩٤٨)، ص ٢٢- ٢٣.

إن إعلان ممثّل التيّار الاستقلالي، كاظم الصلح، عن أنه وعلي ناصر الدين يعتنقان خطّة مسلكية واحدة، وتعاون أحد مؤسّسي الجبهة الوطنية، الوزير ميشال زكور، مع عصبة تكريم الشهداء التي أكثرية أعضائها من مؤسّسي عصبة العمل القومي، وإشادة ناصر الدين بالوزير زكور، جميعها مواقف تدل على تقارب العصبة مع هذه القوى على الساحة اللبنانية بعد منتصف الثلاثينيات، واجتماعها معها للخروج معاً في موقف وطني مشترك.

ويتبينّ مما تقدم أن العصبة مع التيّار الاستقلالي والجبهة الوطنية وضعوا أُسس الوفاق الوطني، وهم أركانه، وللعصبة فضل كبير في تحقيقه.

و- ردّها على التشكيك بالجامعة العربية

في هذا العام كتب العالم أحمد لطفي السيد مشكّكاً في الجامعة العربية، معتبراً إيّاها فكرة من اختراع رجل إنكليزي.

ولقد ردّت العصبة على هذا الرأي. ففي نيسان/ أبريل كتب علي ناصر الدين تحت عنوان: النهضة في طريقها إلى الهدف. قائلاً: «قرأت في مجلة **الرسالة** المصرية الغراء رأياً للعالم الجليل، أحمد لطفي السيد في الجامعة العربية، أثار في نفسي استغراباً شديداً...».

«وخلاصة هذا الرأي، أن الأقطار العربية لا يمكن أن تجتمع، أو أن تتحد، إلا في الثقافة، أما في السياسة فهذا شيء غير مستطاع! وأن الجامعة العربية، إنما هي حلم، اخترعته مخيلة رجل إنكليزي، لا يذكر السيد الجليل، احمد لطفي السيد، اسمه، ويذكر أنهم يقولون أنه كان مكاتباً لجريدة **التايمز** الإنكليزية»!

«وماذا يمنع أن تكون هذه الجامعة اليوم، وهي كادت تتكون منذ مائة سنة(*)، والمفروض أن يكون الشعور بالحاجة إليها، ينمو ويتسع ويشتد».

«إنني اعتقد، أن كل ما هنالك من عوامل، للتجمع، والاتحاد، متوفرة للأقطار العربية، والحكومات العربية، أكثر من توفرها لغيرها... فإن عناصر النهضة العربية القومية نفسها، تتصل بالمصلحة والحاجة وسنة تنازع البقاء،... اتصالها بالعاطفة والعنعنات النفسانية، وهذا لا يخفى على أحد من العارفين بالأقطار العربية، وجغرافيتها، وتنوع مناخها، ومختلف إنتاجها، والشعور الكامن في شعوبها، ولعل مما يوحي إلى بعض الناس، بمثل رأي العالم الفاضل، السيد

(*) المقصود: أيام محمد علي الكبير.

أحمد لطفي السيد، عدا سياسة الشهوات الآنية، . . . غفلت بعض العاملين، في ميدان القضية العربية، عن التنظيم، وذهابهم مع العاطفة. . .».

«على أن هذا العمل، قد مهّد له، من يضطلع به، ويؤمن بقدرته عليه: شبان من مختلف الأقطار العربية فيهم الطبيب والمحامي والأديب والصحافي والمهندس والعامل والفلاح والتاجر، ويغلب فيهم المثقفون الرصناء، الذين صقلتهم الخطوب وحنكتهم التجارب. .. مؤمنون بحق أمتهم، وبمستقبلها، وبقابليتها، وعبقريتها، غير مستعجلين، موطدو العزيمة، موحدوالإرادة، صلاب العود. .. يموت من يموت منهم، ويولد من يولد، والنهضة في طريقها، إلى الهدف الأعلى، كأنما هي عالم، من عوالم هذا الكون. . .»(١٤٩).

لقد أوضحت العصبة في هذا الرد على المشكِّكين بالوحدة العربية، أن هذه الوحدة كادت تتحقَّق في زمن غير بعيد، أي أيَّام محمد علي الكبير، لو لم يتدخل الاستعمار ويفشلها. كما أن عوامل هذه الوحدة ما زالت متوفِّرة في البلاد العربية لأن لها جذوراً في التاريخ العربي. ولذلك فهي ليست فكرة مستوردة أو نظرية خيالية، إنما هي هدف قومي، وتحقيقها مسألة تتوقَّف على مدى استعداد العرب للجهاد المنظَّم في سبيلها.

احتفال مدرسة قرنايل

أقامت العصبة احتفالاً في مدرسة قرنايل، بعد انتهاء العام الدراسي، حضره عدد كبير من أبناء البلدة المذكورة والقرى المجاورة لها، بالإضافة إلى عدد من الطلاب ورجال السياسة من بيروت وعدَّة مناطق.

وألقى كلمة الافتتاح علي ناصر الدين مرحِّباً بالحضور ومطالباً بالاستقلال التام للبنان والبلدان العربية، وبالعمل لصيانة الأراضي الفلسطينية وتقديم المساعدة للثوار والمنكوبين فيها، ثم أُلقيت عدَّة كلمات سياسية وثقافية، كانت منها كلمة الأديبة زاهية أيوب التي دعت الشباب للاجتهاد في تحصيل العلوم، والنضال في سبيل الأهداف الوطنية(١٥٠).

وتذكر مجلة **الطليعة** أن هذا الاحتفال السنوي لمدرسة قرنايل جرى تحت رعاية عصبة العمل القومي، وأن الأديبة زاهية أيوب ألقت فيه كلمة جاء فيها: «هذه واجباتكم الوطنية التي تخلق القوة لقوميتنا وتبعث الحب لها: ببعث التساهل،

(١٤٩) ناصر الدين، هكذا كنا نكتب، ص ١٤٨ - ١٥٠.

(١٥٠) مقابلة مع السيِّدة عفاف توفيق الأعور في ٤/ ١٠/ ١٩٩١.

وتصفية النفوس، والإيمان بالقوى الأخلاقية الكامنة فينا... وليس لكم أن تسمعوا للقائلين ــ المثبطي العزائم ــ بأن القومية التي ننشرها ضرب من الأحلام وأنها بعيدة المنال لن نراها في حياتنا. فالقول الأول يدحضه العلم والتاريخ، والقول الثاني... لا يبرر الخمول والتقاعس عن العمل...».

«على أن من واجبنا أن نتعهد الزرع وإن لم تكن أيدينا هي الحاصدة،... فالنهضة الحاضرة، أدبية كانت أم قومية أم اجتماعية لم تخرج إلى حيّز الوجود دفعة واحدة... العمل شاق والهدف بعيد، ولكن مشقة العمل وبُعد الهدف لن يكونا إلا مشجعين لنا في نهضتنا...».

«فقدسوا أيها الشباب العربي واجباتكم... بل اعملوا جهدكم بإخلاص وثبات وتضحية في سبيل قوميتنا المقدسة...»[١٥١].

وفي خاتمة هذا الحفل قدَّم عدد من الطلاب الأعضاء في العصبة والمناصرين لها أعمالاً فنية متنوّعة، منها: مسرحية تظهر نضال العرب في سبيل الاستقلال والوحدة، ورقصات للشباب والشابات وهم يرتدون ملابس ألوانها مثل ألوان العلم العربي، الأبيض والأخضر والأسود والأحمر. وقد أشرف على إعداد هذه الأعمال الفنية علي ناصر الدين وبعض أعضاء العصبة من الجبل وبيروت[١٥٢].

إن هذا النشاط للعصبة يدل على أنها كانت تولي اهتماماً للطلاب، عاملة على توجيههم وتنظيمهم كي يكون لهم دور فاعل في النضال الوطني، وأنها كانت تحفِّز الجماهير للجهاد ضد الاحتلال والتضحية في سبيل الأهداف الوطنية والقومية كي تتمكن من تحقيق كبريات آمالها.

ز - مواقفها ونشاطاتها عام ١٩٣٩

(١) الاحتجاج على التعدّي على المسجد الأقصى

ردَّت سلطات الانتداب البريطاني على الثورة ضد الانتداب والحركة الصهيونية في فلسطين بأشد أنواع القمع والتنكيل بالمجاهدين، وتجرَّأت على انتهاك حرمة المسجد الأقصى واحتلته[١٥٣].

(١٥١) الطليعة (دمشق)، السنة ٤، العدد ٧ (تموز/يوليو ١٩٣٨)، ص ٦٠١ و٦٠٤.

(١٥٢) مقابلة مع السيِّدة عفاف توفيق الأعور في ٤/ ١٠/ ١٩٩١. وكانت طالبة ومشاركة في الرقصات التي قدِّمت.

(١٥٣) زعيتر، يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥- ١٩٣٩، ص ٣٨٩.

احتجت العصبة بشدّة على هذا العمل لسلطات الانتداب في رسالة أرسلتها في ٢٩/ ١/ إلى المفوَّض السامي في فلسطين موقَّعة من أمين السر العام، فهمي المحايري، جاء فيها: «فخامة المندوب السامي لفلسطين، اتصل بنا من مصادر موثوقة بأن السلطات الإنكليزية في بيت المقدس أباحت لجندها احتلال المسجد الأقصى كما أن الجند البريطاني أطلقوا رصاص بنادقهم على قبة الصخرة من الكنيس اليهودي وقد أكدت القنصلية البريطانية بدمشق في بلاغها المنشور أمس في جريدة **القبس** ذلك التعدي الواقع على المسجد، فحاولت تبرير عمل السلطة بقولها إن السلطة لما تنشئ مخفراً عسكرياً جديداً ولكنها أقرت حالة راهنة جرت عليها تركيا والسلطة البريطانية منذ دخولها فلسطين. إن هذا التناقض الواقع بين الفريقين يدلنا دلالة صريحة بأن السلطة الإنكليزية بالقدس لم تراع قدسية الحرم الشريف بعملها وأنها تجاوزت على الشعائر الدينية بإدخالها الجند إلى المسجد. فعصبة العمل القومي إزاء هذا التعدي على المقدسات تحتج احتجاجاً صارخاً على أعمال السلطة الإنكليزية طالبة وضع حد لمثل هذه الإهانات المتكررة»[١٥٤].

(٢) موقفها من مؤتمر الطاولة المستديرة في لندن

في كانون الثاني/ يناير دعت بريطانيا إلى عقد مؤتمر في لندن لبحث القضية الفلسطينية وأسمته مؤتمر الطاولة المستديرة، وتبيَّن من الاستعدادات الجارية لعقد المؤتمر المذكور أنها وجَّهت الدعوات للمشاركة فيه إلى: اليمن، العربية السعودية، العراق، الأردن، فلسطين ومصر، مستثنية سوريا ولبنان[١٥٥].

ونتيجة لهذا الإجراء البريطاني شنَّ عدد من الفاعليات[١٥٦] في لبنان وسوريا حملة استنكار وشجب لاستبعاد البلدين المذكورين عن المؤتمر، ودعت العصبة إلى اجتماع في مركزها في بيروت[١٥٧].

وعقد الاجتماع في المكان المذكور في ٧ شباط/ فبراير موعد عقد المؤتمر في لندن، وتقرَّر فيه إرسال برقيات إلى: الوفود العربية المشاركة في المؤتمر، رئيس وزراء

(١٥٤) أكرم زعيتر، **وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩١٨ - ١٩٣٩**، من أوراق أكرم زعيتر، أعدتها للنشر بيان نويهض الحوت، الوثائق الأساسية والعامة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٩)، ص ٥٩٦.

(١٥٥) حسان حلاق، **موقف لبنان من القضية الفلسطينية، ١٩١٨ - ١٩٥٢** (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٨٢)، ص ٥٨.

(١٥٦) منهم: عمر بيهم، جبران تويني، سليم سلام، أحمد الداعوق ونبيه العظمة.

(١٥٧) المصدر نفسه، ص ٥٨.

بريطانيا (تشمبرلن) والصحف اللندنية، احتجاجاً على عدم تمثيل لبنان مع تأكيد جهاد العرب لتحرير فلسطين ضمن الوحدة.

ووقّع على البرقيات: علي ناصر الدين، قسطنطين يني، د. محمد خير نويري، فهيم الخوري، حسين سجعان وإبراهيم شقير[١٥٨].

(٣) التأكيد على تغيير موقفها من الوحدة السورية

بعد أن أوضحت العصبة تعديل خطّة نضالها وموافقتها على الكيان اللبناني، عادت لتأكد من جديد على هذا التطور في مواقفها، معتبرة لبنان قطراً عربياً يحق له أن ينال حريته واستقلاله، رافضة التمايز بين أبنائه على أساس طائفي، مقرّة بالأكثرية السياسية وبالتمايز على قاعدة الكفاءة وما يأتي به المواطن من أعمال مثمرة لوطنه.

ففي بيان أصدره فرعها في لبنان في ١/٣ جاء فيه: «أن العصبة تعتبر لبنان بكيانه الجغرافي الحاضر قطراً عربياً مستقلاً، وتعتبر اللبنانيين كافة أخوة ومواطنين، لا فضل فيهم ولا مفضول إلا بالمواهب والأعمال الوطنية المثمرة. ولا تعترف بأكثرية أو أقلية في لبنان إلا من الناحية السياسية، لأنها لا تقوم على أساس ديني أو مذهبي أو عائلي ولأنها تنظر إلى اللبنانيين كشعب واحد... مجتمع ممتزج لا يعنيها أمر عقائده الدينية. فاللبنانيون في نظرها لبنانيون، وليسوا مسلمين ومسيحيين»[١٥٩].

وفي ٣ نيسان/أبريل كتب علي ناصر الدين قائلاً: «لقد صرّحنا غير مرة ــ ونحن لبنانيون أصلاء ــ تصريحات شخصية وحزبية، إن العصبة تعتبر لبنان بكيانه الجغرافي الحاضر قطراً عربياً له ما لغيره من الأقطار العربية، الحق التام في الحرية والاستقلال، وإن العصبة التي تعتبر الأقطار العربية كلها وطناً لكل عربي، تريد أن تجعل من لبنان الحلقة الذهبية في سلسلة هذه الأقطار»[١٦٠].

كما كتب علي ناصر الدين في جريدة **الشمس** في ٣ نيسان/أبريل أيضاً، بعد أن أفرجت سلطات الانتداب في لبنان عن أعضاء العصبة، موضحاً أن أسباب اعتقال هذه السلطات لأعضائها لأنهم يدافعون عن استقلال لبنان والبلدان العربية ووحدتها ومجدها. فتحت عنوان «لماذا اعتقلت السلطات شباب عصبة العمل القومي في بيروت؟» قال: «أما الجواب الصحيح وغير المعقول، ولا المقبول، فجواب

---

(١٥٨) المصدر نفسه، ص ٥٨، وزعيتر، **القضية الفلسطينية**، ص ٥٦٣.

(١٥٩) طربين، **الوحدة العربية في تاريخ المشرق المعاصر، ١٨٠٠- ١٩٥٨**، ص ٢٣٨.

(١٦٠) المصدر نفسه، ص ٢٣٩.

حاضر! ولكن السلطات القائمة والجماعات (الزرقاء)[١٦١] التي تخدعها، وتنخدع لها، لا تجرؤ على إعطائه إلى الشعب علناً وفي وضح النهار، في بلد يعيش في القرن العشرين، وفي ظل دستور! لقد اعتقلنا.. لأننا نحارب الباطل، وننصر الحق، ونقاتل الاستعمار والاستعباد... سيقولون: ضد من تعمل عصبة العمل القومي في لبنان؟ فنحن نقول لهم، إن عصبة العمل القومي، تعمل لاستقلال لبنان هذا استقلالاً صحيحاً، ضمن المجموعة العربية التي نريد أن نؤلف منها كلها دولة مستقلة متحدة، تقوم على أساس القومية الخالصة. وترتكز إلى العلم الصحيح، والعدل الشامل، والأخلاق المتينة، والقوة الروحية، والاقتصادية، والدولابية الجامعية. وتكون عنصراً من عناصر الخير الإنساني، والحضارة العالمية. فمن اعتبر أن عملنا هذا ضده، فهو ضده أياً كان»[١٦٢].

إن هذه المواقف للعصبة تؤكِّد على أنها لم تعد تعمل من أجل الوحدة السورية منذ أن غيَّرت موقفها منها، وأنها منذ ذلك الحين، وجَّهت جهودها للعمل من أجل الاستقلال التام للبنان وسوريا كما هما عليه.

وعملها في لبنان كان من موقع وطني علماني وعروبي وحدوي، لأنها أكَّدت على أنها تنظر إلى اللبنانيين كشعب واحد لا أكثرية أو أقلّية فيهم إلا بالسياسة، ولا تفضيل في ما بينهم إلا على أساس الكفاءة، ودون أن تتراجع عن العمل من أجل الوحدة العربية.

(٤) موقفها من حكومة الكتلة الوطنية

فشلت الكتلة الوطنية في نهجها السياسي التعاوني مع الفرنسيِّين، فالمعاهدة السورية ـ الفرنسية التي شاركت في توقيعها عام ١٩٣٦ لم تصدِّقها فرنسا. وفي عهد حكومتها ضمَّت تركيا لواء الاسكندرون إليها، وشجَّعت سلطات الانتداب الدول الطائفية التي أنشأتها في سوريا على المطالبة بالاستقلال، كما شجَّعت الآشوريين في القامشلي والجزيرة على المطالبة بالانفصال وتكوين دولة مستقلة خاصة بهم في مناطقهم[١٦٣].

ومواقف الكتلة الوطنية من هذه التطوُّرات لم تكن حازمة، مما دفع بالأوضاع في سوريا إلى أن تزداد سوءاً[١٦٤]، دون أن تلتفت إلى النصائح التي قدِّمت لها من

(١٦١) لقب كان أعضاء العصبة يطلقونه على المتعاونين مع المستعمرين واليهود.

(١٦٢) ناصر الدين، هكذا كنا نكتب، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(١٦٣) دروزة، حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات، ص ٥٤- ٥٦.

(١٦٤) المصدر نفسه، ص ٥٣ - ٥٤.

أصدقائها[١٦٥]، ودون أن تحترم وتصارح الرأي العام بالحقائق، فاستغلت سلطات الانتداب هذا الموقف التساهلي لها وعقدت معها اتفاقيات حصلت بموجبها على امتيازات إضافية في سوريا[١٦٦].

عارضت العصبة مواقف حكومة الكتلة الوطنية ونهجها السياسي ووقفت موقفاً عدائياً منها[١٦٧]. وكان لموقفها المعارض للكتلة الوطنية تأثير كبير في أوضاعها وحكومتها، حيث يذكر د. عبد الله حنا: «في مطلع عام ١٩٣٩ كانت حكومة الكتلة الوطنية تسير في طريق الانهيار وهي تنوء تحت ضربات المعارضة الشهبندرية (نسبة إلى الدكتور عبد الرحمن الشهبندر) والمقاومة العصبوية (عصبة العمل القومي)»[١٦٨].

وفي أواخر الثلاثينيات اهتز الوضع الداخلي للكتلة الوطنية وانقسمت إلى جماعات، وأخذت كل جماعة منها تبحث عن تحالفات لتعزيز أوضاعها، فتحالف شكري القوتلي وصبري العسلي مع العصبة وحزب الاستقلال، لكن فريقاً آخر من الكتلة الوطنية كان بزعامة توفيق الشيشكلي، الذي كان له جماعة خاصة به في حماة، كانت العصبة في مواجهة دائمة معهم[١٦٩].

يتّضح أن العصبة كانت معارضة بحزم لنهج الكتلة الوطنية، لاعبة دوراً بارزاً في تصديع أوضاعها وحكومتها مطلع عام ١٩٣٩.

وأشرت سابقاً إلى أن العصبة تمكّنت من تكوين تيار داخل الكتلة الوطنية رافضاً لمعاهدة ١٩٣٦، وطالبت بأن يفاوض في جنيف حول لواء الاسكندرون شكري القوتلي، وهو أحد أعضاء الكتلة الوطنية البارزين. وتبينَّ لي أن شكري القوتلي تحالف معها بعد تصدع أوضاع الكتلة الوطنية، لذا أستنتج أن شكري القوتلي كان يمثّل التيار المعارض لمعاهدة ١٩٣٦ داخل صفوف الكتلة الوطنية والأقرب إلى مواقف العصبة.

ومن الملاحظ أن صبري العسلي الذي أسقطت العصبة عضويته في عام ١٩٣٦ عاد ليتحالف معها لتعزيز موقفه، وهذا يدل على أن إخراج العصبة من صفوفها

---

(١٦٥) قرقوط، تطور الحركة الوطنية في سورية، ١٩٢٠- ١٩٣٩، ص ١٦٢.

(١٦٦) فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨- ١٩٥٥، ص ٢٠٢.

(١٦٧) قرقوط، المصدر نفسه، ص ١٦٢.

(١٦٨) حنا، الحركة العمالية في سورية ولبنان، ١٩٠٠- ١٩٤٥، ص ٤٦١.

(١٦٩) المصدر نفسه، ص ٢٢٠- ٢٢١.

الأعضاء الذين قبلوا بمعاهدة ١٩٣٦ لم يكن مؤثّراً في دورها.

ومن الواضح أنها كانت ناشطة في لبنان عاميْ ١٩٣٨ و ١٩٣٩، وكذلك في سوريا، حيث لعبت دوراً بارزاً في البلدين المذكورين كما سبق وأوضحت، وتحالفت بعض الفاعليات في سوريا معها لتعزيز موقفها. ولهذا أرى أن العصبة كانت فاعلة ومؤثّرة في الأحداث عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية.

ح - مواقف ونشاطات عامة للعصبة

حاربت العصبة الإقطاعية وكل ما يضعف القومية العربية، وبشّرت في أعضائها بالشجاعة والفضائل الاجتماعية.

فالفريق عفيف البزري يشير إلى الآتي: «وكان من أبرز الحركات الاجتماعية لمقاومة الإقطاع حركة الشباب الحموي التي كان جل أفرادها تلاميذ ثانوية حماة في الثلاثينيات من هذا القرن... وكان أصل التنظيم المذكور رابطة وطنية فكرية تنازعها اتجاهان سياسيان. **الأول**: اتجاه عصبة العمل القومي بتأثير الأستاذ زكي الارسوزي الذي كان مدرساً في ثانوية حماه. **والثاني**: اتجاه سوري قومي تزعمه الأستاذ أكرم الحوراني»[١٧٠]. كما يشير إلى أن العصبة تعرّضت لنيران من الاقطاعيين[١٧١].

وعمل أعضاؤها في الشمال من لبنان على الحدّ من نفوذ زعامات الإقطاعية، وكانوا من أبرز المحاربين لها والمشهّرين بها[١٧٢].

بينما يذكر وصفي البني[١٧٣] أنه كان يخطب في حمص موجهاً كلامه إلى الشعب على أنه فوق الجميع، وفي ذات الوقت كان مع غيره من أعضاء العصبة يصرخون مع الإقطاعيين، تحيا العروبة[١٧٤].

ويقول علي ناصر الدين إن العصبة بشّرت في أبنائها «بالصدق والصراحة والأمانة والوفاء والشجاعة والجرأة بالحق والثقة بالنفس واحترام القانون والتقيُّد بالنظام». وإنها حاربت «العصبيات المحلية والمذهبية والإقليمية الضارة، وكافحت المستعمر كفاحاً مستمراً منقطع النظير، كثيراً ما أفضى بها إلى السجن والمنفى والمعتقل والمطاردة والتشريد وأنواع الشقاء. ولكنه لم يفض بها مرة إلى الذل. ولن يفضي بها إليه أبداً».

---

(١٧٠) فلسطين الثورة، العدد ٣٢٦ (حزيران/ يونيو ١٩٨٩)، ص ٣.

(١٧١) فلسطين الثورة، العدد ٢٩١ (تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٨)، ص ٥٤.

(١٧٢) مقابلة مع القاضي الشيخ أسعد جرمانوس، ومع المحامي وائل نقولا خير في ٤/ ٩/ ١٩٩١.

(١٧٣) أحد أعضاء العصبة، أجرى مقابلة معه عبد الله حنا.

(١٧٤) حنا، الحركة العمالية في سورية ولبنان، ١٩٠٠- ١٩٤٥، ص ٢٣٢.

وكانت تعود بعد كل صدمة إلى الكفاح في تصميم أكثر وأشد[١٧٥].

يستنتج مما تقدَّم أن العصبة لعبت دوراً في محاربة الإقطاعية والحد من نفوذ زعاماتها، وتعرُّضها لنيران منهم يدل على تأثيرها في محاربتها لهم، لكن يظهر أن ظروف الثلاثينيات، حيث كانت البلداد العربية خاضعة للمحتل، لم تكن تسمح للعصبة، الهادفة إلى تحقيق الاستقلال التام للبلدان العربية أولاً، بفتح معركة واسعة أو في العمق ضد الإقطاعية قبل أن تحقِّق أهدافها الأوَّلية.

ويتبينَّ أنها كانت تولي أهمِّية للفئات الشعبية عاملة على بثِّ أفكار تحرُّرية فيهم، وأنها أولت اهتماماً للمناقبية في العمل السياسي والنضال الوطني، عاملة من أجل إعداد مناضلين شجعان ومناقبيِّين، وخلق مجتمع راقٍ ومتحضِّر، وكانت تدافع بصلابة عن أهدافها.

هكذا كانت أبرز مواقف ونشاطات العصبة قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية في أيلول/سبتمبر ١٩٣٩، وبعد هذا التاريخ توقَّف نشاطها قسراً لعدة سنوات، ثم حصلت تغيُّرات في أوضاعها التنظيمية.

فلماذا توقَّف نشاط العصبة؟ وما هي هذه التغيُّرات التنظيمية؟ هذا ما سوف أوضِّحه في القسم االتالي.

٢ - توقُّف نشاط العصبة وانفصال فروعها في الأقطار

عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية، كانت الأوضاع السياسية والعسكرية في لبنان وسوريا غير مطمئنة ومقلقة للفرنسيين الذين كانوا في حالة حرب مع ألمانيا، فاتخذت سلطاتهم في البلدين المذكورين سلسلة تدابير أمنية وإجراءات قمعية كي يتفرَّغوا لمقاتلة أعدائهم باطمئنان وحرية[١٧٦].

وكانت عصبة العمل القومي إحدى القوى السياسية التي طُبِّقت عليها الإجراءات القمعية الفرنسية بأشدِّها. ففيما أمر المفوَّض السامي، غبريال بيو، بملاحقة أعضاء الحزب الشيوعي والحزب السوري القومي واعتقال قادتهم، وبعدم التعرُّض لجماعة الكتلة الوطنية وجماعة الشهبندريين على اعتبار أنهم لا يشكِّلون خطراً، حكم على جماعة العصبة بالإعدام[١٧٧].

---

(١٧٥) ناصر الدين، هكذا كنا نكتب، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

(١٧٦) لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ص ٣٦٦.

(١٧٧) المصدر نفسه، ص ٣٦٦ - ٣٦٧.

ويصف الفريق عفيف البزري الاضطهاد الذي تعرَّضت له العصبة في تلك الأيام قائلاً: «فقد كانت النيران توجه إلينا من كل جهة، من المستعمر المحتل لأرض الوطن ومن الإقطاعيين محتكري العمل الوطني. .. وهذا إذا لم نقل انه كان بينهم مساومون يركضون وراء سرابات. . .»(١٧٨).

ولقد قامت سلطات الانتداب باعتقال معظم مؤسّسي وقيادات العصبة في لبنان وسوريا، ونفت بعضاً منهم، ولاحقت أعضاءها متَّخذة إجراءات قمعية مشدَّدة بحقِّهم، مما أدّى إلى توقُّف نشاطها في أواخر عام ١٩٣٩، وشلَّ دورها دون أن تنتهي كمؤسَّسة(١٧٩). ويذكر الأستاذ محمود المقدم أن سلطات الانتداب اعتقلت ٦٢ عضواً من العصبة في يوم واحد من شهر أيلول/ سبتمبر في بيروت، وكان هو وعلي ناصر الدين وصلاح بيهم وسامي حمدان وبكري بركات وزهير عسيران من بين المعتقلين(١٨٠).

ويظهر أن اعتقال أعضاء العصبة كان في الأيام الأولى للحرب. ففي تعريف عجاج نويهض بعلي ناصر الدين يقول: «وفي الثالث من أيلول/ سبتمبر سنة ١٩٣٩ انتهت الحرب العالمية الثانية فاعتقل في ذلك اليوم هو ورفاقه وأرسلوا إلى تدمر وبقوا في الاعتقال حتى سنة ١٩٤٤»(١٨١). ويذكر علي ناصر الدين أنه اعتقل في ٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٣٩(١٨٢).

إن حكم الإعدام الذي أمرت به سلطات الانتداب على أعضاء العصبة لم تنفِّذه، ثم ألغته في ما بعد(١٨٣).

لكن العصبة لم تتمكَّن من إعادة نشاطها في لبنان وسوريا إلا بعد الاستقلال، لأن عدداً من قياداتها وأعضائها لم تفرج سلطات الانتداب عنهم إلا في آخر عام ١٩٤٣ حين أصبح لبنان وسوريا دولتين مستقلَّتين.

وبعد الاستقلال اتفق العصبويون على إعادة تنظيم أوضاعهم تبعاً للتطوُّرات السياسية الجديدة على أثر استقلال سوريا ولبنان، حيث لم تعد العصبة تنظيماً

(١٧٨) فلسطين الثورة، العدد ٢٩١ (تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٨)، ص ٥٤.

(١٧٩) مقابلة مع العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في ٢٤/ ٩/ ١٩٩٠، ومقابلة مع د. محمد علي الرز في ١٠/ ١٠/ ١٩٩٠.

(١٨٠) مقابلة مع الأستاذ محمود حسن المقدم في ٥/ ١٢/ ١٩٩٨.

(١٨١) ناصر الدين، **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**، ص ٩٠.

(١٨٢) علي ناصر الدين، **قضية العرب** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٤٦)، ص ٧.

(١٨٣) لونغريغ، **تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**، ص ٣٦٧.

مركزياً وانفصلت فروعها في الأقطار[١٨٤]. ففرعها في لبنان أعاد تنظيم أوضاعه كحزب لبناني وحصل على ترخيص من الحكومة اللبنانية في ٢٩ أيار/مايو ١٩٤٤ تحت الرقم ٧٣٨[١٨٥]، وأصبح يعرف باسم حزب عصبة العمل القومي[١٨٦]. وأوضحت سابقاً أن عرفان الجلاد (سوريا) استقال من العصبة في نهاية الحرب العالمية الثانية. ولما توفّي الشيخ قسطنطين يني في عام ١٩٤٧، أبرق أبو الهدى اليافي من دمشق إلى حزب العصبة في لبنان معزّياً باسم حزب العصبة في سوريا، وكذلك أبرق من حمص عبد الدائم الأتاسي معزّياً باسم العصبة[١٨٧]. وذلك يدل على أن العصبويّين في سوريا نظّموا أوضاعهم بعد الاستقلال.

ولأن العصبة توقّف نشاطها في لبنان وسوريا آخر عام ١٩٣٩ وشلّ نشاطها منذ ذلك الوقت حتى عام ١٩٤٣، ولأن أوضاعها التنظيمية تغيّرت في عام ١٩٤٤ تبعاً للتغيُّرات في الظروف السياسية لسوريا ولبنان، حيث انتهى الانتداب وأصبح البلدان المذكوران دولتين مستقلّتين، ولأن خطّة بحثي لا تشمل متابعة نشاط فروعها التي أصبحت أحزاباً على مستوى الأقطار في ظل ظروف سياسية مختلفة عن سابقتها، لذلك عرضت دور العصبة في لبنان وسوريا منذ أن تأسّست إلى أن توقّف نشاطها حين كانت ما تزال تعمل كتنظيم ذي قيادة مركزية واحدة للبنان وسوريا.

ثانياً: مناقشة دور العصبة

لقد لعبت العصبة دوراً بارزاً على غير صعيد منذ أن تأسّست إلى أن توقّف نشاطها قسراً في الأيام الأولى من الحرب العالمية الثانية.

وتمثّل نشاطها في العمل من أجل الوحدة السورية دون أن تفصل بين العمل من أجل تحقيق هذه الوحدة والوحدة العربية، وفي الدفاع عن فلسطين، وفي رفض العهود التي تمس السيادة الوطنية أو التنازل عن أرض عربية ومقاومة ذلك، وفي المساهمة في تحقيق الوفاق الوطني في لبنان بعد أن عدّلت خطّتها النضالية وغيّرت موقفها من الوحدة السورية، وفي العمل من أجل الاستقلال التام للبنان وسوريا.

---

(١٨٤) مقابلة مع العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في ٢٤/٩/١٩٩٠، ومقابلة مع د. محمد علي الرز في ١٠/١٠/١٩٩٠.

(١٨٥) انظر رخصة حزب عصبة العمل القومي (لبنان) في الملاحق من هذا الكتاب، والسباعي، الأحزاب اللبنانية في مواجهة ١٩٧٠، ص ٩٧.

(١٨٦) مقابلة مع د. محمد علي الرز في ١٠/١٠/١٩٩٠، و ناصر الدين، هكذا كنا نكتب، ص ٢٦٥.

(١٨٧) يني، صفحة من التاريخ القومي العربي الحديث، ص ٦٠- ٦١.

فبالنسبة للعمل من أجل الوحدة السورية، شاركت العصبة في المؤتمرات التي عقدت في سوريا ولبنان عام ١٩٣٣ بهدف تحقيق هذه الوحدة، كما أنها عملت في ذلك الحين لإشراك جميع الهيئات الوحدوية في المطالبة بها، وذلك في خطوة منها تهدف إلى تفعيل العمل في سبيلها.

وكانت طرفاً رئيسياً في مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة الذي عقد في بيروت قبل اثني عشر يوماً من سفر وفد الحكومة السورية والكتلة الوطنية إلى باريس للتفاوض مع الحكومة الفرنسية من أجل توقيع معاهدة، والذي تمثَّلت فيه جميع الهيئات والقوى التي كانت في لبنان تطالب بالوحدة السورية. فلقد شاركت العصبة في الدعوة إليه، وفي صياغة المذكَّرة التي ناقشها المؤتمرون، وفي إدارة أعماله، وكان لها حضور بارز فيه. ويظهر من هذا النشاط البارز للعصبة في سبيل الوحدة السورية وتحقيق الاستقلال الناجز لسوريا، أنها عملت في ذلك الوقت باتجاه تصعيد المطالبة بهذين الهدفين قبل سفر الوفد المذكور، كي لا يقدم هذا الوفد وهو في باريس على توقيع معاهدة مع الحكومة الفرنسية تعيق تحقيق الوحدة السورية ولا تؤدِّي إلى الاستقلال التام لسوريا.

إلا أن العصبة لم تفصل بين عملها من أجل الوحدة السورية والوحدة العربية، فلقد أعلنت عن التزامها بالنهج السياسي الوحدوي العربي الذي حمل لواءه الملك فيصل الأوّل، كما دعت العرب أيضاً إلى التمسك بهذا النهج، فكان ذلك بمثابة نداءٍ وتحفيز لاستنهاض العمل الوحدوي العربي لتحقيق وحدة سوريا واتحادها مع العراق، من أجل تحقيق أهداف القضية العربية.

وبعد مشاركتها في المطالبة بالوحدة السورية في مؤتمر الساحل عام ١٩٣٣، أقامت حفلاً سياسياً طالبت فيه بالوحدة العربية. وفي مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة، لم توافق العصبة على المطالبة بالوحدة السورية الشاملة لجبل لبنان إلا إذا أقرَّ المطالبون بهذه الوحدة بأن سوريا جزء من البلدان العربية، ووافقوا على المطالبة بالوحدة العربية الشاملة أو الاتحاد العربي، معبِّرة في ذلك عن عدم توافقها مع الاتجاهات الوحدوية السورية حول بعض المسائل الوطنية والقومية في تلك المدة. وخير دليل على ذلك هو تشكيلها في المؤتمر الأخير تيَّاراً وحدوياً عربياً تميَّز عن التيَّار الوحدوي السوري التقليدي بأنه لا يفصل العمل من أجل الوحدة السورية عن العمل في سبيل الوحدة العربية. كما عبَّرت عن معارضتها للاتجاهات الوحدوية السورية التي تعتبر جبل لبنان جزءاً من سوريا وسوريا ليست جزءاً من البلدان العربية، وتعمل من أجل الوحدة السورية الشاملة على أساس أن هذه الوحدة هي

هدفها الأعلى وليست مرتبطة بالقضية العربية، بينما لم تكن الوحدة السورية، بأي شكل من أشكالها، هي الهدف الأعلى للعصبة، إنما كانت هدفاً مرحلياً تسعى لتحقيقه كمقدِّمة لتحقيق أحد أهدافها العليا، وهو الوحدة العربية الشاملة على قاعدة السيادة القومية العربية.

وهكذا فإن العصبة عملت من أجل الوحدة السورية، إنما تميَّزت عن غيرها من قوى حركة التحرُّر العربية بأنها كانت تعمل دائماً باتجاه تثوير القضية القومية العربية غير واقفة عند حدود المناطق والأقاليم. فأدَّى ذلك إلى تشجيع لنهجها من جانب ملك العراق، غازي الأوَّل، وتأييد النادي العربي في العراق وطلاب العرب في أوروبا لمواقفها ونهجها أيضاً في عام ١٩٣٣، وتضامن عدد من الفاعليات والهيئات الوحدوية العربية معها في بيروت عام ١٩٣٦، واتَّفق لفيف من المناضلين القوميِّين العرب معها في مؤتمر بلودان عام ١٩٣٧ لتصعيد العمل العربي المشترك في سبيل القضية العربية.

وخاطبت العصبة الرأي العام الدولي بشأن فلسطين موضِّحة أن العرب ليسوا على خلاف مع اليهود، إنما مع الحركة الصهيونية المدعومة من الاستعمار. وذلك في خطوة منها تهدف إلى كسب تضامن الدول والشعوب التي تؤيِّد الحق والعدالة مع جهاد فلسطين في سبيل الدفاع عن حقوقها وسيادتها.

ووقفت إلى جانب رئيس لجنة الدفاع عن فلسطين تساهم في الإعداد لمؤتمر بلودان لدعم جهادها. وبعقد هذا المؤتمر العربي الذي شاركت العصبة في الدعوة إليه، وفي تنظيمه وإنجاحه وصنع قراراته، والذي تمثَّلت فيه فاعليات روحية ووفود سياسية وطنية من عدَّة بلدان عربية، واتَّخذت موقفاً مشتركاً بشأن القضية الفلسطينية، تكون العصبة بذلك قد ساهمت بفاعلية في إعطاء هذه القضية بعداً عربياً واسعاً، لأن قرارات المؤتمر رُفعت إلى عصبة الأمم معبِّرة عن رفض العرب لوعد بلفور وقرار تقسيم فلسطين ونشاط الحركة الصهيونية فيها.

والملاحظ أن هذا المؤتمر تمثَّلت فيه وفي اللجان التي انبثقت عنه قوى من مختلف الاتجاهات، مما يدل على أن العصبة أمام خطر مشروع تقسيم فلسطين وضعت جانباً الاختلافات بينها وبين الاتجاهات الوطنية الأخرى، من أجل رفع صوت فلسطين عالياً والدفاع عن قضيتها بموقف شعبي عربي موحَّد.

لقد جاهدت العصبة في سبيل فلسطين على أكثر من مستوى. فعملت على صعيد دعائي وتعبوي من أجلها، حيث ميَّزت بين الشعب اليهودي والحركة الصهيونية، وأثارت قضيَّتها أمام الرأي العالمي على هذا الأساس، وساهمت في تصعيد العمل

العربي المشترك للدفاع عنها، ودعت للتضامن معها وإعانة المنكوبين فيها، ووقفت في وجه المحاولات التي تضعف التصدّي للحركة الصهيونية فيها، وعارضت الحلول التي تطرح بشأنها وتخرج عن جوهر مقرّرات مؤتمر بلودان، وسلكت طريق المقاومة دفاعاً عن وحدتها وسيادتها، حيث شاركت في الثورات فيها ودعمتها.

ولهذا فإن مواقف ونشاطات العصبة المتعلّقة بالقضية الفلسطينية أثبتت اهتمامها بدرجة عالية بها كجزء مهم من القضية العربية.

أما بالنسبة للعهود التي تعطي المستعمرين حقوق أو امتيازات، فلقد اعتبرتها العصبة تنتقص السيادة ولا تؤدّي إلى الاستقلال الناجز. وعلى هذا الأساس عارضت معاهدة ١٩٣٣ التي وقّعتها حكومة حقي العظم وكان لها دور في تصدُّع هذه الحكومة وإسقاط المعاهدة، فتكون بذلك قد أحيت العمل الوطني المقاوم لمشاريع سلطات الانتداب والمتعاونين معهم، وساهمت في إنقاذ سوريا من معاهدة تقر ببقاء سيطرة الفرنسيّين على شؤونها لمدة أربعين سنة.

وإذا المعاهدة السورية ـ الفرنسية، والمعاهدة اللبنانية ـ الفرنسية (١٩٣٦) لم تبصرا النور بسبب عدم إقرارهما من الجانب الفرنسي، إلا أن العصبة عارضتهما بشدّة لتضمُّنهما بنوداً تتعارض مع حقيقة السيادة والاستقلال، مثل: إعطاء حق للفرنسيين بإبقاء قوات لهم في عدة مناطق في سوريا بحجّة الدفاع عن المصالح الفرنسية خارج حدود فرنسا (أي قواعد عسكرية)، وحق إبقاء قوّات لهم في لبنان طول مدة صلاحية المعاهدة اللبنانية ـ الفرنسية التي تحدّدت بمدة خمس وعشرين سنة.

والعصبة كانت الأكثر حزماً بين القوى المعارضة للمعاهدة السورية ـ الفرنسية (١٩٣٦)، لأنها طلبت من الحكومة السورية التراجع عنها ومن المجلس النيابي التراجع عن تصديقها، وبثّت الأفكار التي تزيد الكره بسياسة الكتلة الوطنية وبالانتداب وكل المتعاونين معه، وشجّعت على القيام بمظاهرات معارضة لها وقامت بها، لاعبة دوراً بارزاً في تصدُّع أوضاع الكتلة الوطنية وحكومتها.

ولا شك بأن العصبة عارضت الحكومة اللبنانية أيضاً، فقد كان لها دور في مظاهرات الجنوب اللبناني المطالبة بالاستقلال والوحدة وتحسين الأوضاع المعيشية، والتي حصلت قبل توقيع المعاهدة اللبنانية ـ الفرنسية بشهرين، وفي المظاهرات التي حدثت استنكاراً لهذه المعاهدة، بالإضافة إلى أنها كانت تعتبر تلك الحكومات من ملحقات وأدوات سلطات الانتداب وفي موقع الخصم لها إن وقّعت أي عقد لا يؤدي إلى الاستقلال الناجز والسيادة المطلقة.

لقد كانت العصبة على حق في معارضتها للمعاهدات المذكورة والحكومات والهيئات التي وقّعت عليها، لأن هذه المعاهدات تضمَّنت بنوداً لا تؤدّي إلى الاستقلال، إنما إلى استمرار سيطرة الفرنسيين على سوريا ولبنان وتدخُّلهم في شؤونهما بإقرار من أهلهما.

وتصدَّت العصبة للخطط الاستعمارية الهادفة إلى انتزاع لواء الاسكندرون من سوريا، وذلك بفضح هذه الخطط، وبتعليم الأُميِّين فيه لتفويت الفرص على الفرنسيِّين والمتعاونين معهم للتحكُّم بشروط الانتخابات حول مصيره، ورفعت الاحتجاجات وقامت بالمظاهرات التي أشعرت عصبة الأُمم بأن السوريين يرفضون التنازل عن حقِّهم في اللواء وسيادتهم عليه.

وتراجعت العصبة عن المشاركة في الانتخابات في اللواء نتيجة للضغط الذي تعرَّضت له من جانب سلطات الانتداب الفرنسي والأتراك والكتلة الوطنية والاعتقالات التي طالت صفوفها، إلا أنها لم تسمح للأتراك بأن يحقِّقوا مكسباً سهلاً في سوريا فعمَّدت مقاومتها لهم بالدم.

لقد لعبت العصبة دوراً نضالياً مميَّزاً في الدفاع عن لواء الاسكندرون، وكانت أبرز القوى المتصدِّية للتنازل عنه بمحاربتها للأتراك، وباتهامها للحكومة السورية بالخيانة الوطنية إذا صادقت على اتفاقية جنيف الخاصة به، واصطدامها مع الفرق العسكرية التابعة للكتلة الوطنية المتزّعمة لهذه الحكومة، ولم تتمكَّن من المحافظة على هذه الأرض العربية بسبب تآمر الفرنسيين عليها، وطمع تركيا بها، وضعف الحكومة السورية وتساهلها في الدفاع عنها، ووقوفها بوجه جهاد العصبة في سبيلها. فكان أن سلخ اللواء عن سوريا وضمَّته تركيا إليها.

إن قيام العصبة بفضح الخطط الاستعمارية المتعلِّقة باللواء دليل على متابعتها باهتمام للمواقف الإقليمية والدولية بشأن البلاد العربية، وعدم وقوفها مكتوفة الأيدي أمام تلك الأحابيل التي تمس الحقوق الوطنية والقومية.

ولعلَّ أبرز مواقف العصبة هو تغيير موقفها من الوحدة السورية وتوجُّهها للعمل من أجل الاستقلال التام للبنان وسوريا، على أساس أن لبنان وحدة مثل بقيَّة الوحدات العربية وليس جزءاً من قطر، وذلك على أثر تعديل خطَّة نضالها لتحقيق أهدافها العليا.

ولقد غيَّرت موقفها من الوحدة السورية في آخر عام ١٩٣٧ بعد ملاحظتها للتطوُّرات السياسية على الصعيد الداخلي والإقليمي والأوروبي، دون أن تتخلَّ عن العمل من أجل الوحدة العربية.

وعبَّر علي ناصر الدين عن هذا التغيير في موقفها. ففي كانون الأول/ ديسمبر من العام المذكور كتب في جريدة اليوم تحت عنوان: لبنان كيان لوطن عربي مستقل. قائلاً: «. . . إني إلى الأمس القريب، كنت من أشد أنصار الوحدة السورية، مستثنياً (لبنان الصحيح) إلى أن يبسط هو نفسه يده إليها، وكنت من أعنف الكاتبين، في هذه الوحدة. . .».

«وجاءت الحوادث تتتالى في الداخل والخارج، في لبنان وسوريا، وبقية الأقطار العربية وفي الشرق القريب منا والبعيد وفي أوروبا. وفي كل حادثة للمتتبع المخلص العاقل، تجربة . . . فإذا هذه التجارب مجتمعة، تفضي بي إلى التساؤل عن مرماي البعيد. . . إن مرماي البعيد هو الوحدة العربية، وإن مثلي الأعلى هو الحياة والموت في سبيل إنشاء الدولة الكبرى لهذه الأمة العربية التي أريدها عظيمة في مختلف نواحي الحياة. . . وإذا مرماي هذا، بعد هذه التجارب ما يختلف عنه في شيء، قبلها، كثيراً أو قليلاً، واذا مثلي الأعلى ما يزال كما كان، وهنا سألت نفسي. . . أيكون في تعديل نظريتي في خطط النضال لتحقيق مثلي الأعلى، تعديلاً تقتضيه نتيجة هذه التجارب من جهة، وتطورات في التفكير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي من جهة أخرى. . . ورحت أبرهن لأصحاب الرأي والمكانة والكرامة من إخواني، ورفاقي، على صواب رأيي، في تعديل خطة النضال فكان لي ما أردت. . . وأقر هؤلاء: (العمل القومي الجدي المنظم على أساس الكيان الجغرافي الحاضر للبنان، على أنه وحدة مثل بقية الوحدات العربية التي تؤلف مجتمعة الأمة العربية المخلدة)».

«واني أصرح الساعة كتابة، بما سبق وصرحت به خطابة. . . أصرح بأننا ما يهمنا أن نجعل من اللبناني سورياً، ولكن عربياً. فالسوري نفسه، لا قومية له سورية، وهذا ثابت بالتاريخ والعلم والإرادة، وإنما هو عربي يعتز ويقوى ويفاخر بقوميته العربية، قومية اللبناني نفسه، التي يعتز، ويقوى، ويفاخر بها، اللبناني الكريم!»[١٨٨].

ويظهر أن هذا التعديل في خطَّة نضالها أقرَّته في مؤتمر، لأن عرفان الجلاد في تعريفه بنفسه، بعد أن يوضح أنه شارك في تأسيس العصبة، يشير إلى أنه حضر مؤتمرها[١٨٩] في قرنايل عام ١٩٣٧[١٩٠] وهذا العام يتزامن مع إعلان العصبة تغيير موقفها من الوحدة السورية.

---

(١٨٨) ناصر الدين، المصدر نفسه، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(١٨٩) نقَّبت في جرائد تلك الفترة وفي الكثير من المراجع لأعرف شيئاً ما عن هذا المؤتمر، فلم أوفَّق.

(١٩٠) نعمة زيدان، عالمنا العربي: سورية ولبنان (بيروت: وكالة الصحافة الشرقية، ١٩٥٦)، ص ٢٤٩.

كما يتبيّن أنها تراجعت عن العمل من أجلها قبل إعلانها تغيير موقفها منها. فحين عارضت المعاهدتين، السورية ـ الفرنسية، واللبنانية ـ الفرنسية (١٩٣٦)، ركّزت في معارضتها لهما على ما تضمّنتهما من بنود لا تؤدّي إلى الاستقلال الناجز لسوريا ولبنان. وبعد هاتين المعاهدتين لم تنشط في سبيل العمل للوحدة السورية، فيما مثّلت الاتجاه المطالب بالاستقلال التام في سوريا ولعبت دوراً مؤثّراً في التوصّل إلى الوفاق الوطني في لبنان، أي أنها نحت لتعديل خطّة نضالها باتجاه العمل لتحقيق الاستقلال التام للبنان وسوريا كما هما عليه منذ نهاية عام ١٩٣٦، حيث ظهرت تغيّرات في الأوضاع السياسية على غير صعيد.

ولقد أشار علي ناصر الدين إلى تطوّرات في الأحداث على الصعيد المحلي والإقليمي والأوروبي، وإلى تطوّرات في التفكير عند بعض اللبنانيّين بشأن قومية لبنان وعروبته، أدّت بالعصبة إلى أن تغيّر موقفها من الوحدة السورية، إلا أنه لم يشر إلى تلك التطوّرات بشكل محدّد. لذا سأتطرّق إلى أبرزها:

١ - التطوّرات الأوروبية وتأثيرها في المشرق العربي

أشرت في الفصل الأوّل إلى ظهور ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية كدولتين منافستين لبريطانيا وفرنسا.

ولقد تأثّر المشرق العربي بهذا التنافس الأوروبي، فظهرت فيه زعامات وقوى وهيئات رسمية وشعبية عاملة على إقامة علاقات مع دولتيْ ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية، بهدف التخلص من الانتداب البريطاني والفرنسي وتحقيق وحدة البلاد العربية واستقلالها[١٩١]. وظهرت في لبنان وسوريا دعوات فاشيستية اتخذ الذين يدعون إليها من بعض المدارس والصحف منبراً لهم، وكان بعض رجال الدين يتعاطفون مع هذه الدعوات، وبعض المصارف تدعمها[١٩٢].

إن إشارة علي ناصر الدين إلى أن للمتتبّع المخلص تجربة، وأنه مع إخوان له من أصحاب الرأي أقرّوا تعديل خطة النضال، ما يدل على أن العصبة لم تنخدع في وعود ألمانيا وإيطاليا للعرب بتحقيق أمانيهم إذا تحالفوا معهما، لأن لبعض مؤسّسي العصبة تجربة في النضال القومي العربي منذ أيام الحرب العالمية الأولى، وذلك حين

---

(١٩١) محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥، ص ٣٢٦ و٤٧٠.

(١٩٢) انظر: خطاب رئيف الخوري مقرّر اللجنة التحضيرية للمؤتمر السوري اللبناني لمكافحة الفاشية الذي انعقد في بيروت في ٦ و ٧ أيار/مايو ١٩٣٩، في: الطليعة، السنة ٥، العدد ٥ (أيار/مايو ١٩٣٩)، ص ٣٥٧- ٣٥٨.

تحالف العرب ومن بينهم بعض مؤسّسي العصبة مع الحلفاء ضد تركيا بهدف تحقيق الأماني القومية العربية، إلا أنهم لم ينالوها نتيجة لإخلال بريطانيا وفرنسا بوعدهما للعرب بتحقيق أمانيهم. وهذا ما كانت ستفعله ألمانيا وإيطاليا لو انتصرتا على الحلفاء.

فإيطاليا الفاشية كانت في تلك المدّة قد سحقت حركة التحرُّر في طرابلس الغرب[193]، وبيَّنت سابقاً أنها كانت تسعى إلى احتلال سوريا ولبنان لإعادة أمجاد الإمبراطورية الرومانية، فيما كانت ألمانيا تسعى إلى السيطرة على بلدان عربية أخرى.

لذا يظهر أن العصبة أمام ذلك التنافس بين الدول الأوروبية التي لم تكن ولا واحدة منها مع أي شكل من أشكال الوحدة، وأمام تشجيع ألمانيا وإيطاليا للاتجاهات المطالبة بالوحدة والاستقلال، بهدف خلق نفوذ وموطئ قدم لهما في بلاد المشرق العربي تمهيداً لاحتلاله ومن ثم سحق حركات التحرُّر فيه كما فعلت إيطاليا في ليبيا. رأت العصبة أن من المصلحة الوطنية والقومية العربية البعيدة المدى التخلّي عن العمل من أجل الوحدة السورية، وتوجيه الجهود لتحقيق الاستقلال التام للبنان وسوريا، لأن العمل من أجل هذه الوحدة في ظل تلك التطورات الأوروبية يخدم المصالح النازية والفاشيستية، ولن يكون لصالح القضية العربية إذا ألمانيا وإيطاليا حقَّقتا أهدافهما.

٢ - التطوُّرات الإقليمية

أوضحت سابقاً أن الهاشميّين تراجعوا عن العمل للوحدة بعد منتصف الثلاثينيات لاقتناعهم بصعوبة تحقيق أي مشروع وحدوي في ظل هيمنة الدول الكبرى النافذة في المنطقة العربية.

إن اقتناع الهاشميِّين بتعذُّر تحقيق أي مشروع وحدوي في تلك الظروف، يعني أن إمكانية تحقيق الوحدة السورية أصبحت متعذِّرة أيضاً بالنسبة إليهم.

والهاشميُّون كانوا أبرز القوى العربية النافذة التي تعمل من أجل الوحدة العربية. والعصبة كانت على علاقة جيدة معهم من أجل تحقيق وحدة البلاد السورية واتّحادها مع العراق لتحقيق الوحدة العربية. وبرأيي أن هذا التطور في موقف الهاشميِّين من الوحدة كان أحد العوامل التي أدّت بالعصبة إلى تغيير موقفها من الوحدة السورية.

(١٩٣) المصدر نفسه، ص ٣٥١.

٣ - التطوُّرات الداخلية

أ- استنكار بعض الهيئات الوحدوية السورية لمقرَّرات مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة، مثل: سعد الدين شاتيلا وعبد الله اليافي (لبنان)، والكتلة الوطنية (سوريا) التي أرسلت وفداً[١٩٤] إلى البطريرك عريضة لاستنكار مقرَّرات المؤتمر المذكور[١٩٥]. وبيَّنت أنها وقَّعت على المعاهدة السورية ـ الفرنسية (١٩٣٦) التي أقرَّت بلبنان وسوريا أنهما دولتان منفصلتان.

ب- في ٢٣/ ١٠/ ١٩٣٦، عقد مؤتمر قومي إسلامي في منزل عمر بيْهم في بيروت، حضرته وفود إسلامية من جميع المناطق اللبنانية، باستثناء وفد طرابلس (عبد الحميد كرامي وعبد اللطيف بيسار)، وانتهى برفع مذكَّرة إلى المفوَّض السامي، الكونت دي مارتيل، طالب فيها بالوحدة بين الجمهوريتين، اللبنانية والسورية، وبالمساواة في الحقوق والواجبات بين الطوائف اللبنانية[١٩٦].

ج- بعد مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ضعف التنسيق بين الوحدويِّين السوريِّين، حيث عُقد مؤتمر في صيدا تمثَّلت فيه طرابلس، صور، مرجعيون وبنت جبيل دون بيروت والبقاع. وعقد وحدويّو بيروت السنَّة مؤتمراً لهم في صوفر. وعقد وحدويّو البقاع مؤتمراً لهم في بلدة لالا[١٩٧] باسم مؤتمر البقاع وراشيا[١٩٨].

د- رفض الاتجاه الاستقلالي في لبنان، تيَّار كاظم الصلح وحزب الاستقلال الجمهوري[١٩٩]، المعاهدة اللبنانية ـ الفرنسية (١٩٣٦) وطالب بالاستقلال التام للبنان[٢٠٠].

هـ- أوضحت سابقاً أن عدداً من أعضاء الكتلة الوطنية (سوريا) عارض

(١٩٤) تألَّف الوفد من: فخري البارودي ومظهر ارسلان وميخايل إليان. انظر: مراد، الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤- ١٩٤٦، ص ٢٤٩.

(١٩٥) المصدر نفسه، ص ٢٤٦.

(١٩٦) مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦، ص ٣٤ و٤٥.

(١٩٧) في منزل أحمد طربين. وكان رئيس المؤتمر محمد حسين حيمور، وأمين سرّه المحامي عوض فاضل.

(١٩٨) مراد، المصدر نفسه، ص ٢٥٨- ٢٦٠.

(١٩٩) بيَّنت سابقاً أن هذا الحزب كان معارضاً للانتداب وللطائفية السياسية ومطالباً باستبدالهما بالقومية العربية، ورئيسه، عزيز الهاشم، حضر مؤتمر بلودان.

(٢٠٠) مقابلة مع الأستاذ منح عادل الصلح بتاريخ ٨/ ١٠/ ١٩٩١. انظر: الصلح، حزب الاستقلال الجمهوري: من المقاومة الوطنية أيام الانتداب الفرنسي، ص ١٢٣.

معاهدة ١٩٣٦ وانضم البعض منهم إلى الجبهة الشعبية، بزعامة الشهبندر، والتي كانت تهدف إلى الاستقلال التام لسوريا وإدخالها في اتحاد عربي.

و- في ٤/ ٢/ ١٩٣٦، عقد في بكركي مؤتمر مطارنة الطائفة المارونية برئاسة البطريرك أنطوان عريضة. وطالب المؤتمر بالاستقلال للبنان، والاعتراف بسيادته الوطنية من غير المساس بعلاقاته الأخوية مع الشقيقة سوريا خاصة على صعيد التعاون الاقتصادي والاجتماعي[٢٠١].

وفي عام ١٩٣٧، أعلن الشيخ بشارة الخوري تأييده للانفتاح على العرب، ثم تبنَّى الانتماء العربي وأعلن عن ذلك عام ١٩٤٠[٢٠٢] وفي عام ١٩٣٨، ترأس النائب خليل أبو جودة الوفد اللبناني إلى المؤتمر البرلماني العربي في القاهرة المخصَّص للدفاع عن القضية الفلسطينية، وخطب فيه باسم اللبنانيِّين قائلاً: «إن أبناء لبنان، لا يترددون في بذل أية تضحية تطلب إليهم، في سبيل فلسطين وقضيتها العادلة». وأشاد علي ناصر الدين بمواقف النائب أبو جودة في المؤتمر المذكور[٢٠٣].

إن هذه التطوُّرات الداخلية تدل على تراجع الكثير من هيئات الاتجاه الوحدوي السوري في لبنان وسوريا عن المطالبة بالوحدة السورية، واعترافهم بلبنان وسوريا كدولتين منفصلتين، وعلى تصاعد معارضة الهيئات والفاعليات الوطنية المسيحية في لبنان لسلطات الانتداب، مطالبة باستقلاله وسيادته الوطنية وبعلاقات سياسية واقتصادية واجتماعية جيدة مع سوريا، منفتحة على العرب ومدافعة عن قضاياهم، وعلى معارضة الاتجاه الاستقلالي في لبنان وعدد من القوى الوطنية في سوريا، لاستقلال مقيَّد مطالبين بالاستقلال التام وساعين إلى التضامن العربي.

وترافقت هذه التطوُّرات الداخلية مع تراجع في العمل لتحقيق الوحدة على المستوى الإقليمي، وظهور اتجاهات في المشرق العربي متعاونة مع الأنظمة النازية والفاشية في أوروبا بهدف التخلُّص من الانتداب، غير مدركة لخطورة هذه الأنظمة على حركة التحرُّر العربية، ولأهدافها الاستعمارية في البلدان العربية التي تفوق أهداف الانتداب البريطاني ــ الفرنسي.

لذلك يبدو أن العصبة أخذت بعين الاعتبار هذه التطوُّرات الأوروبية والإقليمية والداخلية، وأدَّى ذلك إلى أن تغيِّر موقفها من الوحدة السورية وتعمل من أجل

---

(٢٠١) مراد، المصدر نفسه، ص ٢٣٢- ٢٣٣.

(٢٠٢) الجسر، ميثاق ١٩٤٣: لماذا كان؟ وهل سقط؟، ص ٩٦.

(٢٠٣) ناصر الدين، هكذا كنا نكتب، ص ١٨٨.

الدفاع عن الفكرة القومية العربية، وعدم وقوع البلدان العربية تحت سطوة النازية والفاشية أعداء الحرية والديمقراطية، وتوجيه الجهود نحو التخلُّص من الانتداب وتحقيق استقلالها التام.

ففي سوريا لعبت العصبة دوراً في تصعيد المعارضة للانتداب وتصديع أوضاع الكتلة الوطنية وحكومتها، مسقطة نهج المهادنة وسياسة التعاقد. وفي لبنان لعبت دوراً في التوصُّل إلى الوفاق الوطني، عاملة على الدفاع عن الفكرة العربية أمام الاتجاهات الفكرية المناوئة لها، داعية إلى تقديس القومية العربية، والمثابرة في الجهاد ومقاومة الاستعمار والاستعباد حتى الاستشهاد في سبيل النهضة العربية واستقلال لبنان. وأعضاؤها اضطُهدوا لأنهم عملوا من أجل ذلك.

ولذلك فإن العصبة بعد أن غيَّرت موقفها من الوحدة السورية، لعبت دوراً بارزاً في تفعيل الحركة الاستقلالية في لبنان وسوريا، من أجل تحقيق الاستقلال والسيادة التامَّين لهذين البلدين كما هما عليه.

وتغيير العصبة لموقفها من الوحدة السورية لم يكن تغييراً في أهدافها العليا، ولا في نهجها الوحدوي العربي، بل تماماً كما عبَّر عنه علي ناصر الدين، تعديلاً في خطَّة نضالها.

وأستنتج ذلك من التالي:

١- إن مؤتمرها التأسيسي أوضح أن أهدافها العليا هي: تحقيق سيادة العرب واستقلالهم المطلقين، والوحدة العربية الشاملة. ولمَّا بحث في السياسة السورية لم يشر إلى الوحدة السورية كهدف قائم بذاته بالنسبة للعصبة، أو كأحد أهدافها العليا التي لا يمكن أن تتراجع عنه، علماً أن المطالبة بالوحدة السورية كانت مسألة سياسية بارزة في تلك المدة.

٢- إن البرقيَّات والخطب والمواقف التي أعلنتها العصبة كانت دائماً تطالب بالوحدة العربية وتدعو لتحقيقها، وعملت من أجل هذه الوحدة منذ أن تأسَّست إلى أن توقَّف نشاطها قسراً ودون أن تتراجع عنها. وحين كانت تعمل من أجل الوحدة السورية، فإنها لم تفصل بين عملها لتحقيق هذه الوحدة والوحدة العربية.

ولهذا أرى أنها عملت من أجل الوحدة السورية انطلاقاً من تكتيك سياسي، وليس من منطلق أن الأقضية الأربعة وبيروت والمناطق التابعة لها كانوا في ما مضى وتاريخياً، يشكِّلون مع الأراضي السورية كياناً سياسياً وإدارياً واقتصادياً واجتماعياً

موحَّداً جغرافياً ومستقلاً ومميَّزاً عن غيره من الكيانات وبالتالي يجب إعادة توحيده. وما يدل على ذلك أنها حين تخلَّت عن الوحدة السورية أعلنت أنها عدَّلت في خطة نضالها، أي في تكتيكها لتحقيق أهدافها العليا وليس في هذه الأهداف الأخيرة، كما أعلنت إقرارها بلبنان كقطر عربي قائم بذاته وليس كجزءٍ من قطر، وذلك على أثر دروس وأبحاث أجرتها بشأنه، أي أنها رأت في العوامل السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية التاريخية، الخاصة في المناطق التي ذكرتها، ما يجعلها جزءاً من الكيان اللبناني وليس من الكيان السوري. وهذا يؤكِّد أن عملها في سبيل الوحدة السورية لم يكن نتيجة دراسة أثبتت لها أن المناطق التي أشرت إليها تشكِّل جزءاً من الكيان السوري، إنما كان تكتيكاً سياسياً.

ويبدو أن هذا التكتيك الذي اتبعته أملته عليها الظروف السياسية لتلك الفترة، خاصة الأوضاع السياسية في لبنان ما قبل منتصف الثلاثينيات، حسب ما يتبينَّ مما أعلنته العصبة. ففي تلك الحقبة كانت هناك اتجاهات منها منْ كان يسعى لبقاء سلطات الانتداب في لبنان أو حماية فرنسا له، ومنها من كان لا يعتبره بلداً عربياً، أو يرفض أي شكل من أشكال الوحدة ويعارض التقارب بين لبنان وغيره من البلدان العربية. وهذه الاتجاهات كان لها أنصار في مختلف المناطق والطوائف اللبنانية، لكنها كانت بارزة لدى الطائفة المسيحية المارونية التي أغلبية أبنائها هم من أهالي جبل لبنان ويشكِّلون الأكثرية فيه، بينما المناطق الأخرى أكثريَّتها ذات أكثرية إسلامية، وغالبية المسلمين فيها، مع بعض الهيئات من مختلف الطوائف المسيحية، منهم منْ كان يطالب بالوحدة السورية، ومنهم منْ كان يطالب بالوحدة العربية.

ويتَّضح من مواقفها أيضاً، خاصة في مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة، أنها في هذه الخطَّة النضالية التي اعتمدتها قد تنبَّهت للأوضاع السياسية العامة، فراعت المشاعر والمواقف لدى أكثرية أهالي جبل لبنان وأكثرية المناطق الأُخرى. ولهذا لم تعمل للوحدة السورية الشاملة لجبل لبنان ولم توافق على المطالبة بها، لأنها رأت أن أكثرية أهالي جبل لبنان يعارضون الوحدة مع سوريا، وعملت من أجل وحدة المناطق الأُخرى مع سوريا، لأن أكثرية أهالي هذه المناطق كانوا غير معارضين لهذه الوحدة.

وهذه المراعاة لا تعني أنها كانت تماشي مواقف الأكثرية في كل منطقة دون أن يكون لها موقف من اتجاهاتها، أو موقف من الأحداث مستقل ومميَّز عن غيرها، فلو كانت مراعاتها على هذا الشكل لأصبحت مواقفها تابعة لمواقف الأكثرية ولا تقوم على أساس الأهداف والمبادئ التي أقرَّتها، علماً أنها لم تكن كذلك، ولما شكَّلت رافعة للعمل الوطني والقومي، ولما كان لرأيها ومواقفها وزن وأهمية، ولما لعبت دوراً مؤثراً

في العمل السياسي والجهادي ضد المستعمرين. فمراعاتها لهذه الأوضاع أو تلك كانت انطلاقاً من تفهُّمها لما هو خاص في كل بلد عربي، ولتأثيرات الظروف السياسية العامة وموازين القوى، وعلى قاعدة توجُّهها لتوعية مختلف الجماهير على الأهداف التي أقرَّتها، بوعي يبدِّد المخاوف من الوحدة عند الفئات التي تخشى منها وتعارضها لاعتبارات خاصة بها، سواءً كانت هذه الاعتبارات طائفية أو غير ذلك، وفي الوقت ذاته يبلور مفهوم الوحدة عند الفئات المؤيِّدة لها على أُسس علمية تربط بين تحقيق الوحدة والاستقلال والسيادة وكل الأهداف الأخرى للعصبة، وذلك من أجل تحقيق وعي جماهيري عام للمصالح والأهداف الوطنية والقومية العربية المشتركة، وتنظيم هذه الجماهير تنظيماً جيداً ومحكماً على قاعدة أهدافها، ثم النهوض بها نهضة عامة وكبيرة لتحقيقها.

إلا أن العصبة لم تتمكَّن من تحقيق وعي جماهيري للنهضة التي سعت إليها لأسباب سأذكرها لاحقاً، كما أن التطوُّرات السياسية السابقة الذكر أدَّت إلى تراجع الكثير من الهيئات الإسلامية والوحدوية عن المطالبة بالوحدة السورية، وتراجع أيضاً دور الهيئات المسيحية المطالبة بحماية فرنسا للبنان أو غير الراغبة في التقارب بينه وبين البلدان العربية الأُخرى، فيما صعَّدت هيئات مسيحية أُخرى، لمواقفها أهمِّية وتأثير، من مطالبتها بالاستقلال للبنان والتقارب بينه وبين سوريا وغيرها من البلدان العربية. وفي الوقت ذاته تعاونت بعض الهيئات مع الأنظمة الأوروبية الجديدة، النازية والفاشية، لتحقيق الوحدة. وكانت نتيجة كل هذه التطوُّرات السياسية تقاطع مواقف الهيئات المعارضة للحماية الفرنسية وللتعاون مع الأنظمة المذكورة والمطالبة بالاستقلال للبنان وتقاربه مع البلدان العربية، مع مواقف العصبة المعارضة لمثل هذه الاتجاهات والعاملة لتحقيق الاستقلال التام والتقارب بين البلدان العربية ووحدتها.

ففي تلك الظروف المستجِدَّة، لاحظت العصبة أن العمل في سبيل الوحدة السورية لم يعد يشكِّل خطوة مهمة من أجل تحقيق أهداف القضية العربية، ومنها الاستقلال الناجز للبنان وسوريا، فغيَّرت موقفها منها وتخلَّت عن العمل من أجلها، وأعلنت إقرارها بلبنان كما هو عليه، وأخذت تعمل فيه وفي بلدان عربية أخرى لتحقيق استقلالها وسيادتها التامَّين وتقاربها في ما بينها تمهيداً لإنشاء الدولة العربية المستقلة والموحدة. وعلى هذه القاعدة آزرت في لبنان المطالبين باستقلاله وحريته، غير متخلِّية في ذلك عن نهجها الوحدوي العربي وأهدافها العليا.

وتميَّزت العصبة عن غيرها من الهيئات والقوى التي تراجعت عن العمل من أجل الوحدة السورية، بأنها جاهرت بتغيير موقفها منها، وصارحت الرأي العام أن

هناك حقائق توجب ذلك وتطوُّرات سياسية تستدعي اتخاذ هذا الموقف، وبأنها لم تعمل على الصعيد المحليّ من موقع المطالب بالمشاركة في السلطة، أو المطالب بالمساواة على أساس طائفي، أو المعتبر المعاهدات مع المستعمرين تؤدي إلى الاستقلال التام، إنما على العكس من ذلك، أي من موقع العامل باتجاه تشديد المعارضة للانتداب والمعاهدات التي تعطي امتيازات للاستعمار، والمعارض للطائفية السياسية، والمطالب بالكفاءة، والمدافع عن القومية العربية كسمة جامعة لجميع خصائص المجتمع العربي، تعبّر عن روحيَّته وتميُّزه عن غيره من القوميّات والمجتمعات مهما اختلفت خصائص أي جزء منه في أي منطقة أو بلد عربي، عاملة على تقارب الأقطار في ما بينها لتحقيق الوحدة العربية على أساس هذه القومية.

إن الإجراءات القمعية الشديدة التي نفَّذتها سلطات الانتداب على العصبة عشية الحرب العالمية الثانية، دلَّت على أنها كانت إحدى التنظيمات الأكثر خطورة ونشاطاً في حركة التحرُّر العربية المقلقة لهذه السلطات في تلك الظروف المضطربة. وليس بالمستغرب ذلك، لأن العصبة كانت تنمو في ذلك الحين، وتدعو دائماً لمقاومة الاستعمار وتفعل، ولديها برنامج لإنشاء دولة عربية مستقلة تماماً ممكن تطبيقه في كل بلد عربي ويتعارض مع مصالح الدول الاستعمارية. ولهذا عملت تلك السلطات على تعطيل دورها طوال فترة الاضطراب التي كانت ظروفها تنذر بالاستقلال، كي تستبعدها عن العمل الوطني وعن إمكانية اشتراكها في السلطة والعمل لإنشاء دولة على الأُسس التي أوضحتها سابقاً.

ونتيجة ظروف السنوات الأُولى من الحرب المذكورة، اضطرَّ الفرنسيون ــ الذين كانوا ضد ألمانيا ــ إلى إعلان استقلال سوريا ولبنان، لكن هذا الإعلان لم يؤدِّ إلى الاستقلال في حينه، ثم تطوَّرت هذه الحرب على المستوى الدولي، فأضعفت النفوذ الفرنسي والبريطاني نسبياً، وأظهرت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي كدولتين عالميَّتين نافذتين كانتا مؤيِّدتين لطلب لبنان وسوريا بالاستقلال، فتضافرت في تلك الظروف عوامل انتهاء مرحلة الانتداب وأطلَّ فجر الاستقلال فيهما نهاية عام ١٩٤٣.

لقد كانت العصبة حاضرة بشكل بارز في جميع الأحداث التي عايشتها في لبنان وسوريا منذ أن تأسَّست إلى أن توقَّف نشاطها، ومثَّلت الاتجاه الوطني الأكثر مخاصمة للاستعمار وغير المهادن له، والمعرقل الأساسي للمساومات، والمعارض بحزم للتنازلات التي تضر بالمصلحة الوطنية، والعامل في سبيل الاستقلال الناجز للبلدان العربية على أساس السيادة القومية العربية المطلقة.

والملاحظ أن تغيير موقفها من الوحدة السورية لم يؤدِّ إلى تراجع دورها في سوريا ولبنان، إنما إلى العكس من ذلك، كما ترافق مع نمو لأوضاعها في البلدين المذكورين والعراق، مما يدل على أن العمل لتحقيق استقلال هذه البلدان كما هي عليه كان يحظى بتأييد جماهيري أكبر، بمعنى آخر أن العمل الوحدوي لم يكن يلقى تأييداً جماهيرياً كبيراً. لكن هذا لا يعني أن العصبة تمكّنت من استنهاض الجماهير بشكل واسع لأنها تخلّت عن الوحدة السورية. فهي وإن تخلّت عن هذه الوحدة إلا أنها لم تتخلّ عن العمل للوحدة العربية، وهذه الوحدة الأخيرة كانت تعترضها عقبات كثيرة.

ولهذا أرى أنها استطاعت أن تُكوّن أوضاعاً حزبية وحالة جماهيرية قادرة على الاعتراض والضغط لتحقيق بعض أهدافها، أو لإيصال ممثلين لها إلى السلطة، في ظروف تراها مؤاتية للمشاركة فيها، أكثر مما كانت قادرة على تحقيق كامل الأهداف التي أقرتها.

خاتمة

تأسَّست عصبة العمل القومي على أيدي عدد كبير من المجاهدين القوميين العرب وفق ما سبق وذكرته عن نشأتها وتكوينها في القسم الأول من الفصل الثاني. ولاحظت الظروف العامة ونقاط القوة والضعف في البلدان العربية، وعيَّنت أهداف الاستعمار فيها، ومنشأه وتطوره والأساليب التي يستخدمها لتثبيت سلطانه عليها، وتعدُّد المستعمرين لها، وتعدُّد طرائق عملهم التي أدت إلى ظروف خاصة في كل قطر منها، لكن دون أن يؤدي ذلك إلى انقطاع عن التاريخ الواحد والأماني الوطنية المشتركة للشعب العربي في جميع البلدان العربية.

ودخلت العصبة العمل السياسي مقاطعة المستعمرين وكافة المؤسَّسات الرسمية والخاصة التي ينشئونها، معتمدة التنظيم الشعبي المقاوم، ساعية إلى تحقيق أهدافها الوطنية والقومية أولاً، كمقدمة لتحقيق أهدافها الأخرى، وذلك حسب ما ذكرت في القسمين الثاني والخامس من الفصل الثاني.

وأنشأت العصبة تنظيمها على أسس تراتبية علاها الأمانة العامة ومجلس المفوَّضين، معتمدة المركزية في تقرير الشؤون الأساسية للتنظيم، واللامركزية في بعض الجوانب التنظيمية من أجل توسيع انتشارها، وفق ما أوضحته في القسم الثالث من الفصل الثاني.

ولعبت العصبة دوراً بارزاً في الأحداث السياسية في لبنان وسوريا وفلسطين، وفق ما عرضته في الفصل الثالث. وحاربت الإقطاعية وكل ما يضعف القومية العربية، ولم تهادن ولم تلتو في كفاحها ضد المستعمرين وحلفائهم، وعملت لتخريج مناضلين يتسمون بالشجاعة والمناقبية في العمل الوطني والسياسي، وخلق مجتمع متقدم وراق.

وشُلَّ نشاطها أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم حصلت تغيُّرات في أوضاعها التنظيمية على أثر استقلال لبنان وسوريا، حيث انفصلت فروعها في الأقطار ولم تعد العصبة ذات تنظيم مركزي.

وبناء على هذا العرض المختصر لما سبق وأوضحته عن تكوين العصبة وجهادها، أطرح الأسئلة التالية:

أوّلاً: أين موقع العصبة ضمن أحزاب الثلاثينيات في لبنان وسوريا؟

إذا قاربت العصبة إلى تصنيف موريس ديفرجيه للأحزاب التي نشأت قبل عام ١٩٣٤ في بلدان الشرق الأوسط[١]، أرى تكوينها خارجاً عن هذا التصنيف للأحزاب في بلدان هذا الشرق من جهة، وأنها تتشابه في بعض الجوانب مع الأحزاب الأوروبية باستثناء الأحزاب الفاشية منها من جهة ثانية.

فالعصبة لم تتأسّس على يد شخص، ولا على يد وجيه أو زعيم، ولا على يد شخصين أو خمسة عشر شخصاً، إنما بجهود مجموعة كبيرة من المناضلين القوميّين العرب المثقّفين من عدّة بلدان عربية وعن طريق مؤتمر، ومؤسّسوها ليسوا من فئة الإقطاعيين، وليسوا فئة تجمّعت حول عائلة إقطاعية، إنما غالبيتهم من الطبقة البرجوازية الصغيرة الحديثة التكوين في البلدان العربية.

وعلى الرغم من أن العصبة ضمّت إليها عناصر إقطاعية، فإنها عملت على محاربة الإقطاع. والعصبة ليست عصابة يجمعها زعيم عسكري، فهي أبعد ما يكون عن ذلك، إنها منظّمة سياسية جاهدت من أجل الأماني القومية العربية، وإنشاء دولة عربية وتحقيق نهضة عامة فيها يطال خيرها جميع العرب.

والعصبة ليست حزباً صغيراً، ولا حزب أقلّيات دينية أو مذهبية أو عنصرية، إنها على العكس من ذلك، فهي منظّمة قومية عربية باب الانتساب إليها مفتوح لكل عربي يريد أن يشارك في تحقيق أهدافها من أي بلد أو مذهب كان، وحقّقت انتشاراً في عدّة بلدان عربية وضمّت إليها أعضاء من مختلف الطوائف والفئات الاجتماعية، وتضامنت معها بعض القوى لتحقيق الأهداف الوطنية.

والأحزاب البرجوازية الصغيرة التي نشأت في أوروبا في القرن التاسع عشر وأصبحت اليوم أحزاباً محافظة وليبرالية، كانت سابقاً أحزاباً برجوازية ثورية تهدف

---

(١) يصنّف ديفرجيه الأحزاب التي نشأت قبل عام ١٩٣٤ في بعض بلدان الشرق وفي الشرق الأوسط وافريقيا بأنها أحزاب على رأسها شخص نافذ يجتمع حوله أتباع عاديون، أو فئات تلتقي حول عائلة إقطاعية، أو عصابات يجمعها زعيم عسكري. ويميّزها عن أحزاب العالم المتقدّم التي يصنّفها، بناءً على بنيتها، إلى أحزاب برجوازية نشأت في القرن التاسع عشر ولا تزال قائمة على شكل الأحزاب المحافظة والليبرالية، وإلى أحزاب اشتراكية وشيوعية وفاشية. ويميّز بين نمطين للأحزاب الصغرى، هما: أحزاب الشخصيات، وأحزاب الأقلّيات الدائمة. ويرى أن أحزاب الأقلّيات الدينية تنمو في أفريقيا وآسيا ويعتبر لبنان مثالاً نموذجياً على ذلك والأكثر تعقيداً. انظر: فارس أشتي، **الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩- ١٩٧٥**، ٣ مج (المختارة، لبنان: الدار التقدمية، ١٩٨٩)، مج ٣: **دور الحزب (١٩٦٤- ١٩٧٥)**، ص ١٩٣٩.

إلى الاستقلال والقضاء على الإقطاعية، وعلمنة الدولة وتحقيق نهضة شعوبها في الإطار القومي[٢].

والعصبة في تكوينها تتشابه بنسبة كبيرة مع الأحزاب البرجوازية الصغيرة التي نشأت في أوروبا في القرن التاسع عشر. فالدكتور عبد الله حنا يقول إن العصبة عبَّرت «عن الجانب التقدمي العميق للبرجوازية الصغيرة»[٣]. ولقد أوضحت أنها كانت تهدف إلى توحيد البلدان العربية وتحقيق نهضة عامة فيها وعلمنة الدولة، وأنها ضمَّت إليها عناصر من مختلف الفئات ومن عدَّة بلدان عربية ومن عدَّة طوائف ومن الجنسين، وأكثريتهم من الفئات البرجوازية الصغيرة. فكانت منظمة قومية عربية تمثِّل النزعة الثورية للبرجوازية الصغيرة الوطنية التي كانت تهدف إلى الاستقلال والتحرُّر والتقدُّم وبناء الدولة القومية العربية العلمانية، مثلما كانت تهدف إليه البرجوازية في أوروبا في القرن التاسع عشر أو قبل ذلك.

وصحيح أن العصبة ليست حزباً اشتراكياً أو شيوعياً، لأن فكرها فكر قومي عربي، ولم تؤيِّد اعتناق أي مذهب يضعف القومية العربية، ولم تكن تمثِّل طبقة الفلاحين ولا الطبقة البروليتارية، ولم تهدف إلى إلغاء الملكية الخاصة. وهدفت إلى «القيام بإصلاح اجتماعي فعّال يتوخى المساواة ولكن من غير أن تقبل الشيوعية»[٤]، إلا أن بعض جوانب تكوينها تتشابه مع الأحزاب الاشتراكية والشيوعية، لأن العصبة أعطت اهتماماً كبيراً للفئات الشعبية. فهدفت إلى تسهيل كافة سبل تقدُّمهم الاقتصادي والثقافي والصحي والاجتماعي، وشجَّعت على القيام بتعاونيات، واعتبرت مصلحة المجموع فوق المصالح الخاصة، وأقرَّت تأميم المرافق الاقتصادية الأساسية للدولة العربية، ولاحظت أن الفكرة الاجتماعية والإنسانية والأفكار التحرُّرية تشق طريقها عند كافة شعوب الأمم، هادفة إلى وضع الأمة العربية في هذا السياق العالمي الهادف إلى رفع الظلم وتعزيز الحرية.

ففي الدستور الصادر عن مؤتمرها التأسيسي جاء: أن العصبة تنكر «الإقطاعية وتقاومها وتعمل لإقامة نظام اقتصادي عادل شامل يظفر فيه كل مواطن بحقه

(٢) كارل ماركس وفريدريك إنجلز، بيان الحزب الشيوعي (موسكو: دار التقدم، [د. ت.])، ص ٣٥، ٤٣- ٤٤ و٧٥.

(٣) عبد الله حنا، الحركة العمالية في سورية ولبنان، ١٩٠٠- ١٩٤٥ (دمشق: دار دمشق، ١٩٧٣)، ص ٢٢٩.

(٤) ستيفن همسلي لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ترجمة بيار عقل (بيروت: دار الحقيقة، ١٩٧٨)، ص ٢٨٦.

المتناسب مع عمله»، وأنها تؤمن «بالمدنية العدل أي المدنية الجامعة محاسن المدنيتين المادية والروحية، وبأن الأمة العربية ستكون رسل هذه المدنية»[٥]. وأشار الفريق عفيف البزري إلى أن العصبة هدفت إلى تحرير الوطن العربي وفتح الباب «لتحرير بقية المقهورين في العالم من العبودية الرأسمالية والاحتكارية»[٦]. وأوضحت في الفصل الثالث أن علي ناصر الدين كتب في عام ١٩٣٩ موضحاً أنها هدفت إلى توحيد الأقطار العربية في دولة عربية مستقلة متّحدة، ترتكز على العدل الشامل وتكون عنصراً من عناصر الخير الإنساني والحضارة العالمية.

وأعطت العصبة أهمّية للتنظيم مثلما أعطى لينين أهمية له، وبعض مرتكزات تنظيمها تتشابه مع بعض مرتكزات التنظيم الشيوعي[٧]. ففي بيان مؤتمرها التأسيسي أوضحت أن تنظيمها سيؤسَّس على أساس شعبي وينظَّم تنظيماً محكماً يضمن لها البقاء والاستمرار والاطراد والنشاط وحسن القيادة. وكانت تعمل وفق نظام القيادة الجماعية، ففي أعلى تراتبية إطارها التنظيمي أمين عام، هو الناطق الرسمي باسمها، وإلى جانبه مجلس مفوَّضين مركزي، يقرِّران شؤون العصبة.

والعصبة لا تتشابه مع الأحزاب الفاشية[٨] في أي شيء، لأنها لم تعتمد نظام الزعامة، وصلاحيات التعيين في المناصب الحزبية تعود إلى مجلس المفوَّضين الذي يقرِّر أيضاً شؤون الحزب ويساعد الأمين العام في مهامه. ولم تكن عنصرية كالفاشية. فموقفها من اليهود خير دليل على ذلك، وقد ميَّزت بين الحركة الصهيونية والشعب اليهودي، وبيَّنت أنها كانت تتوخَّى أن تلعب الأمة العربية دوراً ليس في قهر الشعوب بل في مساعدة المقهورين وتعزيز الحرية في العالم، وأن تكون عنصراً من عناصر الخير الإنساني.

إذاً العصبة خارجة عن تصنيف ديفرجيه للأحزاب التي نشأت قبل عام ١٩٣٤ في بلدان الشرق الأوسط، وتتشابه في بعض جوانب تكوينها مع الأحزاب

---

(٥) انظر بطاقة العضوية لعصبة العمل القومي في الملاحق من هذا الكتاب.

(٦) **فلسطين الثورة**، العدد ٢٩١ (تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٨)، ص ٥٣.

(٧) يعتبر لينين بناء التنظيم الثوري مسألة هامة للحركة الثورية التي لا يمكن أن تكون وطيدة بدون منظَّمة من القادة ثابتة تحافظ على استمرار الحركة. والمنظَّمة يجب أن تكون على قدر من الكبر يتم فيها تقسيم دقيق للعمل ولمختلف أنواع النشاطات وأن تقتصر على المحترفين الثوريين. والأحزاب الشيوعية تطبق نظام السكرتارية، أي لجنة مركزية للحزب تبحث شؤونه وعلى رأسها أمين عام، وتتبنى القيادة الجماعية. انظر: أشتي، **الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩- ١٩٧٥**، مج ١: **تكوين الحزب**، ص ٣٧٣، ٣٧٥، ٦١١ و٦١٩.

(٨) تعتمد الأحزاب الفاشية نظام الزعامة الذي يعطي صلاحيات واسعة لزعيم الحزب. انظر: المصدر نفسه، مج ١: **تكوين الحزب**، ص ٦١٨- ٦١٩.

الاشتراكية والشيوعية، وتتشابه بنسبة كبيرة مع الأحزاب البرجوازية التي نشأت في القرن التاسع عشر.

وبعد أن قاربت العصبة إلى تصنيف ديفرجيه، سأُقاربها إلى تصنيفيات أُخرى للأحزاب التي نشطت في الثلاثينيات في لبنان وسوريا.

تتعدَّد الآراء في الأحزاب التي نشطت في الثلاثينيات في لبنان[٩]. فإذا قاربت العصبة إلى هذه الآراء حول تكوين ودور الأحزاب في لبنان أرى أن رأي د. مسعود ضاهر لا ينطبق على العصبة، لأنها ليست حزباً مدينياً، فقد انتشرت في المدن والجبل والجنوب والبقاع والشمال. وهي إن استوحت بعض الأنماط الغربية كالأمانة العامة، ولاحظت إيجابيات المدنية الغربية ولم تعترض على الأخذ بما هو جيِّد منها ويؤدِّي إلى التقدُّم، إلا أنها لم تكن متغرِّبة التكوين، لأن روح النهضة التي هدفت إلى تحقيقها ومحورها يستندان إلى القومية العربية، وبرامجها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ووسائل تطبيقها تراعي فيها الأوضاع الخاصة في كل بلد عربي، وانتقدت الإعجاب بالغرب وتقليده تقليداً أعمى، واعتبرت أن الأخذ بالنماذج الغربية على هذا الشكل يؤدِّي إلى تفكُّك الروابط الاجتماعية في المجتمع العربي ويفسده ويضعف لحمته الاجتماعية والروح القومية العربية، وركّزت على أن النهضة التي تسعى لتحقيقها تهدف إلى حفظ خصائص الأُمة العربية وتطويرها وبعثها من جديد على قاعدة القومية العربية، ورفعت شعارات استوحتها من تاريخ ومجد الأُمة العربية. وبعض مؤسِّسيها سمُّوا أبناءهم بأسماء القبائل العربية[١٠]. وحاكت كافة الفئات الاجتماعية فانضمَّ

---

(٩) يرى د. مسعود ضاهر أن الأحزاب كانت مدينية وبيروتية بشكل خاص وأنها استوحت النمط الغربي وطعَّمته على قاعدة نمط إنتاج زراعي لم يلغ الطائفية باستثناء الحزب الشيوعي والحزب السوري القومي الاجتماعي الذي يؤكِّد التحليل البنيوي على طابعهما المسيحي. ويرى د. إيلي حريق أنها كانت قليلة الأتباع. ويرى د. صلاح عقاد أنها لم تلعب دوراً بارزاً في معارضة الانتداب إلا من خلال الطوائف باستثناء حزب الاستقلال الجمهوري. ويرى سليمان تقي الدين أنها لعبت دوراً في منتصف الثلاثينيات لكنها ظلَّت تعبِّر عن مصالح فئات طائفية معيَّنة. ويرى فؤاد بيطار أنها كانت أحزاباً طائفية وإقطاعية وتفتقد إلى العقائد وغير منظَّمة وشخصية وانتهازية وعاجزة عن تربية المواطن الصالح. ويرى وليد نويهض أن الاستعمار لم يكن يرى في الأحزاب العصرية في الفترة الواقعة بين الحربين خطراً على مصالحه، نظراً لتركيبها الغربي الذي يجعلها غير قادرة على الاستغناء عن الغرب. وأن الغرب كانت معركته الرئيسية تتمحور حول تفكيك الوحدة الإسلامية ومنع نشوء وحدات عربية بديلة. انظر: المصدر نفسه، ص ١١٦- ١١٧.

(١٠) يقول المحامي الأستاذ وائل خير إن والده سمَّاه بهذا الاسم نسبة إلى اسم قبيلة عربية، وكذلك فعل أكرم زعيتر وسمَّى ابنه وائل. وعلي ناصر الدين كان يُعرف بأبي وائل، لكنه لم يرزق ولداً ذكراً، إنما رزق ثلاث بنات، أسماهن: كنده وتميمة وأُمية. والمحامي فهيم الخوري سمَّى أحد أبنائه نزاراً. وهذه الأسماء أخذها علي ناصر الدين والمحامي فهيم الخوري عن أسماء القبائل العربية أيضاً وسموا أولادهم بها. انظر: مقابلة مع المحامي وائل نقولا خير في ٤/٩/١٩٩١.

إليها عناصر من مختلف الفئات والمستويات ومن الجنسين ورجال الدين، وتجاوزت الطائفية واتخذت مثالاً في مجال التيارات السياسية اللاطائفية الأكثر وضوحاً، وبنيتها لا تتسم بطابع مسيحي ولا إسلامي.

ولا ينطبق عليها رأي د. حريق، لأنها لم تكن قليلة الأتباع. ولا ينطبق عليها رأي د. عقاد، لأنها كانت أشد الأحزاب معارضة ومقاومة للانتداب وليس من منطلق طائفي.

وينطبق عليها رأي تقي الدين، لأنها لعبت دوراً في الثلاثينيات. ولكن لا ينطبق عليها تحليله لمصالح أو دوافع تلك الأحزاب، لأنها لم تعبّر عن مصالح طائفية، وأعلنت بعد مشاركتها في الوفاق الوطني أن اللبنانيين في نظرها سواسية لا يعنيها أمر دين أو مذهب لهم، وركّزت على الأخذ بمبدأ الكفاءة.

ولا ينطبق عليها رأي بيطار، لأنها لم تكن تنظيماً عائلياً أو إقطاعياً أو طائفياً، ولها عقيدة قومية عربية، وهي منظّمة وليست شخصانية، وأبعد ما يكون عن الانتهازية لأنها لم تساوم ولم تهادن وطردت الأعضاء الذين خالفوا مبادئها. ولم يتبيّن أن أحداً من مؤسّسيها أو أعضائها، باستثناء الذين طردتهم، تعاون مع سلطات الانتداب أو تولّى وظيفة رسمية أثناء الانتداب عِلماً أن مؤسّسيها من المثقّفين. وبشّرت بين أعضائها بالصدق والصراحة والوفاء واحترام القانون والتقيد بالنظام، وفتحت المدارس لتعلّم الأميّين مجاناً.

ولا ينطبق عليها رأي نويهض، لأنها كانت تنظيماً عصرياً غير متغرّب في التكوين وتشكّل خطراً على مصالح الغرب. فهي تنظيم عصري لأنها نشأت عن طريق مؤتمر دام خمسة أيام وكان له هيئة إدارية تنظّم أعماله، وبحث في مختلف الأوضاع العربية وتطرّق إلى الأوضاع الدولية وانتهى ببيان يحدّد أسباب نشأتها وأهدافها ووسائل عملها. وهي غير متغرّبة التكوين لحيثيات سبق أن ذكرتها. وهي تشكّل خطراً على مصالح الغرب لأنها لاحظت أن البلدان العربية غنية بالخيرات والموارد الاقتصادية المهمة، وأقرّت العمل من أجل استقلالها التام ووحدتها وتحقيق نهضتها بالاعتماد على إمكانياتها دون تبعية، وإقفال السوق العربية أمام المنتوجات الأجنبية باستثناء ما هو ضروري منها، ومحاربة الكثير من الظواهر التي مصدرها الغرب ولا تعود بالخير على العرب. ومارست سلطات الانتداب أعمالاً قمعية على أعضائها أثناء الحرب العالمية الثانية اختلفت بشدّتها عن غيرها من الإجراءات القمعية التي مارستها هذه السلطات على غيرها من الأحزاب الوطنية، لأنها كانت تشكّل عاملاً مقلقاً لسلطات الانتداب الهادفة إلى منع نشوء وحدات عربية.

وأرى أن د. أشتي الذي صنَّف الأحزاب بالاعتماد على معيارين أساسين، هما: تكوينها وموقفها من الانتداب والوحدة والكيانات، كان الأكثر دِقَّة بين المصنِّفين لها، لأنه لاحظ أن تكوين الأحزاب ومواقفها في العشرينيات والثلاثينيات كان انعكاساً للانقسام الاجتماعي السياسي في لبنان الذي أدّى إلى ظهور ثلاثة اتجاهات سياسية، هي: الاتجاه الوحدوي، والاتجاه الكياني، واتجاه التسوية الذي تألَّف من الطوائف المسيحية غير المارونية ذات العمق السوري، والبرجوازية المارونية، والبرجوازية الإسلامية البيروتية المستفيدة من الكيان وعلاقاتها العربية. ثم ربط بين تكوين الأحزاب ومواقفها مميِّزاً بين الأحزاب ضمن الاتجاه الواحد(١١).

وتصنيف الأحزاب في لبنان على قاعدة تكوينها ومواقفها من الانتداب والكيانات والوحدة يصح لتصنيف الأحزاب في سوريا في الثلاثينيات على هذه القاعدة.

---

(١١) يصنِّف د. أشتي الأحزاب إلى أحزاب وحدوية وأحزاب كيانية وأحزاب تسوية. ويميِّز بين الأحزاب ضمن الاتجاه الواحد تبعاً إلى تكوينها وذلك على الشكل التالي:

أ- الأحزاب الوحدوية وتندرج ضمنها ثلاث فئات هي:

١- الأحزاب والهيئات التي طالبت بالوحدة العربية المتَّصلة بالتراث الإسلامي واستوحت مواقفها من الحضارة العربية الإسلامية بنموذجها الأكثر إشراقاً، عهد الخلفاء الراشدين، والجامعة العثمانية المصحَّحة، وكانت بنيتها تقليدية إذ تشكَّلت من الفاعليات الإسلامية وبعض المتنوِّرين المسيحيِّين، وأبرز ممثِّليها: حزب الاستقلال العربي، وإلى حد ما عصبة العمل القومي.

٢- الأحزاب التي طالبت بالوحدة العربية أو الوحدة السورية واقتبست عن الغرب مقولاتها لإثبات الهدف، واعتمدت بنى حزبية حديثة وغربية، وأبرز ممثِّليها: الحزب السوري القومي الاجتماعي المقتبس عن المدرسة الألمانية مقولاتها، والمعتمد بنى حزبية على طريقة الأحزاب الأوروبية الحديدية.

٣- الهيئات والأحزاب التي طالبت بالانضمام إلى سوريا، وكانت بنيتها تقليدية إذ تشكَّلت من الفاعليات في الطوائف الإسلامية، وأبرز منْ مثَّلها: اتحاد الشبيبة الإسلامية، الذي، لأسباب عدَّة، دعا إلى إجراء إحصاء جديد وطالب بالمشاركة في السلطة.

ب- الأحزاب الكيانية وتندرج ضمنها مجموعتان هما:

١- الأحزاب التي قبلت بالكيان وبالانتداب وكانت بنيتها متغرِّبة، وأبرز ممثِّليها: حزب الترقِّي وحزب الرابطة اللبنانية.

٢- الأحزاب التي قبلت بالكيان ولم ترتبط بالانتداب وكانت بنيتها متغرِّبة، وأبرزها: حزب الكتائب.

ج- أحزاب التسوية وتندرج ضمنها مجموعتان هما:

١- الأحزاب التي قبلت بالكيانات إنما رفضت الانتداب، واعتمدت نماذج الغرب، وأبرزها: الحزب الشيوعي.

٢- الأحزاب التي قبلت بالكيان إنما رفضت الانتداب، ولم تعارض نماذج الغرب ولم تكن بعيدة عن بنى التجمُّعات اللبنانية، وأبرزها: حزب الاستقلال الجمهوري، الجبهة الوطنية والكتلة الدستورية. انظر: المصدر نفسه، ص ١١٨- ١١٩.

فقد أوضحت في الفصل الثاني أنه في سوريا ظهرت أحزاب قبلت بالكيانات وبالتعاون مع سلطات الانتداب، وهي الأحزاب التي عرفت بالأحزاب المتَّحدة، وظهرت أحزاب عارضت الانتداب وطالبت بالوحدة العربية مثل، الهيئة الشعبية.

كما أن حزب الاستقلال العربي والحزب الشيوعي اللبناني السوري والكتلة الوطنية (السورية) والحزب السوري القومي كان لهم انتشار في لبنان وسوريا.

وتصنيف الأحزاب المتَّحدة والهيئة الشعبية والكتلة الوطنية على قاعدة تكوينها أيضاً سيظهر أنها أحزاب تقليدية.

فالأحزاب المتَّحدة ـ كما أشرت في الفصل الثاني ـ تألَّفت من الإقطاعيين والقادة العسكريين الذين كانوا يخدمون في الجيش العثماني، ومن زعامات عائلية وكبار الموظَّفين.

والهيئة الشعبية تألَّفت من القوى والفاعليات التي تجمَّعت حول الدكتور عبد الرحمن الشهبندر[١٢].

والكتلة الوطنية (السورية) تأسَّست ـ كما ذكرت في الفصل الثاني ـ على يد عدد من الفاعليات في سوريا ولبنان، ولم يكن لها برنامج اقتصادي أو اجتماعي أو عقائدي إنما كان لها برنامج سياسي غير مسطور[١٣].

وبناءً على هذا التصنيف، تصبح مجموعة الأحزاب غير الوحدوية في لبنان وسوريا تضم: حزب الترقِّي وحزب الرابطة اللبنانية وحزب الكتائب (لبنان)، والأحزاب المتَّحدة (سوريا). وتتميَّز الأحزاب المتَّحدة عن الأحزاب الأُخرى بأنها ليست متغرِّبة التكوين، ويتميَّز حزب الكتائب عنهم بأنه ليس مرتبطاً بالانتداب.

وتصبح مجموعة الأحزاب الوحدوية تضم: حزب الاستقلال العربي والهيئة الشعبية والحزب السوري القومي الاجتماعي، ويتميَّز الحزب الأخير عن الحزبين الآخرين بأنه ليس تقليدياً ومتغرِّباً في التكوين، وليس وحدوياً عربياً.

وتصبح مجموعة أحزاب التسوية تضم: حزب الاستقلال الجمهوري والجبهة الوطنية والكتلة الدستورية واتحاد الشبيبة الإسلامية (لبنان)، والكتلة الوطنية (سوريا)، والحزب الشيوعي اللبناني السوري، ويتميَّز الحزب الأخير عن بقيَّة أحزاب هذه المجموعة بأنه ليس تقليدياً ومتغرِّباً في التكوين.

(١٢) حنا، الحركة العمالية في سورية ولبنان، ١٩٠٠- ١٩٤٥، ص ٢٣٢.

(١٣) جلال السيد، حزب البعث العربي (بيروت: دار النهار للنشر، [١٩٧٣])، ص ٢٣.

وإذا قاربت العصبة إلى هذا التصنيف للأحزاب، أشاطر رأي د. أشتي بأنها كانت في موقع الأحزاب الوحدوية العربية، لكن أرى أنها لم تكن إلى حد ما تقليدية التكوين، إنما عصرية التكوين لحيثيات سبق أن ذكرتها خلال مقاربتي لها مع غيرها من الأحزاب.

ووفقاً لهذه الآراء في الأحزاب التي نشطت في لبنان وسوريا في الثلاثينيات، أرى أن العصبة ليست تنظيماً بزعامة شخص أو زعيم نافذ، ولا عصابة بزعامة قائد عسكري، وليست تنظيماً للأقلّيات، أو تنظيماً غير منظّم، وليست تنظيماً طائفياً أو مدينياً أو انتهازياً أو قليل الأتباع، أو لم يلعب دوراً في معارضة الانتداب أو بدون عقيدة أو لم يعمل على تربية مواطن صالح أو غير قادر على الاستغناء عن الغرب أو لا يشكّل خطراً على مصالح الاستعمار، وليست تنظيماً كيانياً أو تخلّى عن الوحدة العربية، أو وحدوياً تقليدياً أو وحدوياً متغرّب التكوين، إنما كانت منظمة قومية عربية وحدوية، غير متغرّبة، عصرية التكوين غير منقطعة عن التراث العربي، عبّرت عن طموحات البرجوازية الصغيرة الوطنية التقدمية، وهدفت إلى بناء دولة عربية كبرى لحمتها القومية العربية وعلمنة مجتمعها وتحقيق نهضتها بالاعتماد على إمكانياتها.

وقد دعت إلى النضال وجاهدت من أجل تحقيق أهدافها ولم تهادن الاستعمار ولم تساوم. ودعت إلى قول الصدق والعمل للحق وعملت من أجل تربية مواطن صالح. حاربت المستعمرين والمتعدّين على حقوق الأمة العربية ولم تتّخذ موقفاً عنصرياً من الشعوب. سعت إلى تحرير البلدان العربية من الاستعمار لتلعب دوراً في الحضارة العالمية والتآخي بين الشعوب.

ثانياً: ما هو نهج العصبة وكيف كانت ستحقق أهدافها؟

هدفت العصبة إلى تحقيق الاستقلال التام للبلدان العربية وتوحيدها، وأقرّت وسائل كثيرة لتحقيق هذه الأهداف، أهمها: تنظيم الجماهير وتوجيهها نحو الهدف القومي الأسمى، توحيد عمل الفصائل المقاومة للاستعمار في كل بلد عربي تحت إشراف قيادة مركزية، الكفاح المستمر ضد سلطات الانتداب ومقاومتهم بكل وسيلة. وأشارت إلى أنها أقرّت طرائق أخرى لتحقيق أهدافها، إلا أنها رأت من المصلحة أن لا تُعلم ضماناً للنجاح.

وأوضحت أنها لم تقبل بسياسة التفاهم مع المستعمرين لأنها شلّت النضال الوطني ضدّهم، ولم تقبل بسياسة المراحل لأنها من صنعهم وتهدف إلى تجزئة العمل

الوطني القومي، ولم تقبل بسياسة الأمر الواقع لأنها تعني الخضوع إلى مشيئة القوي، أي الخضوع إلى سلطات الاستعمار.

إن هذه الوسائل التي أقرّتها العصبة لتحقيق أهدافها، وهذا النهج غير القابل بالتعاون مع المستعمرين والمهادنة لهم، يدلان على أنها لم تكن تسعى إلى تنظيم حركة جماهيرية كي تضغط بواسطتها على المستعمرين لتتفاوض معهم من أجل تحقيق أهدافها، أو للوصول إلى المجلس النيابي، أو لإسقاط حكومة لتأخذ مكانها، وذلك على اعتبار أن لا التفاوض مع المستعمرين ولا العمل من خلال هذه المؤسّسات يؤدّي إلى تحقيق الأهداف الوطنية والقومية في ظل سيطرة سلطات الاستعمار.

لقد ذكرت في الفصل الثاني أن مؤتمر العصبة اعتبرته جريدة **صوت الأحرار** مؤتمراً خطيراً. وقالت جريدة **الشعب** إنه بحث في الطريقة التي تؤدّي إلى تحرير الأمة العربية من نير الاستعمار.

وأشرت في الفصل الثالث إلى أن علي ناصر الدين خطب في عام ١٩٣٥ داعياً شباب العرب إلى الاستعداد لمواجهة المستعمرين وقائلاً للفرنسيين ستأتيهم ليال نورها لمع الحراب.

وبيَّنت أن العصبة غيَّرت موقفها من الوحدة السورية لكنها لم تغيِّر أهدافها العليا، ولم تغيِّر في تلك الفترة في إطارها التنظيمي ولا في وسائل عملها ولا في نهجها غير المهادن للاستعمار. وعبَّر عن ذلك علي ناصر الدين في عام ١٩٣٨ قائلاً إنها وافقت على لبنان بحدوده الحاضرة على قاعدة العمل لتحريره من المستعمرين، وأوضح في عام ١٩٣٩ أنها تعمل لاستقلال لبنان استقلالاً تاماً ضمن المجموعة العربية التي تريد أن تؤلِّف منها دولة عربية واحدة مستقلة، وأن العصبة ضد كل من اعتبر هذا العمل ضده. وبيَّنت أيضاً أنها مثَّلت في سوريا، بعد توقيع معاهدة عام ١٩٣٦، الاتجاه الذي لم يقبل إلا بالاستقلال الناجز لسوريا، وأنها كانت تنظيماً مؤثِّراً عشية الحرب العالمية الثانية في البلدين المذكورين، والمفوَّض السامي حكم بالإعدام على جماعتها في الأيَّام الأولى من الحرب المذكورة.

وفي حفل تأبين الشيخ قسطنطين يني[١٤] ألقى الأُستاذ يوسف يزبك كلمة جاء فيها: «حزب اللامركزية في العهد العثماني والثورة العربية الكبرى على الحكم التركي وعصبة تكريم الشهداء وعصبة العمل القومي هذه، جميعها، أسماء خطيرة،

---

(١٤) أقيم الحفل في قاعة دار الكتب اللبنانية في بناية المجلس النيابي اللبناني في بيروت، بتاريخ ٨ شباط/ فبراير ١٩٤٨.

وصفحات مثقلات بالأحداث الجسام، في تاريخ بلادنا وقومنا، وبها، . . . اقترن اسم الشيخ قسطنطين يني، . . .».

«جميع هذه الأسماء والصفحات والأحداث تختصر بكلمة واحدة: مكافحة الطغيان والاستعمار بجرأة وإيمان. . .»[١٥].

ولما توفي المحامي فهيم الخوري كتبت جريدة **الديار** تقول: «توفي بعد ظهر أمس. . . المحامي المعروف الأستاذ فهيم الخوري أحد مؤسسي عصبة العمل القومي. . .».

«كان فهيم الخوري إنساناً وكان وطنياً عربياً متطرفاً وقد صرف سنوات عديدة من شبابه يقاتل في صفوف الوطنيين الأحرار ضد الانتداب. وكان واعياً رصيناً هادئ التفكير»[١٦].

وفي الندوة التي أقامها الحزب التقدمي الاشتراكي في الذكرى المئوية لمولد علي ناصر الدين، ألقى الفريق عفيف البزري كلمة جاء فيها: «ثم برزت واتضحت ضرورة وحدة الثورة العربية للوصول إلى وحدة الوطن الكبير. . . ولا بد من ثورة كبرى تقوض أركان الاستعمار العالمي في الوطن العربي فتحرر هذا الوطن وتفتح الأبواب لتحرير بقية المقهورين في العالم من العبودية الرأسمالية الاحتكارية.

وقد نضجت فكرة تحرير الثورة العربية. . . وتبلورت عند نفر من مثقفي العرب الأحرار كان في طليعتهم مناضل وأديب كبير هو الأستاذ علي ناصر الدين. نعم إن فكرة توحيد الثورة العربية نضجت وتبلورت في صفوف الشعب العريق المتمرس في الثورات على الظلم ومن أجل التقدم، هذا الشعب العربي القائم في سوريا الطبيعية الممتدة من طوروس إلى سيناء. . . وقد تنادى أولئك المثقفون لدراسة أمر توحيد الثورة العربية وصياغة دستورها، فعقدوا مؤتمرهم التأسيسي في آب/ أغسطس ١٩٣٣ في قرنايل وكان في طليعتهم كما قلنا علي ناصر الدين ومعه رفاقه عبد الرزاق الدندشي وفريد زين الدين وصبري العسلي وفهمي المحايري وشفيق سيد سليمان وغيرهم»[١٧]، والمحامي فهيم الخوري[١٨].

(١٥) قسطنطين يني، صفحة من التاريخ القومي العربي الحديث، أخرجته اللجنة التي أحيت ذكرى قسطنطين يني في قاعة دار الكتب اللبنانية (بناية المجلس النيابي) (بيروت: [د. ن.]، ١٩٤٨)، ص ١٠٨.

(١٦) **الأرثوذكسية** (مرجعيون، لبنان)، السنة ٧، الأعداد ٤-٧ (نيسان/ابريل - تموز/ يوليو ١٩٥٧)، ص ١٢.

(١٧) **فلسطين الثورة**، العدد ٢٩١ (تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٨)، ص ٥٣.

(١٨) **فلسطين الثورة**، العدد ٣٢٦ (حزيران/ يونيو ١٩٨٩)، ص ١.

إن ما ذكرته جرائد عام ١٩٣٣ عن مؤتمر العصبة، ونهجها غير المهادن لسلطات الانتداب، وتمثيلها الاتجاه الأكثر حزماً في السعي إلى تحقيق الاستقلال التام، واعتبارها من التنظيمات الخطيرة على الاستعمار والمقاتلة له، وأنها هدفت إلى توحيد الثورة العربية ووضع دستور لها من أجل تحرير البلدان العربية من المستعمرين، كل ذلك يدل على أن نهج العصبة كان نهجاً ثورياً وتعمل للإعداد لثورة على الاستعمار، أي أنها كانت تطمح إلى القيام بثورة شعبية عربية تؤدّي إلى تحقيق أهدافها العليا أولاً، ثم العمل من أجل تحقيق أهدافها الأُخرى.

إن مشروع إنشاء دولة عربية موحَّدة «عصرية متقدمة ومستقلة استقلالاً تاماً، يسودها الأمن والعدالة لجميع فئات الشعب» الذي هدفت إلى تحقيقه العصبة حسب ما ذكره د. علي محافظة[١٩]، والنهج الثوري الذي رسمته لها وسلكته كما ذكرت، يدلان على أن الوسائل التي أقرّت العمل بها كانت غايتها تأطير العمل القومي العربي المقاوم للاستعمار في البلدان العربية عن طريق تنظيم عربي مركزي، موحَّد الجهد والهدف، للقيام بثورة شعبية في سبيل تحقيق الأماني الوطنية والقومية العربية.

وإذا كانت الثورة تستلزم تنظيم الجماهير وتوعيتها، فإن العصبة لم يغب عنها ما للتنظيم ولطبيعته من أهمية في هذا الشأن ــ وقد أوضحت ذلك سابقاً ــ كما أنها أنشأت تنظيماً شبه عسكري هو حرس العروبة، واعتبرت كل عضو فيها عضواً في هذا التنظيم، كي يكون تنظيمها مستعداً لمواجهة المستعمرين من جهة، وانسجاماً مع نهجها من جهة ثانية.

أما بالنسبة إلى توعية الجماهير، فقد أوضحت أنها فتحت مدارس ليلية لتعليم الأُميين في أكثر من مكان، وكانت ترشد أعضاءها وجماهيرها، وحقّقت مستوى مرتفعاً من الدعاية والزخم.

وسأشير إلى ما قيل في بعض مؤسِّسيها ويدل على الدور الذي كانوا يقومون به لتوعية أعضاء العصبة والجماهير.

لما توفّي الشيخ قسطنطين يني كتبت جريدة **صوت الأحرار** تقول: «شيَّعت العاصمة اللبنانية... رجلاً من خيرة العاملين بالحقل الوطني... وعاملاً في العصب المعنية بالشؤون العامة وبكل ما يظهر هذه الأمة في مظهر الوعي الأكيد...»[٢٠].

---

(١٩) علي محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩- ١٩٤٥، مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية؛ ١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥)، ص ١٣٨.

(٢٠) يني، صفحة من التاريخ القومي العربي الحديث، ص ٣٥.

ولما توفّي المحامي فهيم الخوري خطب المحامي يوسف مخايل الخوري قائلاً: «إنني وأيم الله أهنئك إذ رأيتك تخر صريعاً في ميدان الشرف وأنت لم تكمل شوطك ولم تنجز الرسالة التي نذرت نفسك من أجلها مجاهداً مدافعاً مناضلاً مكافحاً لخير الإنسانية والمحبة بين البشر، وإعلاء شأن الوطن، وتجول وتصول لتعزيز مكانته ومجده ورخائه طوراً خطيباً تسمع كلماتك الرنانة، وتارة باحثاً مناقشاً وآناً مرشداً وآونة شارحاً آراءك الصائبة السديدة المقنعة للوصول إلى الهدف الأسمى المستقر في قرارة نفسك»[٢١].

وفي حفل تأبين علي ناصر الدين في الأونيسكو خطبت السيِّدة إميلي فارس إبراهيم قائلة: «في حرم الذكريات هذه اشتياق لأيام تفتحت فيها مشاعري الوطنية على أروع ما فيها من توجيهات الإباء والكبر وقد أتصفت بها خلقك يا علي»[٢٢].

وفي الحفل نفسه خطب فضيلة الشيخ عبد الله العلايلي قائلاً: «علي ناصر الدين والعروبة.. كلمتان وعيت عليهما أول ما وعيت. وانشقت عنهما يقظة الحس عندي مثلما ينشق البرعم عن العبير والضوء».

«ثم عرفته من قريب... فعرفت إيمان الأنبياء يوم تجسد، وبراءة قلب القديسين، ومنعقد عزم الأبطال، وتألق وهج الحرية في مقلة الأحرار»[٢٣].

كما خطب معالي الأُستاذ نصري المعلوف قائلاً: «لبيك، لبيك أبا وائل[*]. لبيك، لبيك في ساح المناظرة، والنظر في شؤون الناس، ومصائر الشعوب، أليس هما، شاغلك الأول...».

«لبيك في موقف تقييم ومحاكمة، في موقف مكاشفة ومحاسبة، كنت عودتناها، وأسميتها حوافز الهمم، ومنائر الصواب، وزاد السير الطويل».

«الثمانون بما حفلت، وبما حملت، هل كانت إلا وقفاً على رسالة،... ولكنها في تصورك، وإيمانك كانت هي الحقيقة المحتومة، الآتية لا ريب فيها، ولكم دعوت لها، وعلمت بالقلم واللسان، وبالقدوة المثلى،...»[٢٤].

---

(٢١) الأرثوذكسية، ص ٢٢- ٢٣.

(٢٢) علي ناصر الدين، صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث، أخرجته لجنة إحياء ذكرى المجاهد علي ناصر الدين (بيروت: [د. ن.]، ١٩٨٠)، ص ٧٦.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(*) لقب كان يعرف به علي ناصر الدين.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ٨٥ - ٨٦.

وجاء في الكلمة التي ألقاها الفريق عفيف البزري في الندوة التي أقامها الحزب التقدمي الاشتراكي في الذكرى المئوية لعلي ناصر الدين: «... فكان الأستاذ علي ناصر الدين القائد الواعي المخلص في تلك الظروف[*]، القائد الذي وقف مدافعاً بحزم عن مبادئ «عصبة العمل القومي». . . وكافح من أجل توعية أفراد تنظيمنا وبث أفكاره بين جماهير أمتنا بكل الوسائل المتاحة حينذاك»[٢٥].

ويشير د. عبد الله حنا إلى أن زكي الأرسوزي كان يحدّث رفاقه عن عبقرية الأمة العربية وماضيها العظيم، وعن الطاقات الهائلة التي تكمن فيها، وكيف ولدت الثورة الفرنسية، وكيف بعثت الأمة الألمانية، وكيف نهضت إيطاليا، ويشرح لهم نيتشه، وفختِه، وهيغل، وماركس، واشبنغلر، وبرغسون[٢٦].

إن ما جاء في هذه الكلمات، وما أشار إليه عبد الله حنا، إضافة إلى ما أوضحته عن المؤسَّسات التي أنشأتها العصبة، كل ذلك يؤكّد أنها كانت تعمل بنشاط وثبات لتوعية الجماهير وتنظيمها.

لقد جاهدت العصبة في سبيل تحقيق أهدافها ونجحت كقوّة قادرة على الضغط والقيام بأعمال متصلة لتصعيد الجهاد القومي العربي، ولتحقيق الاستقلال والسيادة الناجزين وبعض الأهداف الوطنية الأخرى، وكانت حاضرة وبارزة في جميع الأحداث التي عايشتها، وأثّرت في بعضها كما سبق وذكرت.

لكن رغم النشاط والجهاد الذين بذلتهما العصبة، فإنها في النتيجة لم تتمكّن من القيام بما كانت تعدُّ له لتحقيق أهدافها، ألا وهو القيام بثورة شعبية وطنية قومية من أجل تحرير البلاد العربية من المستعمرين، أو على الأقل تحرير بعض بلدان المشرق العربي وتحقيق بعض أهدافها كمقدّمة لتحقيق الأهداف الأخرى التي أقرّتها.

إلا أني لا أستطيع القول إن العصبة لم تتمكّن من القيام بثورة لأنها لم تدرك طبيعة الاستعمار وقوّته وغاياته ووسائل عمله التي أدّت إلى تفكيك الروابط الاجتماعية وتعميق الانقسامات السياسية والطائفية والعصبية، أو لأنها لم تدرك ظهور طبقات اجتماعية غير معنية بالمصلحة الوطنية والقومية، أو لأنها لم تدرك عدم تماثل البلدان العربية في عدّة جوانب سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، أو لأنها

(*) المقصود: فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية.

(٢٥) فلسطين الثورة، العدد ٢٩١ (تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٨)، ص ٥٤.

(٢٦) عبد الله حنا، الاتجاهات الفكرية في سورية ولبنان، ١٩٢٠ - ١٩٤٥ (دمشق: المطبعة التعاونية، ١٩٧٣)، ص ٥١.

لم تدرك تشتُّت الحركة الوطنية وتراجع بالتالي حركة مقاومة الاستعمار، فقد أدركت العصبة جميع هذه الأوضاع ـ كما بيَّنت في الفصل الثاني ـ واعتبرت أن روح عملها تستهدف «تعيين وسائل المقاومة القومية» و«إحداث رد فعل متناسب مع وسائل المستعمرين وهو القيام بنهضة عامة توقف التدهور وتمنع دوام الانحلال القومي ثم تنمي قوى الأمة وتألفها وتنظمها وتوجهها إلى الهدف القومي الأسمى»(٢٧).

ولا يمكن القول إنها لم تكن قادرة على استقطاب الجماهير وتنظيمها وإعدادها، لأن الإطار التنظيمي الذي اعتمدته يعيق اشتراك عناصر من كل الفئات الاجتماعية ومن كل المناطق في الجهاد ضمن صفوفها، بل على العكس من ذلك، فإن إطارها التنظيمي كان مفتوحاً لكل عربي اعتنق أهدافها، وانضمَّ إليها عناصر من مختلف المناطق والطوائف والفئات الاجتماعية.

ولا يمكن القول إن العصبة لم تدرك أن تحرير البلدان العربية من المستعمرين يحتاج إلى ظروف دولية مساعدة لتحقيق أهدافها، فقد أدركت ذلك ورأت في التنافس بين الدول العالمية خيراً وبركة للأمم المجاهدة. كما جاء في البيان «. . . ولا بد للتنافس عند كثرة المتنافسين من أن يحدث أثره وفي ذلك للأمم المستعمرة الناشطة فرص مؤاتية، وللاستعمار حفيرة وقبر»(٢٨).

إذاً لا يمكن القول إن العصبة لم تدرك العوامل التي تقف عائقاً أمام القيام بالثورة، أو العوامل التي تساعد على القيام بها، أو لم تجاهد تمهيداً لها.

لكن الملاحظ أنها ركَّزت على أن الهدف القومي الأسمى لن يتم تحقيقه إلا عن طريق حركة شعبية واسعة ومنظَّمة، إضافة إلى نهضة في الوعي القومي العربي.

والملاحظ أيضاً أن أكثرية المراجع التي تطرَّقت للعصبة أشارت إلى أنها انتشرت بشكل واسع في الأوساط المثقَّفة وبعض الأوساط البرجوازية. وفي ردّ علي ناصر الدين على المشكّكين بالوحدة العربية ما يدل على أن أكثرية أعضائها كانوا من المثقّفين. وأشار فرزات إلى أن الرأي العام لم يكن مستعداً لقبول برنامجها «المتطرف»، وكانت ضعيفة في صفوف الشعب(٢٩)، مما يعني أنها لم تصبح منظَّمة جماهيرية واسعة الانتشار في جميع المناطق.

---

(٢٧) بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي المنعقد في قرنايل في ٢٤ أغسطس ١٩٣٣ (دمشق: المطبعة العصرية، ١٩٣٣)، ص ١٠.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٧.

(٢٩) محمد حرب فرزات، الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨- ١٩٥٥ (دمشق: دار الرواد، ١٩٥٥)، ص ١٤١ و١٨٨.

والجماهير يمكن أن تثور بشكل عفوي أحياناً، أي كردة فعل على الظلم أو الاستغلال، لكن الإعداد لثورة تهدف ليس إلى التخلص من المستعمرين فقط، إنما أيضاً إلى هدم الحواجز بين البلدان العربية والتخلص من كافة موروثات الاستعمار ومظاهر التخلف والانحطاط والفساد، وإنشاء دولة عربية واحدة من طراز جديد على أنقاضها، وتحويل مجتمعها إلى مجتمع متحرِّر وعلماني، كما هدفت إليه العصبة. إن مثل هذه الثورة تتطلَّب تطوُّراً وتبلوراً في الوعي القومي العربي، وتَشكُّل رأي عام شعبي مقتنع بأهمية وضرورة وسمو ونبل الأهداف التي أقرّتها وعملت لها العصبة.

ولقد جاهدت العصبة من أجل توعية الجماهير، إلا أن علي ناصر الدين كتب في عام ١٩٤٤ بعد خروجه من المعتقل، حول الوعي والثورة بما يدل على أنها لم تتمكَّن من إحراز مستوى مرتفع في توعية الجماهير ورصِّ صفوفها حول برنامجها. فتحت عنوان: فكرة. نهضة. وعي. ثورة. قال: «ويلاحظ القارئ أن الوعي القومي الحق، ينبغي أن يأتي دوره قبل دور الثورة، حينما تكون الأمة غير متحررة ولا مستقلة، وقد كان الأمر على العكس في الثورة العربية الكبرى، لذلك لم تغن تلك الثورة رغم ما كلفت العرب... عن ثورات أخرى تتابعت متفرقة... في مختلف أقطار العرب...».

«أريد أن أقرر أن كل ثورة على العبودية في شتى أشكالها ومختلف ميادينها ما يبعثها الوعي القومي الصحيح، معناها إنها غير منبثقة من صميم روح الأمة وقرارة نفسها وأقصى ضميرها، والثورة التي من هذا النمط، لا يمكن أن تكون مستكملة أسباب الظفر، بالمرجو من الثورة الحقيقية، المنبعثة من أعماق الوعي القومي الشامل».

«وإذا كانت هذه الثورات، مجردة من هذه العناصر أو من بعضها، أيكون معنى ذلك، أن العرب في لبنان وغير لبنان لم يشملهم الوعي القومي بعد، فأجيب: نعم، إنه لم يشملهم، أو أنهم لم يتقرر في نفوسهم بصورة علمية واضحة قاطعة، معنى القومية الحق، وما تنطوي عليه من معان وصور لأسمى النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأشرفها وأعدلها، ينعم بها أبناء قومية بعينها، من دون ما تفريق بين الملل والمذاهب والمهن، وما يسمونه «الطبقات»[(٣٠)].

وبرأيي أن عدم تمكُّن العصبة من استنهاض ونشر الفكرة القومية العربية في وجهها الأكثر إشراقاً، يعود إلى نمو الحس الإقليمي والميول والمشاعر الكيانية، حيث

---

(٣٠) علي ناصر الدين، هكذا كنا نكتب (بيروت: مطبعة الاتحاد، [١٩٥٢])، ص ٢٥٤- ٢٥٥.

«تآمرت قوى خارجية مع قوى داخلية على الحس القومي»، وأدّى ذلك إلى تجزئة عقائدية في ظل التجزئة السياسية للبلاد العربية التي تجسّدت بشعارات ورموز ملموسة كجوازات السفر، والجيوش، والإدارات، والعملات الخاصة في كل قطر عربي. وعلى قاعدة هذه التجزئة السياسية والظروف الخاصة في كل قطر من الناحية السياسية والاجتماعية والثقافية، ازدهرت الولاءات الإقليمية، وانكمشت الروح القومية العربية[٣١].

إن اعتبار الرأي العام برنامج العصبة برنامجاً متطرفاً، وما ذكره ناصر الدين، ونمو الولاء الكياني وتراجع الولاء القومي، يدل على أن العصبة لم تتمكّن من تحقيق نهضة عامة في الوعي القومي العربي كما كانت تهدف إليه، وبالتالي لم تتمكّن من رصّ صفوف أكبر عدد من الجماهير حول برنامجها.

فوجود أحزاب وهيئات كيانية في لبنان وسوريا يدل على أن برنامج العصبة لم يلق صدى لدى الفئات الاجتماعية التي لم تكن مع أي شكل من أشكال الوحدة.

ووجود أحزاب وهيئات وحدوية إقليمية[٣٢] يدل على أن برنامج العصبة لم يلق صدى لدى الفئات الاجتماعية التي لم تكن مع الوحدة العربية.

ووجود العديد من الأحزاب والهيئات الكيانية والوحدوية السورية والوحدوية العربية التقليدية التكوين، يدل على أن برنامج العصبة لم يلق صدى لدى الكثير من الفئات الاجتماعية التي كانت مرتبطة بعصبيات مذهبية أو عائلية أو إقطاعية أو بزعامات تقليدية.

كما أن التبادل التجاري بين البلدان العربية الذي تطوّر نتيجة للانفتاح التجاري على الغرب، أدّى إلى ظهور طبقات اجتماعية مستفيدة من هذه العلاقات الاقتصادية، وليس لها مصلحة في التأميم ولا في إقفال السوق العربية أمام السلع الأجنبية، وبالتالي لم يكن لها مصلحة في برنامج العصبة.

ولهذا فإن برنامج العصبة الذي يرتبط كل جانب فيه ـ أي الجانب السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي ـ مع الجوانب الأخرى منه، لأنه يعبّر عن مشروع متكامل لدولة عربية واحدة، علمانية تقدّمية ديمقراطية، تعارضت معه الفئات الكيانية، والفئات الإقليمية، والفئات الاجتماعية التي ليس لها مصلحة في

---

(٣١) حازم زكي نسيبة، القومية العربية، فكرتها، نشأتها، تطورها، ترجمة عبد اللطيف شرارة؛ مراجعة برهان الدجاني (بيروت: دار بيروت، ١٩٥٩)، ص ٧٠.

(٣٢) أقصد بذلك الأحزاب والهيئات التي لا تؤمن بالقومية العربية أو بالوحدة العربية.

الحدّ من التبادل التجاري مع الغرب، والفئات الاجتماعية التي ليس لها مصلحة في الحدّ من التملُّك العقاري، والفئات الاجتماعية التي ليس لها مصلحة في علمنة الدولة، ولم تدرك الجماهير الشعبية مصلحتها فيه.

لقد تميَّزت العصبة عن غيرها من الأحزاب والمنظَّمات بأنها حملت الفكرة العربية بوجهها الأكثر إشراقاً، وشدَّدت على مفاهيمها التي تعني الوحدة العربية على قاعدة القومية العربية، والاستقلال التام للبلدان العربية وتحرُّرها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي من التبعية والتخلُّف والهيمنة، وإقامة دولة علمانية ديمقراطية تعتمد مبدأ الكفاءة والعدالة والتساوي في الحقوق والواجبات بين جميع المواطنين، وبعث التراث العربي، وخلق مجتمع عربي جديد يجسِّد الشخصية العربية غير المنقطعة عن ماضيها والقادرة على مواكبة التطوُّر العالمي والمساهمة فيه وفي تحقيق عدالة إنسانية.

وبغض النظر عن المعاني الجديدة التي أعطتها العصبة للفكرة العربية، فإن جوهر هذه الفكرة هو أن الشعب العربي يشكِّل أُمة واحدة مكَّونة تاريخياً وله مصلحة مشتركة في وحدة البلدان العربية واستقلالها على قاعدة القومية العربية. هذا ما عبَّر عنه المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس عام ١٩١٣.

ولقد عمل رجال العرب لتحقيق هذه الأهداف في مطلع هذا القرن، وكان لبعض مؤسِّسي العصبة دور في ذلك، وكانت العصبة تهدف أولاً إلى تحقيق هذه الأماني العربية.

ولقد التفَّت الجماهير العربية حول رجالات العرب الذين كانوا يعملون لتحقيق أهداف الفكرة العربية عشية الحرب العالمية الأُولى، لكن معاني هذه الفكرة لم تكن قد ترسَّخت في وعي الجماهير العربية في تلك المدَّة. ولهذا أرى أن الجماهير التفَّت حول رجالات العرب في تلك الأيام نتيجة لوعيها العفوي بالتحرُّر من الاستعمار والاستبداد التركي ونيل الاستقلال أُسوة ببقية الشعوب، أكثر مما كان نتيجة لإدراكها معاني الفكرة العربية أو تبلور وعيها القومي العربي.

وكان من الممكن أن تترسَّخ معاني الفكرة العربية ويتطور الوعي القومي لدى الشعب العربي لو تحقَّقت الأماني العربية، لأن «... الأثر الذي يحدثه نظام دولة موحدة، في تماسك الناس حولها، هو أثر عظيم للغاية، وقد أقر به باحثو التنظيم الدولي إقراراً تاماً»[٣٣]، أي قيام دولة قومية واحدة يعزِّز التلاحم بين جميع فئات الأُمة الواحدة، ويساهم في تبلور الوعي القومي وتطوُّره.

---

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٦١.

لكن ما إن انتهت الحرب العالمية الأولى حتى انقلب حلفاء العرب إلى أعداء لكل طالب للاستقلال والوحدة والحرية، وقمعوا بشدَّة الحركات الوطنية التي كانت تعمل لتحقيق الأماني القومية، وقسَّموا البلاد العربية. فكان ذلك بمثابة أوَّل ضربة للفكرة العربية قبل أن تترسَّخ مفاهيمها في وعي الجماهير العربية، وأوَّل ضربة للتلاحم القومي بين هذه الجماهير قبل أن يقوى وينمو هذا التلاحم.

ولقد ترك الاستعمار التركي البلاد العربية بحالة متخلِّفة، وحلَّ محلَّه الاستعمار الغربي حاملاً معه مدنيَّته التي كانت قد خطت أشواطاً في التقدُّم، وتميَّز الاستعمار الحديث عن الاستعمار القديم بتنوع وسائله الاستعمارية وقوَّتها.

ففي ظل التجزئة وتخلُّف البلاد العربية وتنوُّع وسائل الاستعمار الحديث وقوَّتها، كان من الطبيعي أن يتأثَّر الشعب العربي بالمدنية الغربية، ويأخذ بثقافتها وظواهرها الاجتماعية ومفاهيمها السياسية ومقولاتها الاقتصادية، وأن تزدهر هذه المدنية بنسب متفاوتة بين منطقة وأُخرى ضمن البلد الواحد، وبين بلد وآخر، تبعاً لمستوى الانفتاح على الغرب أو التعاون مع المستعمرين.

وفي ظل التجزئة أيضاً ظهرت قوى عديدة أخذت تدعو إلى الأخذ بعقائدها الكيانية أو الإقليمية أو العالمية، وجميع هذه العقائد، وبغض النظر عن الاختلاف في ما بينها، خرجت عن مضمون الفكرة العربية، فلم تساهم في تطوير الوعي على أساس القومية العربية.

والهاشميون تراجع اندفاعهم للعمل من أجل الوحدة العربية بعد منتصف الثلاثينيات. والمملكة العربية السعودية وقفت ضد الوحدة العربية خوفاً من تزعُّم الهاشميين للبلاد العربية. ومصر لم تشجِّع العمل للوحدة العربية، فيما أبدت استعدادها للتضامن مع البلدان العربية كما هي عليه، وذلك عكس ما كانت عليه الأوضاع عشية الحرب العالمية الأُولى حين كان رجالات العرب من جميع أنحاء البلاد العربية يعملون معاً في سبيل الوحدة العربية والاستقلال.

ومن الطبيعي أن يؤدِّي التخلف والتفسخ اللذان انتشرا في البلاد العربية أيام حكم الأتراك لها، ومن ثم قمع سلطات الانتداب لحركات التحرُّر القومية العربية ودعمهم للمتعاونين معهم، وازدهار المدنية الغربية بنسب متفاوتة بين بلد عربي وآخر، وانتشار عقائد خرجت مفاهيمها عن جوهر الفكرة العربية، والانقسام في صفوف العرب حول الوحدة العربية، أن يؤدِّي في ظل التبعية، وعلى قاعدة ما هو خاص في كل بلد، إلى تجزئة في العقائد وفي الأهداف، وتعدُّد في الولاءات، وعدم تشجُّع الجماهير للنضال في سبيل تحقيق كامل أهداف الفكرة العربية،

وتراجع الشعور بالانتماء القومي العربي.

ولهذا أستطيع القول منذ أن حلّ الانتداب تطوَّرت الأحداث السياسية والأوضاع الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بشكل يصعب معه تحقيق نهضة ملموسة في توعية الشعب على قاعدة مفاهيم الفكرة العربية التي حملتها العصبة. فكان أن انحصر الانتشار الكثيف للعصبة في الأوساط المثقفة، فيما الأوساط الشعبية لم تلتف حولها بشكل كبير، وبالتالي لم تصبح حزباً جماهيرياً كبيراً قادراً على القيام بثورة لتحقيق أهدافها.

ثالثاً: هل تركت العصبة أثراً في الجهاد الوطني العربي؟

لقد كانت العصبة أوّل تنظيم قومي عربي غير تقليدي. لم تناد بشعارات عامة، إنما حدَّدت أهدافها ومبادئ ووسائل عمل من أجل تحقيقها، وصاغت الخطوط العريضة لإنشاء دولة عربية كبرى وتحقيق نهضتها.

ولعبت العصبة دوراً نضالياً بارزاً طوال فترة نشاطها، فتصدَّت للعقود التي تمس السيادة الوطنية، وقاتلت الحركة الصهيونية، وقاومت المستعمرين مقاومة شديدة كثيراً ما أدّت بأعضائها إلى المعتقلات والمنفى، ولم تقبل إلا بالاستقلال الناجز، ولم تتراجع عن الوحدة العربية.

فهل للبرنامج الذي أقرَّته العصبة، والجهاد الذي قامت به أثر في النضال الوطني العربي؟

يشير مصطفى بلاوني إلى أن العصبة تعتبر أول بذرة لنشوء الأحزاب القومية بعد الحرب العالمية الثانية[٣٤].

وسهير سلطي التل تشير إلى تأثر بعض مفكري حركة القوميين العرب، مثل الحكم دروزة وحامد الجبوري، بأفكار علي ناصر الدين على المستويين النظري والتنظيمي للحركة. وهما أخذا عنه «مفهوم «الثأر» كسلسلة متصلة الحلقات، وحدود الدولة القومية دولة الوحدة العربية التي حددها بحدود الوطن العربي الجغرافية المعترف بها»[٣٥]. وهي تعتبر أن هذه الحركة أخطأت في بعض استلهاماتها النظرية

(٣٤) مصطفى بلاوني، «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣-١٩٣٩،» دراسات تاريخية (لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق) السنة ٧، العددان ٢٣- ٢٤ (أيلول/سبتمبر- كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٦)، ص ١٩٦.

(٣٥) سهير سلطي التل، حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية، سلسلة الثقافة القومية؛ ٣١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٦)، ص ٧٧ و١٠٠- ١٠١.

حول الأُسس المادية المؤثرة في الظواهر الاجتماعية، ومنها الظاهرة القومية والثورة، حيث «إنها لم تأخذ بالأطروحات الجنينية التي قدمها أحد ملهميها، وهو علي ناصر الدين، واكتفت بأطروحات ساطع الحصري وقسطنطين زريق المثالثة، . . .»[٣٦].

وباسل الكبيسي يقول. . «تأثر مؤسسو «حركة القوميين العرب» إلى حد كبير بالدور الذي لعبته «العصبة» في الثلاثينيات. . . والواقع إنهم ينسبون إلى «العصبة» الفضل في الإبقاء على الحركة القومية في وقت ابتعدت فيه المجموعات القومية والأحزاب السياسية عن مفاهيمها القومية. . إلا أنه من المؤكد أن «عصبة العمل القومي» مثلت ظاهرة فريدة في تلك الفترة. وبخلاف أحزاب الكتلة التي اختارت العمل في إطار أنظمة الأمر الواقع، رفضت العصبة القيام بأية تسوية تضر بالهدف القومي وبينت، علاوة على ذلك، أصالة العقيدة القومية العربية في فكرها وعملها»[٣٧].

ويضيف قائلاً: «فقد وجد القوميون العرب في ناصر الدين رجلاً ذا نزاهة فكرية عالية وصرامة معنوية حادة بالإضافة إلى كونه نجح في تجسيد ما دعا إليه بثبات. . . وقد كان ناصر الدين السياسي المفضل لدى القوميين العرب. . . فاستمعوا إليه بحماس وتشوقوا دوماً لسماع نصيحته»[٣٨].

وعن برنامج العصبة يقول د. عبد الله حنا: «بالرغم من محاولة بعض العناصر الإقطاعية[٣٩] استغلال عصبة العمل القومي، . . . فإن طرح شعارات مقاومة الإقطاعية وتأميم الرأسمال الأجنبي دلت على ولادة ظاهرة التغيرات التي بدأت تحدث داخل بعض أقسام الجناح البرجوازي الصغير، كما دلت على أن الحركة القومية أخذت تتسم بسمات جديدة بدأت معالمها في الظهور بعد الحرب العالمية الثانية وبرزت بشكل جلي ــ نتيجة عوامل داخلية وعربية وخارجية ــ في الخمسينيات مع تأميم القسم الأكبر من الرأسمال الأجنبي، ومن ثم إجراء الإصلاح الزراعي وتأميم الرأسمال الوطني الكبير مع مطلع الستينيات»[٤٠].

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٢٨١.

(٣٧) باسل الكبيسي، حركة القوميين العرب، ط ٢ (بيروت: دار العودة، [١٩٧؟])، ص ٦٧- ٦٨.

(٣٨) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

(٣٩) المقصود: محاولة بعض العناصر الإقطاعية طمس المحتوى الاجتماعي التقدُّمي في شعارات العصبة من وراء ستار الأُخوَّة العربية التي عنت بها العصبة تحسين الأوضاع الاجتماعية للفئات الشعبية، بينما فسَّرتها العناصر الإقطاعية تفسيراً يؤدِّي إلى بقاء استثمارهم للفلاحين باسم الأُخوَّة العربية.

(٤٠) حنا، الحركة العمالية في سورية ولبنان، ١٩٠٠- ١٩٤٥، ص ٢٣٠ و٢٣٢.

ومحمد كامل ضاهر يتطرّق إلى مفاهيم العصبة وتكوينها وممارستها السياسية والجهادية، فيقول: «كان هذا المفهوم العلماني المحض للقومية العربية الذي صاغه علي ناصر الدين ورفاقه فاتحة عصر التنظير القومي ووضعه على أسس عقلانية (أيديولوجية تنفذ بواسطتها إلى الجماهير بكل طبقاتها) بعد أن أصبحت هذه القومية حقيقة سياسية وفكرية»[٤١]. و«لقد استطاعت «عصبة العمل القومي» من خلال عملها المرتبط بالجماهير مباشرة، أن تعبّر نظرياً وعملياً عن طموحات هذه الجماهير السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأن تكوّن «حركة قومية جماهيرية» لم تعرفها الأحزاب النخبوية التي ظهرت خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين، ولا الأحزاب التي عاصرتها في الثلاثينيات، وذلك بفضل قيادييها المتنورين من البرجوازية الوسطى والصغيرة والليبرالية (المسلمة والمسيحية)، الذين تخطوا في وعيهم السياسي والقومي القيادات الإقطاعية والبرجوازية العليا التي كانت توجه تلك الأحزاب... وقد تأثر بأفكار العصبة في ما بعد معظم منظري الحركة القومية العربية مثل ساطع الحصري وعبد الله العلايلي[٤٢] وقسطنطين زريق وميشال عفلق، ومعظم المنظمات والأحزاب والحركات القومية وخصوصاً حركة القوميين العرب»[٤٣].

ويشير د. فارس أشتي إلى أن الشيخ عبد الله العلايلي كان أحد الذين ساهموا في تأسيس الحزب التقدمي الاشتراكي وصياغة ميثاقه، وأنه كان من أعضاء العصبة، ومثّل التيّار الوحدوي العربي في تكوين الحزب[٤٤].

ويعتبر مصطفى دندشلي أن أهمية العصبة تكمن في برنامجها وفي تأثيره في الحركات القومية العربية التي نشأت بعدها، ومساهمتها في التطوّر الأيديولوجي للقومية العربية[٤٥].

وكذلك يشير جلال السيد إلى تأثير للعصبة في تهيئة مناخ فكري قومي عربي،

---

(٤١) محمد كامل ضاهر، **الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر** (بيروت: دار البيروني، ١٩٩٤)، ص ٢٥٤.

(٤٢) أريد هنا إيضاح أن العلايلي كان أحد الأعضاء البارزين في العصبة، ولقد بينت ذلك سابقاً. ولذلك فإن موقعه كمفكر تأثر بها ونشط ولعب دوراً فاعلاً فيها يبقى مختلفاً عن موقع غيره من الذين تأثروا بفكر وجهاد العصبة لاحقاً، لأن تأثيرات العصبة في الجهاد الوطني كان للعلايلي دور فيها.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ٣٥٣.

(٤٤) أشتي، **الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩- ١٩٧٥**، ص ١٨٤، ١٨٦ و١٩٥.

(٤٥) مصطفى دندشلي، **حزب البعث العربي الاشتراكي، ١٩٤٠- ١٩٦٣: مساهمة في نقد الحركات السياسية في الوطن العربي**، تعريب يوسف جباعي ومصطفى دندشلي (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩)، ج ١: **الايديولوجيا والتاريخ السياسي**، ص ١٢.

وتأثير لبرنامجها في الأحزاب القومية العربية التي نشأت بعدها[٤٦].

أما د. محمد شيّا، فإنه يرى إذا كانت هناك الآن عروبة علمانية، فالفضل فيها يعود بالدرجة الأولى إلى العصبة[٤٧].

ويذكر الفريق عفيف البزري أن أفكار العصبة كانت «الضوء الهادي لعصبة الضباط الأحرار في القوات السورية ـ اللبنانية التي ساهمت بفاعلية مع شعبنا في الكفاح من أجل تحقيق جلاء الجيوش الأجنبية عن قطرينا الشقيقين سوريا ولبنان، والتي جاهد كل أفرادها في فلسطين عام ١٩٤٨ فأبلوا البلاء الحسن في صفوف قوات الانقاذ»[٤٨].

وفي حفل تأبين الشيخ قسطنطين يني، التي ذكرته سابقاً، خطب الدكتور جورج حنا قائلاً: «واليوم وسط المحنة القاسية التي تلم بالعالم العربي، وأمام الخطر الذي زجت به الأقطار العربية كافة»[٤٩]، وتجاه الواجب المفروض على كل مواطن عربي، يرى رفاق قسطنطين وإخوانه أن في إحياء ذكرى المجاهد الغائب عظة للقوم، لينسج القوم على منواله»[٥٠].

ولما توفّي المحامي فهيم الخوري، خطب الأمين محمد يوسف حمود باسم الحزب السوري القومي الاجتماعي[٥١] قائلاً: «أخونا أنت أجل يا فهيم، لأنك كنت دائماً معنا نحن القوميين الاجتماعيين ولأن لك معنا تاريخاً مديداً لم ينقطع ولن ينقطع».

«أنت أخونا أجل، لا لأنك نسيب أمناء ورفقاء لنا. . . بل لأنك كنت الصديق الوفي للمعلم الذي بادلك التقدير والاحترام وأشار لنا إليك: إن هذا هو الصديق الوفي ــ الخصم الشريف».

«لقد كنت خصماً عقائدياً لنا، وليس لنا نحن القوميين الاجتماعيين أعداء في أمتنا، . . .».

«ولخصم لنا حافز على الصراع من اجل التقدم»[٥٢].

---

(٤٦) السيد، حزب البعث العربي، ص ٢٤ و٢٧.

(٤٧) محمد شيا، علي ناصر الدين: صفحات من الفكر القومي العربي، قدم له سامي مكارم (بيروت: دار صادر، ١٩٩٣)، ص ٢٢.

(٤٨) فلسطين الثورة، العدد ٢٩١ (تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٨)، ص ٥٤.

(٤٩) المقصود: توتُّر الأوضاع عشية الحرب العربية ضد الحركة الصهيونية في فلسطين عام ١٩٤٨.

(٥٠) يني، صفحة من التاريخ القومي العربي الحديث، ص ٨٥ و ٩٩- ١٠٠.

(٥١) الأرثوذكسية، ص ٨٥.

(٥٢) يني، المصدر نفسه، ص ٢٤- ٢٥.

وكتبت مجلة **الأديب** تقول: «فقد لبنان وطنياً صادقاً مجاهداً بوفاة المحامي الأستاذ فهيم الخوري... وكان الفقيد... من أبرز العاملين في عصبة العمل القومي العربي إبان جهادها ونشاطها وهو من هذه القلة التي فهمت العمل الوطني جهاداً ونضالاً وبذلاً وتضحية فأعطت للأمة كل ما تملك وعاشت هي عيشة كفاف لا دور ولا قصور ولا سيارات. فليس الجهاد الوطني في مفهوم هذه الفئة شركة مساهمة ذات مطامع ومغانم وفوائد وأرباح»[٥٣].

وفي حفل تأبين علي ناصر الدين في الأونيسكو[٥٤]، خطب دولة رئيس مجلس الوزراء الأستاذ رشيد الصلح باسم فخامة رئيس الجمهورية الأستاذ سليمان فرنجية قائلاً: «ما كان للكلمة أن تفي الرجل الكبير حقه، وهو الذي آمن بقضية تحرير بلده وبقوميته العربية فما بدّل ولا هادن ولا ضعف أمام النكبات وذاق مرارة التشريد والسجن والحرمان والمرض، فما تخلى عن مبدأ ولا عقيدة ولا ساوم ولا لان بل ظلّ، مؤمناً بنضاله، مضحّياً في سبيل قضية آمن بها مع صحبه وإخوانه...».

«هو إحدى الصفحات الزاهية المشرقة في تاريخ العرب الحديث، ولا سيَّما في حقبة ما بعد الحرب العالمية الأولى حين كانت هناك النخبة الخيِّرة من مجاهدي الرعيل الأول الذين رفعوا راية الكفاح في سبيل أمة عربية واحدة موحدة، ووطن عربي سيد مستقل ومتحرر من أي احتلال أو تسلط أو تبعية. والواقع أن حياة صاحب هذه الذكرى التي نحييها فخورين معتزين إنما هي حياة القدوة المثلى...»[٥٥].

وألقى الأُستاذ صفوان القدسي، ممثّل الجمهورية العربية السورية، كلمة جاء فيها: «هذا الذي قاله[*] علي ناصر الدين في عام ١٩٣٧، إذا كان يبدو للبعض منا في يومنا هذا، أحد البديهيات، فإنه كان في ذلك الوقت شيئاً أكبر من ذلك. كان نوعاً من طلب ما لا يطلب. كان نوعاً من البشارة. لكنه اليوم، وبفضل نضال علي ناصر الدين وغيره من هؤلاء الرواد، حقيقة قائمة نحس بها ويحس بها كل عربي من المحيط إلى الخليج».

«صحيح أن علي ناصر الدين قضى نحبه قبل أن يرى الدولة العربية الواحدة، غير أن الصحيح أيضاً هو أن نضال علي ناصر الدين لم يضع هباء، وإنما بقي بذرة

---

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٥٤) تجدر الإشارة إلى أن هذا الحفل أقامتها لجنة من لبنان والبلدان العربية.

(٥٥) ناصر الدين، صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث، ص ٦٤- ٦٥.

(*) المقصود: الدولة العربية الواحدة.

في الأرض توشك أن تنبت وتزهر»[٥٦].

وألقى سماحة الإمام السيِّد موسى الصدر، رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، كلمة جاء فيها: «نقف في هذا الحفل أمام علي ناصر الدين هذه الحقبة المشرقة من تاريخ وطننا، . . .نكرِّمه لأنه المجاهد ولأنه المحروم، فقد أعطى كل ما يملك، ولم يأخذ مقابل ذلك شيئاً، عطاء مطلق. . .».

«تعرفت عليه وهو يعيش بعد الطيران الطويل في آفاق السياسة العربية، كالطير المرهق في زاوية بيته المتواضع، لا يملك شيئاً، إنه السند الحق، لصدق الجهاد، وسمو البطولة العربية، إنه المثل لنفسه، وللآخرين، لنفسه وللمجاهدين. . .».

«نقف أمام علي ناصر الدين بقامته المتواضعة. . . يرسم خطوط دولته، ويفكر في تحقيق هدفه. . . عاش هذا الطموح وعاش معه رفاقه ذلك الطموح. . .».

«نقف أمام ذكرى علي ناصر الدين المجاهد في هذا اليوم الحزين[٥٧]، اليوم الذي كان يريده علي ناصر الدين ورفاقه ببذل دمهم وجهادهم وتضحياتهم وكتاباتهم، ورحلاتهم، وجوعهم، وفقرهم، وابتعادهم، كانوا يقدمون كل هذا، حتى يصونوا الوطن وحتى يحفظوا أبناء الوطن، . . .».

«نحن نقف أمام ذكرى علي ناصر الدين، مع الأمل، كل الأمل، ومع التفاؤل كل التفاؤل، رغم أننا نعيش ليلة مظلمة من الظلم والمظالم نعيش أمل الفجر، . . . ونقول في هذا اليوم العظيم. . . نقول لأنفسنا وللبنانيين، نقول للفلسطينيين وللعرب جميعاً في هذا اليوم العظيم أن موعدنا الصبح. أفليس الصبح بقريب. . .»[٥٨].

وألقى الأُستاذ شفيق الحوت، ممثِّل منظَّمة التحرير الفلسطينية، كلمة جاء فيها: «حاولت جهدي أن أدوِّن ما أريد أن أقول في هذا اللقاء الكبير، غير أني أعترف بأنني تهيبت من الكلمة المكتوبة، خشيت أنني عندما أضعها على الورق تصبح مهما كانت كبيرة أصغر من الرجل الذي نحن في صدد الحديث عنه في هذا الصباح».

«نحن هنا نرد للرجل بعض ما تعلمنا منه، فإن كنا في الثورة الفلسطينية نعتز بكل ما جاهد وناضل من أجله علي ناصر الدين ونعتبره تراثاً نعتز ونفتخر به، فإنما

---

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٦٦- ٦٧.

(٥٧) المقصود: موت عدد من الأطفال في الجنوب اللبناني بألعاب ملغومة رمتها الطائرات الإسرائيلية.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٦٩ - ٧١ و٧٣- ٧٤.

نتمنى أن نكون نحن جزءاً متواضعاً من تطلعاته فنحقق الحلم الذي من أجله ناضل. . .».

«. . . هذه الثورة المخلصة التي إن قُدِّر لها أن تنجح، فإنما يكون النجاح لكل العرب، وتكون عندئذٍ فيها بعض التحية لذكرى الراحل العظيم»[٥٩].

وفي الندوة التي أقامها الحزب التقدمي الاشتراكي في الذكرى المئوية لمولد المجاهد علي ناصر الدين، ألقى الدكتور محمد شيًا كلمة جاء فيها: «أتبدأ بعلي المجاهد أم بعلي المفكر والمنظر؟ . . .».

«وماذا تقول فيه أو في سيرته، بل ماذا نستطيع أن نضيف بعد شهادة العلامة العلايلي وأحمد رضا وكاظم الصلح وغيرهم الكثير. . .».

«لقد جمع علي ناصر الدين من الشمائل ما لا يجتمع إلا في القليل القليل من الرجال، وقدم من التضحيات ما لا يخطر في بال! وإذا كان غيره قد شاركه الكثير من آيات جهاده وصفحات نضاله الناصعة، فإن علياً بلغ بالنضال أقصاه. . .».

«كنا نكرم من خلال علي ناصر الدين جيلاً بكامله من المجاهدين القوميين والمناضلين الإنسانيين. . . واستنهاضاً للقيم العربية العريقة وللشرف العربي الأصيل، وتجديداً للمشروع القومي العربي الإنساني الذي حمله عبد الناصر وكمال جنبلاط آخر الكبار الذين رحلوا، . . . إلا انه لم يخطر في البال أبداً إننا سنلتقي في الأول من تشرين لنرد بفكر علي الوحدوي على حال الانفصال ونخوض مع علي المعركة عينها، تحت نفس الشعارات، . . .»[٦٠].

وباستثناء الحزب الشيوعي اللبناني السوري الذي تأسَّس قبل العصبة، والذي يعتمد التنظيم والتوجيه في عمله لتحقيق أهدافه كما تعتمدها كافة الأحزاب الشيوعية في العالم، أرى أن العصبة أول تنظيم في المشرق العربي عصري غير متغرِّب التكوين، يرسي قواعد للنضال على أسس علمية من أجل تحقيق الأهداف الوطنية والقومية العربية، واضعاً في ذلك الحجر الأساس للجهاد المنظَّم في المشرق العربي.

وأرى أيضاً أنها كانت دائماً تجاهر بأهدافها وبالكفاح في سبيل تحقيقها، ولم تلن في الدفاع عنها بالرغم مما تعرَّضت له من اضطهاد.

كما أن مؤسِّسي العصبة الذين تمكَّنت من الإحاطة بحياتهم ــ باستثناء الذين

(٥٩) المصدر نفسه، ص ٧٧- ٧٩.

(٦٠) فلسطين الثورة، العدد ٢٩١ (تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٨)، ص ٥٢ . ٥٣.

خرجوا منها أو أسقطت عضويتهم ـ التزموا بالمبادئ التي أقرّها مؤتمرهم التأسيسي، أي أنهم لم يشغلوا مناصب في الدولة، في سوريا ولبنان، أثناء الانتداب، علماً أن عدداً منهم أسندت إليهم مهام سياسية وإدارية عالية حين تحقّق الاستقلال.

فإذا أضفت هذه المناقبية لأعضائها، وصلابتها في سبيل تحقيق أهدافها، وإسهامها في إرساء قواعد متقدِّمة للنضال الوطني والقومي العربي، إلى ما أشارت إليه بعض المراجع عن مساهمتها في التطوُّر الأيديولوجي للقومية العربية، وتأثيرها في تكوين بعض الأحزاب، وتأثُّر بعض الأحزاب والهيئات في جهاد العصبة وبرنامجها وأفكارها، وما قاله عدد من رجال السياسة والفكر والصحافة في بعض مؤسِّسيها عن مناقبيَّتهم وحياتهم القدوة، ودورهم وتضحياتهم إلى جانب رفاق لهم في سبيل الاستقلال والوحدة العربية والحرية والتقدُّم، وأن الجهاد ليس في نظر العصبة شركة لتحقيق المطامع والأرباح إنما تضحية وعطاء، أخلص إلى القول إن العصبة مدرسة في النضال الوطني والقومي العربي والمناقبية في العمل السياسي يصح أن تُتَّخذ مثالاً يقتدى به.

لقد ظهرت أحزاب كثيرة في لبنان وسوريا في الثلاثينيات، وباستثناء الأحزاب التي كانت مرتبطة مباشرة بسلطات الانتداب أو تنادي بالتعاون التام معها، فإن أكثريَّتها ناضلت في سبيل التحرُّر والاستقلال، بغض النظر عن الاختلاف في ما بينها في عقائدها وأهدافها وانتشارها وأهمية دورها ومبدئيتها وصلابتها في الجهاد من أجل تحقيق أهدافها.

والعصبة كانت إحدى فصائل حركة التحرُّر العربية التي جاهدت بشجاعة وثبات وأمانة وتضحية وحزم في سبيل استقلال وسيادة العرب المطلقين والوحدة العربية، وحاولت في خضم الصراع ضد الاستعمار والإقليمية والشعوبية والطائفية والتقليدية والإقطاعية والفئوية والتبعية والجهل والفوضى والانتهازية والتملُّق والتزلُّف، حاولت أن تبعث الفكرة العربية وتجعل منها عقيدة للجهاد في سبيل تحقيق الأهداف الوطنية والقومية العربية والمطلبية الشعبية.

وفي الختام لعلِّي في هذا البحث أكون قد كشفت المزيد من الجوانب المهمة عن تكوين العصبة، وجهادها في لبنان وسوريا، وإسهامها في تحقيق وثبة في العمل الحزبي في البلاد العربية، طبعت الحياة الحزبية بسمات جديدة كما سبق وأوضحت، وفي إعطاء معانٍ جديدة للفكرة العربية وإبقائها حيَّة في الثلاثينيات، على الرغم من التغيُّرات السياسية والاجتماعية التي حالت دون استنهاض هذه الفكرة وتطوير وعي الجماهير على أُسس مفاهيمها، إضافة إلى تأثيرها في النضال الوطني بعد الاستقلال،

وريادتها في أنها أوّل من قدَّم برنامجاً تضمَّن مرتكزات لإنشاء دولة عربية متَّحدة، أظهرت فيه أن العرب لا تنقصهم الخبرة في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية، وبإمكانهم إنشاء دولة عصريَّة متقدِّمة وعادلة تلتقي مع غيرها من دول أُمم وشعوب العالم لتحقيق ما يُسعد البشرية، ودون حماية أو إرشاد أو تبعية.

الملاحق

(١)

بيان المؤتمر التأسيسي

لعصبة العمل القومي

المنعقد في قرنايل

في

٤ جمادى الاولى سنة ١٣٥٢ هجري

٢٤ آغسطس سنة ١٩٣٣ ميلادي

المطبعة العصرية : دمشق — بحصه رقم ٢٢

الى العرب

من

عصبة العمل القومي

— المقدمة —

ان مؤتمر عصبة العمل القومي التأسيسي المنعقد في قرنايل « جبل لبنان » بتاريخ ٣ — ٨ جمادي الاول سنة ١٣٥٢ ﻫ . و ٢٤ — ٢٩ آب سنة ١٩٣٣ م. قرر ان ينشر في الناس من اعماله الكثيرة ما تعلق منها بالمبادىء العامة التي اتخذها قواعد لعمله القومي وان يرجع باختصار كل مبدأ الى علله ومستنده فيقف العرب بذلك على جلية امرهم ويتبين لهم حقيقة موقف المستعمر منهم ويتأملوا ابين طريقة الجهاد القومي التي وضعها المؤتمرون من ابنائهم لبلوغ اهدافهم ثم يقدم المؤمنون بذلك العائفون عيشة الذل والمسكنة الشاعرون بكرامة النفس وحافز الرجولة على خوض معركة الحياة الحرة عالمين بطول الجهاد وعارفين بما يقدم عليه المجاهدون من حرمان وايثار يتناسبان مع سمو الغاية وقدسية الهدف فيتجنبه العاجزون وكان الله للمؤمنين الصابرين ظهيرا .

العرب وبلادهم : بحث المؤتمرون حال العرب في حاضرهم فتبين لهم انهم سائرون في طريق التدهور بشتى مجالي حياتهم وظهرت لهم ايات الانحلال في كل عنصر من عناصرها : تفسخ خلقي كاد يقضي على الرجولة ويعمم روح التخنث ويخضع الناس لاستعباد الشهوات ويبيح المنكرات ويستهجن المكرمات. وانحلال جسمي كاد يقضي على معالم القوة فما ترى غير هزيل او مريض او موبوء

لا يحسن جلاد الحياة ولا يجيد التفكير . وتفكك في الروابط الاجتماعية بانتحال لذات وبتقليد عادات وتقاليد واميال اجنبية ابعدت ما بين العربي واخيه وما بين قطر وقطر فما يكادان يلتقيان في وسيلة ولا غاية . وجهل شعبي او تعلم وثقافة ناقصة موبوءة جعلت من المستحيل نمو قوى التفكير والانتاج الذهني وتثمير ما في الامة من قوى معنوية وفكرية . ونضوب في الثروات العامة وفقر شخصي كاد يبلغ درجة الاملاق . واستيلاء الفرنجة على منابع الثروة وانقلاب بلاد العرب الى سوق لهم وحقل لحاجات صناعاتهم الاولية . وتدني في الكرامة القومية حتى يكاد ينظر الى المستعمر بعين التقديس ويقر له بالتفوق والرفعة وللعرب بالعجز والضعة ويصبح التقرب من المستعمر منقبة والاعراض عنه مثلبة

وانحدار في الاهداف القومية حتى بات طلب الاستقلال الكامل والسيادة التامة خرقا في الرأي وتطلاب وحدة البلاد العربية خيالا وشعرا يسخر من طلابه ويحسبون في الحالمين . وضلال في المعيار الوطني اصبح من الصعب معه التمييز بين الوطنية والنفعية . ونزع في الحركات القومية كادت القضية الوطنية تلفظ فيه روحها وتنقلب الى استسلام مطلق وخضوع كلي .

ذلك بايجاز شيء مما بسطه المؤتمرون ودرسوه من حال العرب واننا لنكتفي فيما يلي بتعداد اهم نقاط الضعف في بني قومنا بالنسبة الى الاستعمار وذكر شيء من اسباب القوة فيهم مقتصرين على الالماع لان في طوق كل بصير ان يرى حال قومه وهو بينهم يسمع في كل سانحة ويرى

نقاط الضعف : آ ـ كثرة النفعيين ١

ب ـ قوة الفردية في العربي

ح ـ عدم انتظامه وتغلب روح الاثرة فيه وحب التزعم والتشبث بالرأي الشخصي وعدم خضوعه لسنن العمل المشترك

د ـ خوف العربي من الضغط الاجتماعي

ه ـ تقليده الغربي تقليدا اعمى ، والاعجاب به ، وضعف الثقة بالنفس

و ـ تفشي الجهل وفساد طرائق التربية والتعليم

ز ــ شلل المرأة الاجتماعي وفساد الحياة العائلية
ح ــ فساد حياة العرب الاجتماعية
ط ــ تدني فضائل الخلق العربي من كرم ومروءة ونجدة وعزة وشجاعة
وجرأة في الحق وكون ما بقي منها فردي لا قومي
ي ــ بداوة جزء هام من ابناء العرب
ك ــ طبع العربي في استعجال الامور قبل اوانها
ل ــ تشبثه في الاعمال الاقتصادية الفردية وابتعاده عن فوائد الشركات
وحرمان البلاد بسبب ذلك من المشاريع الكبيرة
م ــ عدم استغلال مرافق البلاد وثرواتها الطبيعية

نقاط القوة : آ ــ عظمة التاريخ ورابطة اللغة ٢
ب ــ استعداد العرب القومي للتفوق
ج ــ تعصب العربي لعقائده واتيانه بالعجائب في سبيل ذلك .
د ــ موقع بلاده ووضعها الجغرافي
هـ ــ ترامي اطراف البلاد العربية وقابليتها العظمى لتطبيق سياسة اقتصادية
قومية شديدة

الاستعمار والمستعمرون : واما المستعمرون فقد ارتفعت سيطرتهم صاعدا وبنسبة معكوسة مع حال العرب وهذا بعض ما تبينه المؤتمر
لقد شجع المستعمرون الحركات العربية قبل الحرب ومنذ نشأتها بعد اعلان
٣ الدستور العثماني ونفخوا في روح قومية العرب واذكوا من ضرامها واتشحوا عند ذلك لباسا انسانيا وبردا ملائكيا ومذ اعلنت الحرب الكبرى عملوا على ايقاظ نار ثورة العرب وقطعوا لهم الوعود الجسام باسم الحلفاء وتحت ضمان شرف قومهم وحكوماتهم وحين ظفروا بالترك تقدم اليهم الحلفاء المستعمرون بصبغة المساعد المرشد ولم يمنع رفض هذه المساعدة اسداءها جبرا واقتسم المستعمرون مناطق الارشاد وبدأوا حرب روح القومية الذي اججوه بالامس وارتسموا لكل منطقة خطة افناء وابادة لعناصر المقاومة القوميه واخذت سموم هذه الخطط

تعمل عملها وبدأ الارشاد يتطور صاعدا نحو الاستعمار بنسبة مفعول تلك الخطط في قوى العرب المقاومة . وحيث كان الاثر غير واحد في المناطق العربية فقد كانت شدة التدخل باسم الارشاد غير واحدة فيها ايضـا فهو في قطر اشد منه في قطر اخر وهو كذلك في نواحي القطر الواحد فبينما تراه استعمارا مباشرا كشر عن انيابه في بعض مناطق سوريا مثلا تراه غير مباشر في البعض الاخر .

لقد قوي المستعمر في البلاد العربية واشتد وحصن معاقله واكتشف عورانه ويكاد يأمن الانتقاض بفضل سمومه التي نشرها في قوى الامة وبفضل التدهور والانحلال الذي اشرنا اليه سابقا والذي كان هذا الاستعمار سببه الاول .

٤ وتبسط المؤتمرون في بحث هذه الامور وسردوا الوقائع وثبت لهم ان تدخل الاجانب في البلاد العربية لا يستهدف غير استعمارها واخضاعها نهائيا وابدا لسلطانهم وانهم يعتمدون في ذلك على مفعول الوقت الذي يكسبونه بوعود التفاهم والمعاهدات وتحت ستار بعض مترادفـات كلمة الاستعمار الذي يتطور شدة ويزداد تمكنا مع الزمن .

٥ وعكف المؤتمر على درس طبيعة الاستعمار الحديث في منشأه بصورة عامة وتعيين اهدافه بالنسبة لبـلاد العرب ووسائله في بلوغ هذه الاهداف ونقاط اعتماده في الامة المستعمرة . فتبين له طبع الاستعمار ومنشأه الاقتصادي ووصل في تاريخه الى الثورة الصناعية التي اشعل الاختراع نارها وما نتج عن ذلك من تجمع رؤوس الاموال الضخمة وتزاحم التجارة الاممية وظهور حاجتها الى مواد اولية واسواق ومستهلكين واماكن لتوظيف ما فاض من رؤوس المال وحاجتها الى السيطرة والتحكم والاذلال بغزو هـذه الحقول الاقتصادية وتلك الاسواق التجارية وحمايتها . وظهر له بدلالة الوقائع كيف ان المستعمرين المتجرين لا يقيمون في سبيل ذلك وزناً لاعتبارات الحق او الانسانية او الرحمة وان لا قيمة في نظرهم لاخلاف الوعد وقولهم في ألسنتهم ما ليس في قلوبهم بغية خداع الامم المستعمرة والهائها بحلو الوعد وطيب الامل .

وقد ظهر للمؤتمرين ان اهداف الاستعمار بالنسبة لبلاد العرب ذات وجهين :

٦ وجه يتعلق بالبلاد ذاتها ولا يخرج هدفهم فيه عن اهداف الاستعمار العامة وربما

عناصر استعمار العرب الفكري بقدر ما يعنيهم استعمارهم المادي ووجه يتعلق باتخاذها قاعدة لاستعمار الشرق في آسيا وافريقيا ودوام السيطرة عليه وعلى بحوره وبرازخه ومواقع المنعة والعزة فيه والمستعمرون في ذلك سواسية لا يفضل بعضهم من حيث الهدف والغاية بعضاً ولو اختلفوا بالوسائل وفي بعض مظاهر الخلق والنعنعات القومية فسياسة القضاء على القوميات وادغامها بالقومية الفرنسية ، وسياسة الافقار والحرمان ، وحسن السيطرة والعنجهية والكرامة العسكرية الافرنسية وسياسة الترفع العنصري والاستقلال الاقتصادي لم يمنعا على اختلافها وتناقضها ان يتضامن المستعمران ضد العرب وضد الحركات العربيـــة في كل قطر وان يحاولا توحيد طرائق قمع الحركات العربية واخفات صوت الحق حيث ما ارتفع .

٧ وبحث المؤتمر وسائل المستعمرين في تبرير الاستعمار والحصول على تأييده من الرأي العـــام داخلا (في بلاد المستعمرين ذاتهم) وخارجاً (في العالم الدولي) وتبين طرائقهم في اعطائه صبغة تمدينية وانسانية زائفة وتبديل مباني الاستعمار واستبقاء معانيه واستعانتهم لاقناع شعوبهم بتأييد الاستعمار مادة ومعنى بدعايات باطله وتقارير غير صحيحة يصفون بها رخاء البلاد المستعمرة بفضل الاستعمار ويسخرون لهذه الغاية جميع وسائط الدعاية ثم يعززون ذلك بالربح تجنيه صناعاتهم ومتاجرهم على حساب قتـــل صناعات البلاد ومتاجرها فيسكت الدرهم صرخة الانسانية وتغلب المادة الروح في عصر لا شأن فيه عندهم للمبادىء ولا صوت لغير الفلس .

٨ ثم بحث اساليب المستعمرين في البلاد العربية وطرائقهم في تثبيت قدم الاستعمار فيها فظهر له باستقراء الحوادث كيف انهم استعانوا عليها بالتجزئة المادية والمعنوية فوزعوا قوة المقاومة الى جهات عديدة وخلقوا بذلك سياسات اقليمية اشغلت كل حي بأمر وألهته عن امور فهان عليهم تطبيق خطط الاستعمار حين ضعف الخصم وهانت قواه مادة ومعنى ، واستحال عليه ان ينهض اقتصادياً كما استحال عليه ان ينهض اجتماعياً وسياسياً .

ثم ظهر للمؤتمرين كيف ان المستعمرين عمدوا الى افساد خلق الشعب

وافساد روحه وعقله وتسميمها بسموم المدنية الغربية التي جادوا بالضار منها عن سخاء وبخلوا بالجيد النـافع فما دلف الا قطراً . وتبينت للمؤتمرين ايضاً من اساليب المستعمر خطط الافقار انتظم حتى تلهو الامـة بتكاليف العيش عن موجبات العزة والكرامة . وخطط الاجلاء وحشد شذاذ الافاق من شتى الشعوب في البلاد العربية امعاناً في تفكيك العرى القومية والروابط الاجتماعية حتى تفسد المزايا القومية ويتخرق الصف الوطني ويفسد في جوفه . كما تبينوا من اساليب المستعمر سـيـاسة التفشيل للاعمال الوطنية وافقاد العرب ثقتهم بانفسهم وحملهم بذلك على الالتجاء اليهم وعلى الاعتراف بتفوقهم وبالحاجة اليهم وما تورعوا في سبيل ذلك من اختيـار المهازيل لاجل الشؤون العامة ومن مقاومة المشاريع الوطنية اجتماعية كانت او اقتصادية او سياســية واستعانوا لتعزيز ذلك ببعثات التبشير الدينية منها والعلمية والاجتماعية تعمل على اظهار التفوق الاوربي والدعوة له وبث روعته الخادعة في نفوس الشعب وتدريس آيات هذا التفوق في دور العلم ثم قطعوا لسان النقد بخنق حرية القول والنشر والاجتماع وهز سيف النقمة على رأسها واشتراع القوانين لوأدها . وعنى المستعمرون خاصة بخلق طبقة نفعية خائنة من ابناء البلاد يركبونها لغاياتهم ويسخرونها لاغراضهم ويتسترون بها في مواقف النقد واللوم خارجاً وداخلا ويبرزونها مثالا لارقى طبقة في البلاد فيدللون بذلك على فقرها من الرجال وحاجتها لارشاد او انتداب استعماري طويل .

ولقد كانت مغريات المادة والمنصب واسطتهم لتحقيق هذه الوسيلة والى زيادة قائمة هذه الطبقة يلوحون بها الى ضعاف النفوس صغار الاحلام فيتهافتون عليها كالشرر على اللهب ما يكاد تلمسه حتى يحترق فيكسب المستعمر رماده ويخسر الوطن قوته وفي ذلك للمستعمرين نفع مزدوج .

وغني عن البيان ذكر آخر الوسائل وملجأ المستعمر النهائي وهو الجيش وهو الطائرات والزاحفات يعزز بها كل ما فات وكل ما هو آت ...

غير ان هـذه الفعالية ومجالي القوة التي يظهرها المستعمرون ما كانت ٩

لتخفي عن اعين المؤتمرين ما تستره من ضعف وخور ولقد استطاعوا ان يحصوا على الاستعمار انفاسه ويستبشروا بدنو يومه . يبذل المستعمرون كما اشرنا جهوداً جبارة لتخدير الفكر الاجتماعية والانسانية المناهضة لفكرة الاستعمار في شعوبهم وما تكاد احزاب اليمين والوسط في مجالسهم النيابية تنتزع ميزانيات جيوش الاستعمار الا بشق الانفس وحوادث الحملات النيابية عليهم قريبةالعهد يذكرها الناس ولا ينسوها . ففكرة الاستعمار اذن من حيث المبدأ تحتضر ولعل حتفها في العالمين قريب .

ولقد زال في العالم او يكاد ذلك التفوق وذلك السلطان العسكري والبحري الذي كانت تتمتع بـه بعض دول الاستعمار الكبرى في العالم الدولي وكادت اساليب التقتيل الحديثة تجعل الدول في مستوى واحد فما تستطيع واحدة الاحتفاظ بواسع سلطانها ولا بد للتنافس عند كثرة المتنافسين من ان تحدث اثره وفي ذلك للأمم المستعمرة الناشطة فرص مؤاتية وللاستعمار حفيرة وقبر

وزال كذلك ما للسلطان المالي والتفوق الاقتصادي من شأن فهوت قوة النقد واخذت الازمة الاقتصادية بخناق الدول المستعمرة وجعلتهم على ابواب عهد نظام صناعي جديد ربما ازال علة الاستعمار الكبرى وهذه الازمة في كل حال هونت من جبروت الدول واضعفت من قوتها وفي ذلك للامم المجاهدة خير وبركة

ولقد عملت فوق كل ذلك روح التحرر في الامم عملها وسادت مبادئ هذا القرن على العالم وتمكنت من النفوس وثارت على الظلم في كل مكان ونادت بسقوط الاستعمار واستهانت الشعوب في سبيل ذلك بالموت . وبات المستعمر ذاته يخجل من ذكر اسمه وراح يتشعلب في التقرب من الامم المستعمره ويتحرى له عن اسم جديد للاستعمار ولن يدوم مع هذه الثورة العالمية استعمار ولا بد ان تصرعه الحرية ولو بعد حين

الاهداف العليا

على نور هذا الدرس التحليلي بحث المؤتمر اهــداف العصبة العليا التي يجب عليها ان تعمل لبلوغها وان لا تفترعن العمل ما زال العرب لم يبلغوها . فرسمت لنفسهــا هدفين هما من حيث الطبع متمم احــدهما الاخر وتحقيق كل واحد شرط لتحقيق الاخر .

آ ــ سيادة العرب واستقلالهم المطلقين

ب ــ الوحدة العربية الشاملة

فاما السيادة والاستقلال فحق طبيعي هو للامم كحق الحياة للافراد واغتصابه من امة هو بمثــابة قتل الفرد والقاتل للفرد كالغــاصب لسيادة الامم كلاهما ١٠
مجرم . ولـكن الانسانية ما تزال محرومة من محكمة عادلة تنزل العقاب بالامم المجرمــة . فالدفاع الشخصي اذن مشروع وويل للمستسلمين .

ونعني بالسيادة ممارستها كاملة . وبالاستقلال تمامه وكماله لا نقبل في ذلك لينا ولا هوادة . وكل تنازل عن جزء منه بعقد او عهد منبوذ مردود غير مشروع ولا واجب الرعاية فكما ان الفرد لا يملك حق التنازل عن حياته وحريته ابدا وكل عقد يعقده في هذا الشأن باطل كذلك الامم لا تملك حق التنازل عن سيادتها واستقلالها فعقودها ولو اجمعت الامة عليها باطلة لاغية . اما ان الخصم شديد واما انه عنيد فالامم ان شاءت اشد واعند وصوتها من صوت الله ولن يمل العرب الكفاح في سبيل ذلك ما تعاقبت الاجيــال وحسبهم ان يحرموا خصمهم الاستقرار . والنصر بيــد الله يعطيه من يشاء .

ولقد رأت العصبة ان النصر في هذا الكفاح المستمر لامم الاستعمار ١١
المتضامنة في استعمارها المتــألبة على العرب موقوف على تضامن العرب وتألبهم على خصومهم ليحصل التوازن في الكفتين . وتبينت ان نوال السيادة والاحتفاظ بها موقوف على « وحدة البلاد العربية » كما ان ازدهارهــا الاقتصادي ونهضتها

الاجتماعية تتوقفان عليها ويستحيلان بغيرها . لذلك اعتبرت الوحدة العربية جزء غير منفصل عن هدفها في السيادة والاستقلال . وان في وحدة التاريخ والتقاليد والعادات واللغة والغايات والوضع الجغرافي كل عوامل الوحدة التي تشكل الامم وتوحد بلادهم على اختلاف الانظار العلمية في ذلك . ورغم المكابرين.

فكل جزء من بلاد العرب هو اذن حق كل عربي ومتى اعتدي عليه فقد اعتدى على العرب ووجب عليهم الذود عنه . ولن ينتهي واجب العصبة في الجهاد ما دام اصغر جزء من اجزاء البلاد العربية خارجا عن هذه الوحدة .

الوسائل

١٢. تلك هي الاهداف التي عينها المؤتمر لرجال العصبة ومن اخذ بيدهم وساهم في جهادهم من ابناء الامة .

ولقد سهلت دراسة الاستعمار تعين وسائل المقاومة القومية فكانت روح عملنا القومي تستهدف احداث رد فعل متناسب مع وسائل المستعمرين وهو القيام بنهضة عامة توقف التدهور وتمنع دوام الانحلال القومي ثم تنمي قوي الامة وتألفها وتنظمها وتوجهها الى الهدف القومي الاسمى .

١٣ هذه النهضة القومية يتوقف نجاحها على اشراك العرب عامة وتعاونهم على القيام بمهامها وتحقيق اغراضها وهي بطبيعتها تتطلب الوقت الطويل والجهود المستمرة لذلك كان من الطبيعي ان تؤسس الحركة على اساس شعبي وتنظم تنظيما محكما يضمن لها البقاء والاستمرار والاطراد والنشاط وحسن القيادة .

وبعبارة اخرى : سوف لا تقوم هذه النهضة على اساس فردي او زعامة محلية شأن الحركات السابقة بل انها ستقوم على اساس اشراك الشعب وطبقاته باسرها لان الشعب باق خالد يستطيع اتمام عمل يقوم باعبائه . والفرد فان زائل قاصر المدى ضعيف القوة خاضع لشتى المؤثرات ولا يجوز ان تعلق آمال امة ونشاط ثمرة مجهودها وتضاحيها بزائل ومتحول

السياسة : ولما كان توحيد جهود المستعمرين ، في مقاتلة الحركة العربية ، رغم التخالف في طبع المستعمرين القومي ورغم تباين مصالحهم ، يستلزم بحكم رد الفعل وبحكم منطق الدفاع توحيد جهود العرب في كل صقع لدفع عاديتهم فقد كانت اهم وسائل الظفر الوطني توحيد حركة المقاومة القومية في الاقطار العربية وتضامن العرب

١٤ وتأليف جهودهم والقضاء على النعرات الاقليمية بمعناها القاصر ووصل ما انقطع

من الروابط بين الصفوف المجاهدة في كل قطر .

غير انه لم يكن من مفهوم هذه الخطة ترك الجهاد المحلي بل ان الامر على العكس من ذلك تماما لان تعدد المستعمرين وتعدد طرائقهم الاستعمارية في مختلف الاقطار العربية جعل لكل قطر ظرف خاص تجب معالجته بوسائل خاصة وتتطلب وضع برامج محلية تراعي فيها الظروف القطرية ضمن نطاق ضوابط محدودة ١٥
تمنع شذوذ العمل السياسي عن الاهداف العليا توصلا اليها فالعمل القومي اذن يستهدف تشكيل جهات جهاد مختلفة متصلة العمل موحدة الجهد متساعدة متساندة تابعة لقيادة واحدة تؤلف فيما بينها وتجعل العاملين للقضايا القطرية لا ابناء تلك الاقطار فحسب بل العرب اجمعين

ومن نتائج هذه المبادئ حق وواجب كل عربي في الدفاع عن اهداف ١٦
العرب في كل قطر والعمل لها تحت كل سماء باعتبار القضية العربية قضية واحدة والقضايا القطرية او الاقليمية اجزاء للقضية العربية الكبرى ولا يرد على المشتغلين في قضايا الاقطار العربية المختلفة انهم من قطر دون قطر او منطقة او دولة او امة دون امة فلقد آن للعرب ان يبنوا اساس قوميتهم وان يتخلصوا من صغار العمل المحلي الذي يعمل المستعمرون لتوجيه الجهود اليه وصرفها عن القضية الكبرى وان يرسلوا قضيتهم العربية في العالم الدولي كاحدى قضاياه الكبرى ١٧
ويحتكموا بها الى الرأي العالمي الذي له شأنه في توجيه سياسة الدول وحسب العرب جهل العالم لقضيتهم وحسبهم فسح المجال لسموم الدعايات الباطلة والصاق التهم الكاذبة بالعرب حتى لا يكاد العربي ان يجد لقضيته في العالم نصيراً.

وحيث ان السيادة التامة والاستقلال المطلق اللذين فرضت العصبة على نفسها ١٨
العمل على تحقيقهما لا يأتلفان مع اي شكل من اشكال التحكم والسيطرة او التدخل الاجنبي ، وحيث ان حقيقة ما اسموه انتداباً او ارشاداً اصبحت معلومة وقد تكشفت معاني الاستعمار فيها فقد أقر المؤتمر مبدأ عدم الاعتراف بالانتداب ،

والارشاد ، والحماية ، والالحاق ، وكل صيغة من صيغ الاستعمار هـذه وكل شكل من اشكال السيطرة والتحكم الاجنبي . وانها تنكر هذه الامور وتقاوم كل عقد او عهد يؤيدانها بصورة مباشرة او غير مباشرة وستعمل على الخلاص منها بكل وسيلة حتى يكتب للسلطان القومي الظفر . ولما كان المستعمر يتم ١٩
الحكومات من المواطنين المطاويع الذين يخضعون لارادته ويعملون لتحقيق اغراضه المناهضة لمصالح العرب العاملة على قتل روحهم القومية وخنق حرياتهم . وكان لا يرفع الى سدة الحكم الا من خضع لسلطانه وكان بوقاً له واداة لتنفيذ رغائبه فقد كان من البديهي ان نحسب هـذه الحكومات ملحقاً من ملاحق المستعمر وشكلا من اشكال تحكمه وان : لا نعترف بكل حكومة او مؤسسة تقوم تحت ظل الاستعمار ونفوذه وان يعلن ان هذه الحكومات ومؤسساتها ما تمتعت ولن تتمتع بشيء من ثقة ولا بأية صفة تمثيلية لها . ومن النتائج البديهية لهذه الحقيقة : عدم الاعتراف بما يصدر عن هذه الحكومات الاستعمارية من عهد او عقد او قانون او نظام لا يحقق اهدافنا ولا يكون للبلاد فيه صالح .

٢٠ ان مبدأ انكار الانتداب وما نتج عنه وما جره من ويلات على العرب يضع في اول درجة من درجات الاهتمام (القضيـة الصهيونية) التي ارادها المستعمرون سلاحاً ماضياً لمحاربة العرب والتي لا يقتصر ضررها على الجزء الجنوبي من سورية فحسب ولكنها خطر عربي عام وداء ينخر في عظام القضية العربية سوف يستفحل امره ويعم بلاد العرب كلها .

وحيث ان الصهيونية او فكرة انشاء الوطن القومي لشذاذ الافاق الذين تطاردهم الامم المستقلة نظراً لخطرهم على عنصرياتها وقومياتها وثرواتها ومبادئها الاجتماعية وقواعدها الخلقية ، ان هذه الفكرة هي ادهى مصيبة اورثها الانتداب المفروض للعرب وهي قائمة على اساس اجلاء العرب عن بلادهم واحلال المتشردين محلهم وهو اساس لم يعرف العالم افظع منه وحشية بالنسبة للعرب اصحاب البلاد ، واوخم مآلا . لذلك أقر المؤتمر محاربة الصهيونية واغلاق البـلاد العربية في وجههم

ووجه صناعاتهم ومتاجرهم ورؤوس اموالهم وتحريم بيع الارض لهم واعتبار من يقدم على ذلك من العرب خائناً جانياً اثيماً وعدواً للعرب وقضيتهم .

٢١ وحيث ان ذريعة الاقليـات كانت وما تزال سلاحاً ماضياً بيد المستعمرين يبررون بها تدخلهم في شؤون الامم المستقلة فيتوصلون بذلك الى استعمارها . وحيث انه لا فرق في الحقوق والواجبات بين مواطن ومواطن اياً كان مذهبه او منبته او لغته فاننا ننكر ولا نعترف بوجود الاقليات ، المذهبية او العنصرية ، او اللغوية وليس لسكان البلاد العربية غير جنسية واحدة هي الجنسية العربيـة ولغة رسمية واحدة هي اللغة العربية . وكل اخلال بهذه الوحدة جريمـة وطنية تجب مقاومتها .

٢٢ ولما كان مبدأ انكار الانتداب واشكال التدخل الاخرى تقتضي انكار ما نتج عنها فان العصبة لا تعترف بما نتج عن تجزئة البـلاد العربية من فوارق الجنسية وتعتبر ان العربي لا يمكن ان يعد اجنبياً اينما كان في بلاد العرب وهو متمتع بجنسيتها وحائز على حقوق ابنائها وحامل وجائبهم تامة غير منقوصة .

٢٣ وحيث ان مبدأ عدم الاعتراف بالمستعمرين والحكومات التي يقيمونها لا يأتلف مع مبدأ التعاون معهم والعمل الى جانبهم في ادارة البلاد ادارة استعمارية او صائرة الى ذلك لقد أقر المؤتمرون مبدأ اللاتعاون مع المستعمرين والحكومات التي يقيمونها .

ولما كان (اللاتعاون) وسيلة لتحقيق الاهداف القوميـة وطريقة من طرق الدفاع لا غرضاً مقصوداً بذاته وكانت له اشكال ودرجات وكان اختيار الشكل والدرجة يجب ان يكون متناسباً مع الظروف الخاصة في كل قطر ومتناسباً مع استعداد الامة ليمكن تنفيذه بنجاح ويوصل الى الغـاية المقصودة منه وكان من المبادىء المقررة وضع برامج اقتصادية وسياسية واجتماعية لكل قطر مستلهمة من ظروفه واستعداده كان من واجب العصبة ان تختار لكل ظرف ولكل قطر شكلا ودرجة من اشكال (اللاتعاون) ودرجاته توصلا الى الغرض المقصود .

وحيث ان عملنا القومي يستهدف نهضة عامة ويتوخى اشراك الشعب وتوحيد جهود العرب في كل قطر وتنظيم هذه الجهود وتثميرها وتسييرها تحت راية الوطن وعلم الحرية والاستقلال الى الهدف الاسمى وجب بحكم الطبع التعاون مع الهيئات ٢٤
العربية المخلصة العاملة في مختلف الاقطار لتحقيق كل او جزء من اغراض هذه النهضة في جميع ميادينها : السياسية منها ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والخلقية ، والتعليمية . لقد أقر المؤتمر هذا المبدأ القويم ولكنه لاحظ ان حفظ كيان العصبة وشخصيتها المعنوية مستقلة ضرورة قومية وضمان لاستمرار العمل وصلاحه لذلك أقر مبدأ التعاون مع الهيئات المذكورة دون الاندماج بها .

في الاقتصاد

٢٥ لقد لاحظ المؤتمرون الاتجاه العالمي الجديد في ميدان الاقتصاد ورأوا كيف ان الجهود الجبارة التي بذلت لحل الازمة العالمية وتنظيم الانتاج والتبادل على اسس اممية قد اخفقت وانكفأت بعدها كل امة على نفسها تضع البرامج لسياسة اقتصادية قومية بحتة وتحاول القضاء على المزاحمة الخارجية لتحتكر اسواقها القومية احتكاراً يكاد يكون مطلقاً .

٢٦ ثم درسوا طبيعة البلاد العربية من وجهة قابليتها لتطبيق سياسة اقتصادية قومية فرأوا فيها من الاستعداد الطبيعي ما ليس له نظير في كثير من بلاد الامم القائلة بهذه السياسة العاملة لها ، شريطة اتباع قواعد خاصة في دور تكونها الاقتصادي أقر المؤتمر منها : توحيد الجهود الاقتصادية في مختلف الاقطار العربية وضم رؤوس الاموال الصغيرة للقيام بمشاريع كبيرة . وازالة الحواجز الكمركية بين البلاد العربية عن المنتوجات والصناعات العربية ، وعدم التقيد بمذهب من المذاهب الاقتصادية المعروفة الا بقدر ما فيها من خير لمصلحة العرب الاقتصادية . وتضحية المصالح الفردية والحرفية في سبيل مصلحة الامة الاقتصادية واعتبار مصلحة المجموع فوق المصالح الخاصة ، واعتبار البلاد العربية وحدة اقتصادية لا تقبل الخلل وسوقاً اقتصادية وطنية خالصة لا تروج فيها ولا يجب ان يستهلك غير المنتوجات والمصنوعات العربية ، وبذل المستهلكين العرب قصارى الجهد للاستغناء عن استعمال الحاجات الكمالية اذا لم يكن منها ما هو عربي والاقلال مما لا يستغنى عنه من الحاجات الأجنبية وما لا نظير له في المصنوعات العربية ، والقيام بنهضة صناعية كبرى يتكاتف العرب اجمعين في سبيل انجاحها .

٢٧ وحيث ان الثروات الطبيعية في البلاد العربية ما تزال بكرا لا تستفد الامة منها الا القليل وكان من الحق ان تعود فوائدها وفوائد مرافق البلاد العامة الاساسية على العرب وحدهم ، وكان تثمير الارضين على احسن حال يتوقف على توزيعها بنسب ونظام تلائم الظروف المحلية في كل قطر فقد اقر المؤتمر :مقاومة الشركات الاجنبية وعدم الاعتراف بما منحت او تمنح من امتيازات خلافا لمصلحة البلاد ، وان تشجع الشركات العربية من كل نوع وان تختار الظروف الملائمة لاستيلاء الامة على مرافقها الاساسية شرط ان لا يكون من ذلك وسيلة لاستفادة المستعمرين منها بطرق مباشرة او غير مباشرة وان تحارب الاقطاعية وتحدد مقدار التملك العقاري بنسب تساعد على النمو الزراعي وحسن الاستثمار

ولما لم يكن نفع النهضة الاقتصادية قاصرا على نتائجها المادية فحسب بل كانت امضى سلاح لمقاتلة الاستعمار التاجر بطبيعته بطريقة حرمانه من فوائد البلاد الاقتصادية بطرائق مشروعة هذا فضلا عن ان الامة اذا استبحر غناها تمكنت من الدفاع عن حقوقها السياسية دفاعا مظفرا لذلك اقر المؤتمرون ان كل تجارة او صناعة تؤول بربح على رعايا الدول المستعمرة هي قوة للاستعمار ووسيلة لتخليده وضعف للعرب وامعان في استكانتهم فعلى العرب اذن دفع هذا الخطر وحمل المستعمر على الزهد في بلادهم بعد ان يعلم انه لن يستطيع استثمار هذا الاستعمار في بلاد فاقت الى استقلالها وبين ظهراني امة عزيزة تعرف كيف تحرم نفسها من لذائذ العيش المادية توصلا لغاياتها النبيلة

٢٩ وحيث ان ظروف العرب الاقتصادية غير واحدة وهي خاضعة للظروف السياسية فقد وجب في الاقتصاد ما وجب في السياسة وتحتم ان توضع برامج اقتصادية لكل قطر تستلهم من ظروفه وقابلياته شرط ان لا تخرج على المبادئ العامة المسطورة فيما سبق

في الاجتماع : ولقد بحث المؤتمر اهداف نهضتنا الاجتماعية وطرائقها ٣٠
ورأى انها يجب ان تستهدف رفع مستوى الامة العربية ، وحفظ خصائصها
ومميزاتها القومية ، وتثمير كوامن قوى ابنائها جميعا ، وتوطيد الروابط بين افرادها
وتوحيد اميالهم وانماء الحس القومي فيهم وتعميم الرفاه وبسطة العيش لسائر
طبقاتهم .

ولما كانت القومية العربية روح هذه النهضة ومحورها اقر المؤتمر بانه ٣١
ليس من الجائز اعتناق اي مذهب من المذاهب الاجتماعية يكون من شأنه اضعاف
الحس القومي او الخروج على التقاليد العربية الصالحة . وان من الواجب مقاومة
كل عصبية غير العصبية القومية والقضاء على العصبيات العائلية او المذهبية او ٣٢
المحلية التي يجب ان تذوب وتفنى في سبيل المصلحة القومية وان لا يتخذ من
احداها اساساً للحركات الوطنية .

ولما كان رفع مستوى الامة يعني رفع مستوى جميع افرادها وسائر طبقاتها
وكان لا يجوز في هذه الحال ان تبقى المرأة وهي في عددها نصف الامة عضوا ٣٣
اشل لا تحسن القيام بما هيأت له بطبيعتها اقر المؤتمر وجوب رفع مستوى المرأة
الاجتماعي لتحسن القيام بواجبها الوطني الذي لا يجيد غيرها القيام به .

ولما كان ارتباط الفرد بوطنه وقيامه بواجب القضية في سبيله يتزايد بنسبة ٣٤
ما يجنيه فيه من خير وتربطه اليه الروابط المعنوية ، وكان حس الوطنية لفقدان
هذا الارتباط يكاد يكون مفقوداً في البدو الرحل ، وقد ندر ما استفادت الامة
من مؤهلاتهم الفطرية كما قل ما جنوه هم من خير بـلادهم ، فقد أقر المؤتمر
وجوب تحضير البدو وربط مقدراتهم بمقدرات بلادهم وأقر الجميع ما تقدم من العالم
وجوب العناية بالطبقة العاملة والعمل على نشر الثقافة فيها وايصال نور العلم اليها ٣٥
بكل وسيلة ، ووجوب رفع مستوي (القريه) الاجتماعي والثقافي والصحي ٣٦
بصفتها الاساس الذي يبنى عليه هيكل البلاد العمراني والاجتماعي .

٣٧ ولما كانت قضية المواليد وطرائق تكثيرها والوفيات ونسبتها من اهم القضايا الاجتماعية التي تشغل الامم ويعنى بها ، وكانت مفسدات مدنية المستعمرين قد انتجت في البلاد العربية تقليل عدد المواليد واضحت زيادتهم الطبيعية محدودة قاصرة ، ونسبة موت الاطفال كبيرة بسبب انتشار الامراض التناسلية وجهل القواعد الصحية والامتناع عن الزواج لعلة سهولة الفساد الجنسي وانتشاره وكثرة مغرياته ، وكانت انواع الامراض الاخرى عظيمة الانتشار بسبب جهل القواعد الصحية وعدم اهتمام المستعمرين وحكوماتهم بنشرها وعدم عنايتهم بصحة العامة في غير المدن الكبيرة خوفاً على انفسهم وحرصاً على سلامة جيوشهم وعوائلهم لا خدمة للشعب ولا حباً بسعادته .

٣٨ وحيث ان الميسر (القمار) قد تفشى في الامة داؤه وعم ضرره المادي والخلقي سائر طبقاتها وما حاول المستعمرون وحكوماتهم وسيلة جدية لايقاف ضرره بل هم على العكس من ذلك يشجعونه ويسهلون سبله ، عن علم بمظيم ضرره ، ويعطون بنواديه وملاجئه الرخص الحكومية بحجة تشجيع الاصطياف واقتناص المصطافين تارة وبحجة تكثير موارد الدولة من هذا المال الحرام الذي يقتطع من ثمن الرغيف والكساء وثمن العلاج لمرضي المقامرين واطفالهم ونسائهم .

٣٩ وحيث ان تعاطي المسكر قد انتشر حتى عم الامة حضريها وبدويها فلاحها ومدنيها وعمل عمله في تهديم الخلق القومي وشجع على كل منكر وفتك في الاجسام والعقول فتكاً فكثير المدمنون ونسلوا اهزل نسل واضعفه .

٤٠ وحيث ان الرياضة البدنية بشتى اشكالها علاج ناجع لداء الفراغ ولكثير من الادواء الاجتماعية المذكورة فيما سبق ؛ كالسكر والمقامرة والفسق ، وكانت الرياضة فوق ذلك حافزا على نمو حس الرجوله والكرامة ، وكان حسن الانتاج الذهني وصحة التفكير وامكان النبوغ والتفوق تتوقف الى مدى بعيد على صحة البنية وجودة التركيب الجسمي ،

فقد اقر المؤتمر وجوب تشجيع الزواج وتسهيل سبله ، تشجيع النسل

وتعليم القواعد الصحية ونشرها في سائر طبقات الامة ، مكافحة القمار والمسكر والفجور بكل وسيلة ، العمل المستمر وبذل قصارى الجهد لبث روح الرياضة البدنية بانواعها وتشجيع موءسساتها ومعاضدتها معنويا وماليا

٤١ وفي هذا الباب « الاجتماعي » كما فيما سبق سوف ينظر الى مختلف الاقطار العربية نظرة واقعية فتسن لها البرامج تبعا لاستعدادها وظروفها ويعمل على تحقيق هذه البرامج تبعا لسنن التطور .

٤٢ في الثقافة والتعليم . وبحث الموءتمر النهضة العلمية والثقافية فرأى انها تتوخى انماء قوى الامة المادية والمعنوية ، وانماء قوى التفكير والانتاج الذهني والتوليد والابتكار وتعميم المعارف على اختلاف انواعها ، وتقويم الاخلاق على اسس مستلهمة من تراثنا القومي ، ونشر الفضائل العربية ، وبث روح التضحية والتعاون في العمل المشترك وحسن الانتظام والرجولة . وبعث فكرة القومية العربية وانمائها ، وايجاد نشىء منتج عمليا قوي البنية حازم الارادة معتمد على نفسه غير تواكلي عزيز الجانب حمي الانف عظيم الشعور بالواجب ومسوءوليات الضمير منظم النفس ضعيف الانانية خاضع لحكم الكثرة .

٤٣ لذلك اقر الموءتمر وجوب قيام برامج التعليم على اسس عملية تساعد على تدريب الطلاب على حرية البحث العلمي والاستقلال الفكري . وفسح مجال كاف في برامج التعليم لدرس تاريخ العرب وجغرافية بلادهم وآثارهم في العلم والفن والادب . وصيرورة اللغة العربية وحدها لغة التعليم في شتى فروعه وايجاد التعابير والمصطلحات العلمية والفنية وتوحيدها في البلاد العربية .

٤٤ ولما كان انتشار العلم والثقافة في طبقة دون طبقة لا يوءدي الى الغرض المقصود وهو يحرم الامة من استعداد النوابغ من ابناءها في سائر الطبقات وجب ان يعم العلم سائرها وتسهل سبله وان لا يكون الفقر حائلا دون ذلك .

وحيث كان المستعمرون وما زالوا يعملون علي تفكيك روابط الوحدة العربية من تقاليد وعادات الى لغة واميال وتاريخ ، ويمدون لهذه الغاية المستشرقين وارساليات التبشيرية الدينية والعلمية بالمادة ويعضدونها بشتى الوسائل فتعمل هذه الارساليات في كتاباتها ومحاضراتها وفي مدارسها ومعاهدها الاخرى علي اضعاف شأن اللغة العربية ومزاحمتها بلغات الفرنجة وافسادها بشتى الوسائل ، ثم تحاول بما لديها من الوسائل افساد العقائد والمبادىء العربية واضلال الاميال والمشاعر ودس السموم في تاريخ العرب المدني والديني تبغيضا بهم وتهوينا من شأنهم وقطعا لما بين ماضي العربي وحاضره ومستقبله من صلة

وكانت وحدة اللغة اقوى رابطة ابقت على وحدة العرب القومية وحفظتها وكان من اجل مفاخر العرب لغتهم الفصحى التي احتوت من مزايا الافصاح ٤٥
والسعة والمرونة وكثرة طرائق الاشتقاق ما لم تحوه لغة اخرى ، وكان التخاطب بلغات اجنبية مضعفا لرابطةاللغة في زمن نحن احوج ما نكون فيه الي متانة الروابط والاعتزاز بتراثنا القومي ، وكان ادخال الكلم الاجنبي على اللغة مفسدا لها فقد اقر المؤتمر وجوب قصر اللغات الاجنبيةعلى البحث العلمي والامتناع عن التخاطب بها بين العرب . ومقاومة التبشير الاجنبي باشكاله وشتى مظاهره

خاتمة

ان شيئاً من اغراض النهضة لا يمكن ان يحققه المستعمرون ولا حكوماتهم
لان في تحقيقه نهوض الامة وفي نهوض الامة خروج المستعمر من هذه البلاد ٤٦
وتسلم ابنائها الصالحين مقدراتها وسيقاوم المستعمرون وعمالهم ذلك الامر ما استطاعوا اليه سبيلا . فعلى الامة الناهضة اذن ان تعتمد في تحقيق نهضتها على نفسها وان تعلم ان المستعمرين وحكوماتهم لا يكتفون بعدم المساعدة بل انهم سيسمعونها هم واذنابهم من الدعايات انواعاً تحوم حول استحالة تحقيق هذه الاغراض الكبرى وبث روح اليأس من النجاح لها . ولدعايات الاجنبي انواع وطرائق لا تخطر ببال فهي تأتيك من احب الناس اليك او من نواح لا تشك بصدقها وصلاحها وكثيراً ما يكون الدعاة ذاتهم مأخوذين عن اخلاص وقناعة بدعاية الاجنبي واقعين بأحابيله ودسائسه من حيث لا يشعرون .

لقد تبين للمؤتمرين بعد طويل البحث ان التعلق بالمبادىء المسطورة في هذه ٤٧
النشرة ومحاولة تحقيقها بصبر وجلد هما وسيلة الخلاص من ربقة الذل ونير الاستعباد خلاصاً اكيداً ولو طال على العاملين الامد . وما دامت حياة الامم لا تقاس بالسنين فحسب الخطة ان تكون موصلة للغرض وحسب العامل ان يتقدم في عمله والعاقبة للصابرين .

ولقد نذرت عصبة العمل القومي على نفسها وعاهدت الله ان تجاهد في سبيل تحقيق اهدافها على هذه السنن ما بقي منها فرد . وهي ترسل في فاتحة عهد جهادها الى شهداء القضية العربية والى العاملين في الحقل الوطني الصادقين الخالصين لله والامة اذكى التحية واطيب الثناء عارفة فضلهم عالمة انها لا تبتدع في عملها الجهاد ولكنها تتوخى فيه طريقة ناجعة وتضم الى سلسلة الجهود حلقة جديدة ترجو الله ان يكون بها للعرب خير وفلاح .

ونود ان تعلم الامة بهذه المناسبة مرة اخيرة ان عملنا القائم على اساس تنظيم
قوى الامة وتثميرها افراداً وجماعات لا يمكن ان يأتلف مع ما اذيع عن العصبة ٤٨

ظلماً من محاولة تفشيل الحركات الوطنية او تهديمها . وهذه مبادئنا وتلك اهدافها تذاع على وضح النهار فكل من اعتنقها او شاء ان يساهم في تحقيق جزء منها فنحن منه وهو منا وان في ميدان الجهاد والتضحية متسعاً للعاملين .

٤٩ تلك هي المبادىء العامة التي قرر المؤتمر نشرها في الناس وقد اختطت العصبة لنفسها طرائق للعمل والتنفيذ رأت من المصلحة ان لا تعلم ضماناً للنجاح غير انها تريد ان يعلم العرب ان قاعدة نظامها في العمل توحيد جهود العرب العاملين في كل قطر وان للعصبة رجالا في الاقطار العربية مرتبطين بها يعملون معاً ويد الله مع الجماعة وبيده الخير انه على كل شيء قدير .

في السياسة السورية

بالنظر الى ما للقضية السورية من الاهمية الخاصة وما لها من ارتباط وثيق في نجاح الفكرة العربية وتحقيق الوحدة والسيادة والاستقلال القومي وبالنظر الى ان من الاسس الموضوعة للقضية العربيـة والمنشورة فيما سبق وجوب مراعاة الظروف المحلية في السياسة والاقتصاد وغيرها في وضع البرامج القطرية . وبالنظر الى المبدأ العام القائل باللاتعاون مع الاجنبي نظراً للاسباب والعلل المشروحة .

وبالنظر الى ان القضيـة السورية معروضة لاحداث خطيرة سريعة فقد بحث مؤتمر عصبة العمل القومي التأسيسي السياسة السورية بحثاً مطولا نظر خلاله في تطورات القضية السورية من وجهتي النظر ؛ السورية والفرنسية ، وارجع البصر في اعمال الفرنسيس في الاجزاء المبتورة من الكيان السوري واستقراء مدلول هذه الاعمال ، ثم استعاد اقوال رجال الفرنسيس المسؤولين في مواقفهم الرسميـة والعادية ، وامعن النظر في اهداف الاستعمار الفرنسي التي يسعى لبلوغها وتحقيق اغراضها في هذا الجزء من البلاد العربية من نواحيها العربية والاسلامية والشرقية وناحيتها الادبية والاقتصادية والعسكرية وما يزعم الفرنسيس وجوده من روابط تاريخية وتقليدية تبرر بقاء سلطانهم عليها ، فقام لديه الدليل المستند الى جميع ذلك على ان الفرنسيس عازمون على المضي في سياسة التجزأة وتطبيق سياسة الانتداب الاستعماري حتى النهـاية . وترجح لديه من الوجهة الفرنسية ، ان المعاهدة

التي يلوحون بها لن تعقد قطعاً ان كان ما ستحتويه ماساً بجوهر الاستعمار بصورة جدية ومحققاً اهداف الامة الحيوية في الوحدة والاستقلال . وانهم انما يريدونها ، ان امكن عقدها ، اداة لتنفيذ سياسة انتدابية بحتة ولتخليد سياسة التجزئة بانتزاع اعتراف من الامة باقرارها وابدال صيغة الانتـداب التي لا يستطيعون الدفاع عن مشروعيتها بصيغة عقدية تضعف حجة الامة في انكارها . فان لم يمكن عقدها

على هذا الشكل فانما يريدونها واسطة لانقسام الصفوف الوطنية المجاهدة والهيئة تخدر في الامة حس المقاومة ويتخذونها بذلك سخرياً .

ثم ظهر للمؤتمر ، من الوجهة الوطنية ، ان ذريعة المعاهدة اخرجت القضية الوطنية عن اهدافها وزجت بالامه في مهمة (سياسة التفاهم) السحيق التي لم يشأ الفرنسيس ان يحذدوا مداها وطبيعي ان لا يشاؤا وتنكب الجانب الوطني عن ان يعين لها ضابطاً ولصلاحها معياراً ومن الخطأ ما فعلوا .

لقد كان من نتيجة هذا الاطلاق الخطر في (سياسة التفاهم) ان شلت حركة المقاومة وان سادت الشعور الوطني غشاوة من الحكمة الوطنية الزائفة وان اصبح ضمان تحقيق المباديء الوطنيــة ضماناً شخصياً لا ضمان مبادىء جلية معلومة وان تجزأت الاهداف الوطنية التي كانت كتله واحدة والتي سالت من اجلهـا الدماء انهاراً وخربت البلاد وبارت ، الى اجزاء واخذوا يتحدثون (بسياسة المراحل) التي عمل الفرنسيس لها طيلة هذه السنين فكان لهم ما يريدون ولو ارادها الجانب الوطني لنالها قبل ان يضحي وقبل ان يموت على مذبح الوطنية زهرة شبابه وخيرة رجاله . وخرج الحـديث عن (سياســة المراحل) من الغمغمة الى الصراحة ووجد من ينادي بها جهراً ويعمل لهابكل وسيلة . يقيم على صلاحها برهان العراق وهو يعلم ان القياس على العراق قيــاس مع الفارق نظراً لاختـلاف وجهتي نظر المستعمرين في كلا القطرين واختلاف غايتيهما وطبيعة استعماريهما . ونظراً لاختلاف وضع العراق الجغرافي والاقتصادي والعسكري والسياسي عن نظيره في سوريا . ونظراً لاختلاف وضع العرب الاجتماعي في العراق عنه في سوريا ، ونظراً لمدلول احداث الانكليز في العراق عن مدلول احداث الفرنسيس في سوريا ونظراً الى كثير من مثل هذه المقدمات المتباينة التي تجعل النتائج متباينــة ايضاً وتصير (سياسة المراحل) التي تمشت بالعراق بفضل ظروف واقعية وشخصية نحو استقلاله ، وسيلة لغل عنق سوريا وتكبيلها بقيود هيهــات ان تنجو منها ولو بعد حين .

تلك بعض نتائج (سياسة التفاهم) التي قامت على غير ما اساس وهــذا مصير

القضايا الوطنية ان وقفت على رأس المنحدر وكان خصمها صلباً عنيداً ما يغير ولا يلين فهي لا تقف في انحدارها عند حد .

ولقد رأى المؤتمر كيف ان سياسة التفاهم كادت تنقلب شراً مستطيراً وتتدرج نحو (سياسة الامر الواقع) او (السياسة الماتيسريه) اي الى الخضوع الى ما تريده القوة والاذعان الى مشيئتها وبعبارة اخرى كاد ينتهي الامر بحركة المقاومة الوطنية الى انتفاء علة وجودها الذي هو مقاومة مشيئة المستعمر وتحقيق ارادة الامة ونوال حقها فلا يعود بعد ذلك للحركة الوطنية مبرر .

اذاء هذه الحال وانقاذا للحركة الوطنية من غمرة الموت وابقاء على الشعور الوطني وهو سلاح الامة الحي الباقي وضمانا لحقوق البلاد في وحدتها وسيادتها واستقلالها ، وانتظارا للساعة المباركة التي تقبض فيها الامة على حقوقها بقوة وسلطان . رأى المؤتمر ان من الواجب وضع اسس سياسة تليق بالكرامة الوطنية وتتناسب مع عظمة التاريخ وشرف الغاية ونبل الضحايا .

وان سياسة المحاسنة لا يجب ان تنقلب الى سياسة انتحار . وان لا محل للظرف والكياسة السياسية في ميدان العراك بين قوي معتز بقوته هازئ بالامة ساخر بامانيها وضعيف جرد من قواه واختل التوازن المادي بينه وبين خصمه ولم يعد يملك غير قواه المعنوية في عزته واباءه .

وان التواضع في تقدير هذه القوى لا يجب ان يبلغ درجة حسبانها عدما لا تستطيع حتى الاعراض والتجنب والترفع عن دنية التزلف لقاء غصب حقوقها .

وان التمييز بين الخيانة والاعتدال في المواقف الوطنية غير هين وهو موقع الامة في حيرة وبلبال ومزعزع اركان الثقة بالعاملين وما ذلك من مصلحة الدفاع الوطني في شيء .

وان الامة المغلوبة لا يطلب اليها اقامة البرهان على حسن نيتها بل ان ذلك من واجب الغالب وعليه هو ان يقيم هذا البرهان بارجاع ما اغتصبه من حقوقها كاملا غير منقوص وبنفس الطريقة التي سلبها اياها . وان سياسة قومية صريحة مثل هذه تتمشى مع اهداف الامة وتراعي مصلحة الدفاع عنها وتحتفظ بالكرامة القومية

وتبرز حقيقة الموقف الوطني بعد شرح موقف المستعمر للامـة وللخصم وللعـالم باسره من غير ما مواربة ولا جمجمة لا يمـكن ان تعـد سياسة غلو او مغامرة او تصلب .

لذلك اقر المؤتمر الخطوط الـكبرى لسياسة الجزأ السوري من بلاد العرب كما يلي :

اولا — ترسم العصبة لنفسها خطة سياسة دفاع اجتماعي واقتصادي وسياسي . ويجب ان تعين هذه السياسة سلوك رجال العصبة الاجتماعي والاقتصادي والسياسي حيال المستعمرين .

ثانياً — لا تأتلف هذه السياسة مـع الزلفى والقربى من المستعمرين الذين يجب ان يشعروا في كل ظاهرة اجتماعية ان الاستعمار يحفر بينهم وبين العرب هوة سحيقة وان العرب شاعرون باهانتهم حريصون على كرامتهم . وان المستعمرين ورجال الحـكومات التي يقيمونها في ذلك سواسية .

ثالثاً — لا يجوز لمن يدين بهذه السياسة ان يتقلد وظيفة حكومية .

رابعاً — لما كان المجلس الذي اسموه « نيابياً » انتخب اعضاؤه بقوة الجيش وبحكم التزييف والتزوير وهو لا يمثل الامة وهو رغم ذلك آلة من اخطر الآلات بيد المستعمرين وجب العمل على حله والاحتكام بمصير الامة اليهـا . ووجب ان يعلم بان ما يصدر عنه لا يقيد الامة بشيء .

خامساً — لما كانت الحـكومة وليدة المجلس وهي مثله لا تتمتع بثقة الامة وانما هي مظهر من مظاهر الاستعمار واداة لتنفيذ اغراضه وستار يمسحون بهـا كل عيب وينزلون باسمها كل بلاء في البلاد لم يكن من الجائز الاشتراك بهـا ويجب ان يعلم انها اشد من الاستعمار خطرا ونكاية وان ما يصدر عنها لا يقيـد الامة بشيء .

سادساً — يجب ان يعني بحفظ الشعور الوطني حيا يقظا لا يعتريه التبلد ولا تعمل فيه المخدرات وان تفند مضار الاستعمار ومراميه لسائر طبقات الامة وتشرح

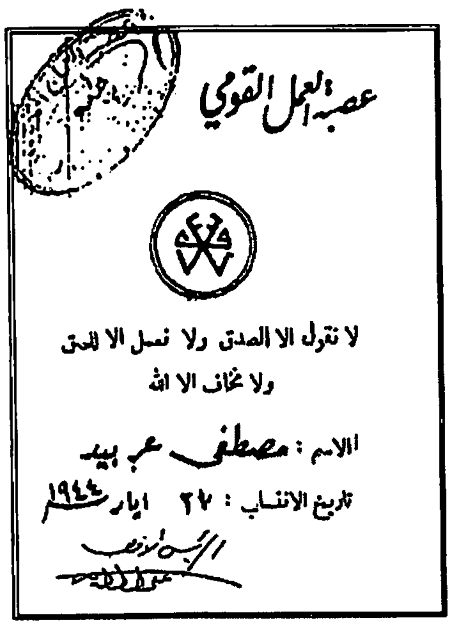
الاهداف الوطنية وغاياتها ليتكون من ذلك رأي عام وطني يقظ يحسن الحكم على الامور وبيده فصل الخطاب .

سابعاً ـــ لما كانت قوة البلاد الاقتصادية بلغت درجة العدم وكان من اولى الوجائب حفظ ما بقي من الثروة العامة وابقاؤها في البلاد وجب على من يدين بسياسة العصبة أن يستغني عن الحاجات الافرنجية وان يستهلك المصنوعات العربية على وجه الحصر وان يقصر التعامل الاقتصادي التجاري والصناعي والمالي على المؤسسات العربية دون غيرها .

الخاتمة ـــ وقد ترك المؤتمر للقائمين على العمل القومي من رجال العصبة في سوريا تعيين مدارج هذه السياسة وفروعها ضمن هذه الاسس واسس المبادىء العامة تبعا لاستعداد القائلين بها من الامة ووضع طرق التنفيذ ومن كانت الامة من وراءه وكان عمله خالصا لله والامة كتب له الظفر انشاء الله .

(٢)

بطاقة العضوية لعصبة العمل القومي



دستور عصبة العمل القومي المنبثق عن المؤتمر التأسيسي للعصبة المنعقد في آب سنة ١٩٣٣

١ – للعرب في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم امة واحدة. والعروبة أخوة يتساوى فيها العرب بالحقوق والواجبات

٢ – الامة العربية جسم اجتماعي واحد كل عضو فيه يقوم بوظيفته الخاصة فلا فاضل ولا مفضول الا بالواجب والاخلاق والعمل الوطني المثمر .

٣ – البلدان العربية بكليتها وطن عربي واحد .

٤ – القومية العربية فوق كل شيء وقبل كل شيء وكل ما يتعارض معها من عصبية طائفية او قبلية او اسرية او اقليمية تنبذه العصبة وتقاومه .

٥ – الحركة العربية هي حركة بعث وتحرير وانشاء والحركات القطرية فروع لها .

٦ – هدف العصبة انشاء كيان عربي قومي مستقل موحد

٧ – تستنكر العصبة الاقطاعية وتقاومها وتعمل لاقامة نظام اقتصادي عادل شامل يظفر فيه كل مواطن بكسبه المتناسب مع عمله . وتحارب الجهل والفقر والفوضى.

٨ – أن تأخذ الدولة على عاتقها المشاريع الرئيسية الكبرى وتشجع عليها الحركات التعاونية القومية .

٩ – تؤمن العصبة بالمدنية العدل اي المدنية الجامعة محاسن المدنيتين المادية والروحية وبان الامة العربية ستكون رسول هذه المدنية .

١٠ – العصبي لا يقول الا الصدق ولا يعمل الا للحق ولا يخاف الا الله .

١١ – العصبي يخدم وطنه بشجاعة وحزم وامانة في كل زمان وفي كل مكان وفي كل ناحية من نواحي الحياة وهو لا يلبس ولا يأكل ولا يشرب ولا يستعمل من الآنية والاثاث الا كل ما هو عربي اياً كان القطر الذي صنعه او انتجه الا اذا اضطر من هذا كله الى شيء ليس في الاقطار العربية منه .

١٢ – قوام النهضة الرجل والمرأة على السواء كل بما هو ميسر له . والعصبة تعتمد في بلوغ اهدافها على التنظيم الشعبي الشامل للجنسين وتستند فيه بالدرجة الاولى الى الشباب .

(٣)

رخصة حزب عصبة العمل القومي (لبنان)

علم وخبر رقم ٧٢٨

اسم الجمعية	الجمعية المسماة (عصبة العمل القومي)
مركزهـــــا	بيروت
غايتهـــــا	رفع مستوى القريخ الاجتماعي ومكافحة الامية بواسطة مدارس ليلية للاميين فقط الخ ....

هيئة الادارة — السادة :

علي ناصر الدين — الشيخ قسطنطين يني
فؤاد النكدي — الدكتور محمد خير الغويري
الاستاذ نعيم الخوري — المهندس عارف الاعور

ممثل الجمعية تجاه الحكومة السيد علي ناصر الدين — بيروت —

ان وزير الداخلية
بناء على المرسوم رقم المؤرخ في ٢٥ ايلول سنة ١٩٤٣
بناء على الطلب المقدم من مؤسسي الجمعية المسماة (عصبة العمل القومي) بيروت.
اعطي العلم وخبر وفقاً لاحكام المادة السادسة من قانون الجمعيات ./.

بيروت في ٢٩ اذار ١٩٤٤
الامضاء كميل شمعون

يبلغ
مديرية الرئاسة
الامن الداخلي
بيروت
اصحاب العلاقة

المراجع

كتب

آل تقي الدين الحصني، محمد أديب. **منتخبات التواريخ لدمشق.** بيروت: منشورات الآفاق الجديدة، ١٩٧٩. ٣ ج في ٢.

أرسلان، عادل. **مذكرات الأمير عادل أرسلان، ١٩٣٤ - ١٩٥٣.** تحقيق يوسف إيبش. بيروت: الدار التقدمية، ١٩٨٣. ٣ ج.

ج ١: ١٩٣٤ - ١٩٤٥.

ج ٢: ١٩٤٦ - ١٩٥٠.

ج ٣: ١٩٥١ - ١٩٥٣.

الأرسوزي، زكي. **المؤلفات الكاملة.** دمشق: مطابع الإدارة السياسية للجيش والقوات المسلحة، ١٩٧٢ - ١٩٧٦. ٦ ج.

أشتي، فارس. **الحزب التقدمي الاشتراكي ودوره في السياسة اللبنانية، ١٩٤٩ - ١٩٧٥.** المختارة، لبنان: الدار التقدمية، ١٩٨٩. ٣ مج.

مج ١: تكوين الحزب.

مج ٢: دور الحزب (١٩٤٩ - ١٩٦٤).

مج ٣: دور الحزب (١٩٦٤ - ١٩٧٥).

باز، جرجي نقولا. **المطران بولس الخوري: ذكرى السيامة.** بيروت: مطبعة دار الفنون، ١٩٤٨.

الباشا، محمد خليل. **معجم أعلام الدروز.** المختارة، لبنان: الدار التقدمية، ١٩٩٠. ٢ ج.

ج ١: أ - ر.

ج ٢: ز - ي.

بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي المنعقد في قرنايل في ٢٤ أغسطس ١٩٣٣. دمشق: المطبعة العصرية، ١٩٣٣.

بيهم، محمد جميل. **النزاعات السياسية بلبنان: عهد الانتداب والاحتلال، ١٩١٨ - ١٩٤٥.** بيروت: دار الأحد، ١٩٧٧.

تقي الدين، منير. **ولادة استقلال.** بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٣.

التل، سهير سلطي. **حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية.** بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٦. (سلسلة الثقافة القومية؛ ٣١)

توري، جوردون هـ. السياسة السورية والعسكريون، ١٩٤٥ - ١٩٥٨. ترجمة محمود فلاحة. ط ٢. بيروت: دار الجماهير، ١٩٦٩.
الجسر، باسم. ميثاق ١٩٤٣: لماذا كان؟ وهل سقط؟. بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٧٨. (مراجع الاستقلال)
الحكيم، حسن. مذكراتي: صفحات من تاريخ سوريا الحديث، ١٩٢٠ - ١٩٥٨. بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٥- ١٩٦٦. ٢ ج.
الحكيم، يوسف. سورية والانتداب الفرنسي. بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٨٣.
حلاق، حسان. التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣ - ١٩٥٢: مع دراسة للعلاقات اللبنانية - العربية والعلاقات اللبنانية الدولية. بيروت: الدار الجامعية، ١٩٨٨.
ـــــ. دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، ١٩١٣ - ١٩٤٣: من جمعية بيروت الاصلاحية إلى الميثاق الوطني. بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٥.
ـــــ. موقف لبنان من القضية الفلسطينية، ١٩١٨ - ١٩٥٢. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٨٢.
الحلو، ابراهيم. كفاح القومية العربية في القرن العشرين، «سورية - مصر». دمشق: مكتبة النوري، ١٩٦٠.
الحلو، ناجي كريم. حكام لبنان، ١٩٢٠ - ١٩٨٠. بيروت: مؤسسة خليفة للطباعة، ١٩٨٠.
حنا، عبد الله. الاتجاهات الفكرية في سورية ولبنان، ١٩٢٠ - ١٩٤٥. دمشق: المطبعة التعاونية، ١٩٧٣.
ـــــ. الحركة العمالية في سورية ولبنان، ١٩٠٠ - ١٩٤٥. دمشق: دار دمشق، ١٩٧٣.
حوراني، ألبرت. الفكر العربي في عصر النهضة، ١٧٩٨ - ١٩٣٩. [ترجمه إلى العربية كريم عزقول]. بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٦٨.
خباز، حنا وجورج حداد. فارس الخوري: حياته وعصره. بيروت: دار صادر، ١٩٥٢.
دروزة، محمد عزة. حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات وتعليقات. صيدا: المطبعة العصرية، ١٩٥٠ - ١٩٥١. ٦ ج في ٤.
ـــــ. فلسطين وجهاد الفلسطينيين في معركة الحياة والموت ضد بريطانيا والصهيونية. القاهرة: مطابع دار الكتاب العربي، ١٩٥٩.
دندشلي، مصطفى. حزب البعث العربي الاشتراكي، ١٩٤٠ - ١٩٦٣: مساهمة في نقد الحركات السياسية في الوطن العربي. تعريب يوسف جباعي ومصطفى دندشلي. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩.
ج ١: الايديولوجيا والتاريخ السياسي.
رشيد معتوق. الطبيب الانسان. إعداد وتحقيق كامل المر. سدني: دار الثقافة، ١٩٩٧.
الريس، نجيب. نضال. دمشق: مطبعة القبس، ١٩٣٤.
الزركلي، خير الدين. الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. ط ٥. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠. ٨ ج.
زعيتر، أكرم. القضية الفلسطينية. [القاهرة]: دار المعارف، ١٩٥٥.

ـــــ. وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩١٨ - ١٩٣٩، من أوراق أكرم زعيتر. أعدتها للنشر بيان نويهض الحوت. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٩. (الوثائق الأساسية والعامة)
ـــــ. يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥ - ١٩٣٩. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٠. (سلسلة الدراسات؛ ٥٥)
زيدان، نعمة. عالمنا العربي: سورية ولبنان. بيروت: وكالة الصحافة الشرقية، ١٩٥٦.
زين، زين نور الدين. نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية. بيروت: دار النهار للنشر، [١٩٦٨].
السباعي، أمين. الأحزاب اللبنانية في مواجهة ١٩٧٠. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٠.
السيد، جلال. حزب البعث العربي. بيروت: دار النهار للنشر، [١٩٧٣].
شيا، محمد. علي ناصر الدين: صفحات من الفكر القومي العربي. قدم له سامي مكارم. بيروت: دار صادر، ١٩٩٣.
الصلح، سامي. أحتكم إلى التاريخ. سجل الوقائع وجمعها سليم واكيم. بيروت: دار النهار، ١٩٧٠.
الصلح، عادل. حزب الاستقلال الجمهوري: من المقاومة الوطنية أيام الانتداب الفرنسي. بيروت: دار الطليعة، [١٩٧٠].
الصمد، رياض. الطائفية ولعبة الحكم في لبنان. بيروت: [د. ن.]، ١٩٧٧.
ضاهر، محمد كامل. الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر. بيروت: دار البيروني، ١٩٩٤.
طربين، أحمد. الوحدة العربية في تاريخ المشرق المعاصر، ١٨٠٠ - ١٩٥٨. دمشق: [د. ن.]، ١٩٧٠.
طهبوب، فائق حمدي. الحركة العمالية والنقابية في فلسطين، ١٩٢٠ - ١٩٤٨. الكويت: شركة كاظمة، ١٩٨٢.
فرزات، محمد حرب. الحياة الحزبية في سوريا: دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب وتطورها بين ١٩٠٨ - ١٩٥٥. دمشق: دار الرواد، ١٩٥٥.
قاسمية، خيرية. عوني عبد الهادي - أوراق خاصة. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٤. (سلسلة كتب فلسطينية؛ ٥٤)
القاوقجي، فوزي. فلسطين في مذكرات القاوقجي. إعداد خيرية قاسمية. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٥. ٢ ج.
ج ١: ١٩١٢ - ١٩٣٢.
ج ٢: ١٩٣٦ - ١٩٤٨.
قرقوط، ذوقان. تطور الحركة الوطنية في سورية، ١٩٢٠ - ١٩٣٩. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٥.
القصاب، عبد المجيد. ملاحظات دستورية ولمحات دبلوماسية. بيروت: دار الكتب، ١٩٨٠.

الكبيسي، باسل. **حركة القوميين العرب**. ط ٢. بيروت: دار العودة، [١٩٧؟].
لونغريغ، ستيفن همسلي. **تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**. ترجمة بيار عقل. بيروت: دار الحقيقة، ١٩٧٨.
ماركس، كارل وفريدريك إنجلز. **بيان الحزب الشيوعي**. موسكو: دار التقدم، [د. ت.].
محافظة، علي. **موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ١٩١٩ - ١٩٤٥**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥. (مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية؛ ١)
مذكرات سليم علي سلام (١٨٦٨ - ١٩٣٨): مع دراسة للعلاقات العثمانية - العربية والعلاقات الفرنسية - اللبنانية. قدم لها وحققها وعلق على هوامشها حسان علي حلاق. بيروت: الدار الجامعية، ١٩٨٢.
مراد، سعيد. **الحركة الوحدوية في لبنان بين الحربين العالميتين، ١٩١٤ - ١٩٤٦**. بيروت: معهد الانماء العربي، [١٩٨٦]. ٣ مج. (دراسات الفكر العربي)
المعلم، وليد. سورية، ١٩١٦ - ١٩٤٦: **الطريق إلى الحرية**. دمشق: دار طلاس، ١٩٨٨.
مكتب التوثيق والتأليف في دار العمل. **تاريخ حزب الكتائب اللبنانية**. بيروت: دار العمل للنشر، ١٩٧٩. ٢ ج.
ج ١: ١٩٣٦ - ١٩٤٠.
ج ٢: ١٩٤١ - ١٩٤٦.
ناصر الدين، علي. **صفحة مشرقة من التاريخ القومي العربي الحديث**. أخرجته لجنة إحياء ذكرى المجاهد علي ناصر الدين. بيروت: [د. ن.]، ١٩٨٠.
ـــــ. **قضية العرب**. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٤٦.
ـــــ. **هكذا كنا نكتب**. بيروت: مطبعة الاتحاد، [١٩٥٢].
نسيبة، حازم زكي. **القومية العربية، فكرتها، نشأتها، تطورها**. ترجمة عبد اللطيف شرارة؛ مراجعة برهان الدجاني. بيروت: دار بيروت، ١٩٥٩.
ياسين، بو علي، محمد جمال باروت ومحمد نجاتي طيارة. **الأحزاب والحركات القومية العربية**. تنسيق وتحرير فيصل دراج وجمال باروت. دمشق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، ٢٠٠٣. ٢ ج.
يني، قسطنطين. **صفحة من التاريخ القومي العربي الحديث**. أخرجته اللجنة التي أحيت ذكرى قسطنطين يني في قاعة دار الكتب اللبنانية (بناية المجلس النيابي). بيروت: [د. ن.]، ١٩٨٤.

دوريـــات

الأرثوذكسية (مرجعيون، لبنان): السنة ٧، الأعداد ٤-٧، نيسان/ ابريل - تموز/ يوليو ١٩٥٧.
البزري، عفيف. «سورية جزيرة الحرية الخضراء.» **فلسطين الثورة**: العدد ٣٢٦، حزيران/ يونيو ١٩٨٩.
ـــــ. «**لا بد من ثورة كبرى تقوض أركان الاستعمار العالمي في الوطن العربي**.» **فلسطين الثورة**: العدد ٢٩١، تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٨.

البعيني، نجيب. «كلمات المقاطع الأخيرة.» **اللواء**: ١٠/ ٩/ ١٩٩١.
بلاوني، مصطفى. «عصبة العمل القومي وإسهامها في الحركة القومية في سورية، ١٩٣٣ - ١٩٣٩.» **دراسات تاريخية** (لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق): السنة ٧، العددان ٢٣ - ٢٤، أيلول/ سبتمبر - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦.
البيرق: ٣١/ ٨/ ١٩٣٣
الجامعة العربية (القدس): ١٨/ ٩/ ١٩٣٣؛ ٢٤-٢٥/ ٩/ ١٩٣٣؛ ٢٧/ ٩/ ١٩٣٣؛ ٥/ ١٠/ ١٩٣٣؛ ١٢/ ١٠/ ١٩٣٣؛ ٢٠/ ١٠/ ١٩٣٣؛ ٢٣/ ١٠/ ١٩٣٣، و٩/ ١١/ ١٩٣٣.
دراسات تاريخية (جامعة دمشق): العددان ٢٣ - ٢٤، ١٩٨٦.
الشعب (دمشق): ٢٥/ ٨/ ١٩٣٣؛ ٢٨/ ٨/ ١٩٣٣؛ ٣٠-٣١/ ٨/ ١٩٣٣؛ ٤-٦/ ٩/ ١٩٣٣؛ ٦/ ٩/ ١٩٣٣، و٢١/ ٩/ ١٩٣٣.
الصحافي التائه: ٣١/ ٨/ ١٩٣٣.
صوت الأحرار: ٣١/ ٨/ ١٩٣٣؛ ٣-٤/ ٩/ ١٩٣٣، و٦/ ٩/ ١٩٣٣.
الطليعة (دمشق): السنة ٤، العدد ٥، أيار/ مايو ١٩٣٨؛ السنة ٤، العدد ٧، تموز/ يوليو ١٩٣٨، والسنة ٥، العدد ٥، أيار/ مايو ١٩٣٩.
فلسطين الثورة: العدد ٢٩١، تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٨، والعدد ٣٢٦، حزيران/ يونيو ١٩٨٩.
النهار: ٧/ ٤/ ١٩٣٤؛ ١٠/ ٧/ ١٩٣٤؛ ٥-٦/ ٧/ ١٩٣٦؛ ١٠/ ٧/ ١٩٣٦؛ ١٢-١٣/ ٧/ ١٩٣٦؛ ١٥/ ٧/ ١٩٣٦، و١٦/ ٩/ ١٩٣٦.

ندوات، مؤتمرات

مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦: مناقشات جلسة المؤتمر والقرارات مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية منذ عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٦. تقديم ودراسة حسان علي حلاق. بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨٣.

فهـــرس

- ز -

- س -

- ش -

- ص -

- ض -

- ط -

- ظ -

- ع -

- غ -

- ف -

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -